الآداب الأجنبية

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب

العدد ٤٩ - السنة ١٣ - خريف ١٩٨٦



عدد خاص
بالأدب الأسترالي

الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد ٤٩ - السنة الثالثة عشرة - خريف ١٩٨٦

الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

« الآداب الاجنبية »

مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة اشهر تعنى بنشر المواد المترجمة من الادب العالمي في مجالات الشعر والقصة والمسرحية وغيرها من صنوف الادب الابداعي وكذلك في مجالات النقد والبحث الادبي .

* توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
* يرجى من الاساتذة الذين يرسلون مواد مترجمة بغية النشر في المجلة ان يرفقوها بالاصل الاجنبي وان يذكروا المرجع بوضوح .
* يرجى من الاساتذة المترجمين عدم التصرف في النصوص والعناية بصحة العبارة العربية .
* المواد التي تتلقاها المجلة لا ترد لاصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

الاشتراك السنوي

في الجمهورية العربية السورية :

* للافراد والدوائر الرسمية ٢٤ ل.س

في البلاد العربية :

* البريد العادي ٣٦ ل.س

في البلاد الاجنبية :

* البريد العادي ١٢٥ ل.س

تضاف تكاليف الطائرة في حالة الاشتراك بالبريد الجوي .

المراسلات

باسم رئيس التحرير

الادارة

اتحاد الكتاب العرب
دمشق ـ اوتستراد المزة
ص . ب ٣٢٣
هـ ٢٤٤٣٢٩
٢٤٤٢٩٩

صمم الغلاف الفنان عبد الهادي الشماع

جميع مقالات هذا العدد

مترجمة عن الانكليزية

كلمة التحرير

● رئيس التحرير

هذا العدد الخاص عن الادب في استراليا لا يحمل مفاجآت ابداعية ولا روائع جمالية من النوع الذي يمكن أن يزدهي بذاته ويرقى فوق النقاش . وان المثقفين الاستراليين أنفسهم ليسوا مغرورين جدا بمستوى أدبهم ولا تياهين ولا مكابرين ، وأن كانوا يحبون أدبهم وبلدهم . وحين حدثت احدى المثقفات الاستراليات مرة عن رغبة (المجلة) في اصدار عدد خاص أو ملف عن الادب الاسترالي فاجأتني باستغرابها وقالت : هل هناك أدب في استراليا حتى تصدروا عنه عددا خاصا ؟ .. ولكن بعد مناقشات ومطالبات تبين لنا أن هناك أدبا انكليزيا جديدا أخذ في العقود الاخيرة التي تلت الحرب العالمية الثانية يتشكل من خلال تجربة عيش فريدة ، تزاوج بين المقتضيات الرئيسية التالية :

أ ـ طبيعة استراليا المتفردة : صحارى وجبال في الداخل ، وشواطىء ممتدة ، ومدن ساحلية ، ومزارع واسعة ، وشمس ساطعة .

ب ـ اعتراف متزايد فني ـ ثقافي بوجود ثقافة معمرة لدى السكان الاصليين Aborigines ، الذين طال أمد لجمهم ، وارتفاع الاصوات من أجل خلق تركيب بين الحاضر والماضي في النظرة الى الواقع والمستقبل .

ج ـ تزايد اسهام ادباء وفنانين من منابت ثقافية غير انكليزية في المشهد الثقافي المعاصر ، ويجد القارىء في العدد الحالي مثلا قصيدة للشاعر دايفيد معلوف (من أصل لبناني) .

د ـ تفتح استرالي متزايد على الثقافة العالمية ، بعد فترة طويلة من الارتباط المباشر بالثقافة الانكليزية التقليدية .

وهناك مقتضيات اخرى يتركها المرء للمتخصصين ، وكلها مدعاة للتفاؤل بشأن الادب الاسترالي .

والمهم ان المجلة عنيت بالادب الاسترالي لخصوصيته ، ولبعده جغرافيا وثقافيا عن الادب العربي . ولم يكن سهلا اختيار مادة العدد . فالدراسات عن الادت الاسترالي ليست غزيرة . اما المادة الابداعية من شعر وقصة ومسرح فهي محيرة . ما كان منها ذا نكهة خاصة يكاديستعصي على الترجمة بسبب اغراقه في المحلية مشهدا ولغة وايماء . وما كان منها قريب المتناول من ناحية الترجمة يحمل خطر فقدان الخصوصية على أي حال ، ومن خلال تعاون عدد كبير من الاصدقاء الاستراليين ، بالاضافة الى هيئة تحرير المجلة والزملاء المترجمين ، أمكن اختيار مجموعة نصوص متنوعة ومتعددة جوانب التجربة ، وغير مستعصية على ذائقة القارىء العربي ، كما نأمل .

وحتى يوضع هذا العدد الخاص بالادب الاسترالي في اطاره . لا بأس بالتذكير ان (الآداب الاجنبية) اصدرت في الثمانينات اعدادا خاصة عن ادب المقاومة في العالم ، الادب الياباني ، الآداب الافريقية . الادب الصيني ، الشعر الفرنسي الحديث (ملف) ، الادب النسائيالمعاصر في العالم ... والعمل جار لاصدار اعداد خاصة عن الادب الهندي . الادب الايطالي المعاصر ، أدب اللغة الالمانية ، وغير ذلك .

شكرا لجميع الذين تعاونوا لاصدار هذا العدد . وشكرا للقراء ولا سيما من سيكلف نفسه مشقة الكتابة الى المجلة برايه في مادة هذا العدد ذي الطبيعة الخاصة .

دمشق ، شباط ١٩٨٧

د. حسام الخطيب

• دراسات

آن فيربيرن
و (ظلال من الحلم الأسترالي)

• د. حسام الخطيب

نظرتان في الأدب الأسترالي

أولاً : مهمّة الأدب الأسترالي

• ر. سي بالد

ثانياً: نحو أدب أسترالي

• فنسنت بكلي

ترجمة: محمود فلاحة

مدخل إلى الشعر الأسترالي

• جوديث رايت • إعداد: د. خليل جواد

آن فيربيرن
و (ظلال من الحلم الأسترالي)

● د. حسام الخطيب

اولا : آن فيربيرن رسول التفاهم العربي الاسترالي :

آن فيربيرن هي الحفيدة الوحيدة لواحد من مؤسسي استراليا الكبار ، السير جورج هوستون ريد ، وهي تنتمي الى اسرة عريقة . قضت طفولتها في سيدني ، ودرست الفنون والآداب في جامعتها . بدأت نشاطها بالكتابة والرسم . وعلى أثر زواجها الثاني (من جيوفري فيربيرن ١٩٥٦) عملت بالصحافة ، وزارت فيتنام الممزقة وبورما وتايلند وكمبودجيا وباكستان . ثم زارت أوربا والبلاد العربية (١٩٨٠) . وفي عام ١٩٨٢ بدأت سلسلة زيارات للاقطار العربية وحاضرت في اربع عشرة جامعة عربية منها جامعات دمشق وحلب واللاذقية . وهي تتابع نشر قصائدها في المجلات الادبية الاسترالية ، كما عرضت رسومها في مناسبات عديدة . ومنذ الثمانينات بدأت تكتب عن البلاد العربية والتفاهم الثقافي العربي الاسترالي ، حتى اصبحت اشبه بسفيرة ثقافية لبلادها في الشرق العربي. وهي اول امرأة استرالية تزور بعض البلاد العربية بدعوة رسمية، والطريف انها بدأت ببلدان تعد أقل انفتاحا من غيرها ولا سيما للزيارات النسائية الثقافية (مثل سلطنة عمان) .

لا تخفي آن فيربين عواطفها تجاه العرب والثقافة العربية ، وتتحدث كثيرا عن ضرورة اعتراف الغرب بما للعرب من فضل تاريخي على الثقافة الانسانية ، كما تبدي اعجابها بالفروسية والصحراء ، ولها في دول الخليج جولات . وقد زارت سورية اكثر من مرة ، واستقبلت في عام ١٩٨٠ ضيفة على اتحاد الكتاب العرب بدمشق وكان لها اكثر من لقاء مع كتاب من سورية ، ومع طلاب جامعة دمشق .

كما ابدت اهتماما، من موقع انساني وحضاري،بالقضيةالفلسطينية وكانت لها لقاءات مع عدد من الكتاب الفلسطينيين ، وفي عام ١٩٨٢ امضت يومين في احد المخيمات الفلسطينية في لبنان وادركها القصف المدفعي والصاروخي واضطرت للمبيت في الملجأ وعرفت اي جحيم ينتظر الانسان هناك . وفيما بعد كتبت بعض القصائد من وحي زيارة بيروت ، ولكن الانسان يبحث عن تأثير هذه التجارب الانسانية الكبرى في شعرها فلا يجد أثرا مباشرا ، وفي أحاديثها الصحفية فلا يجد الا جملا ملتفة (*) وهذا حال كثير من الادباء الغربيين الذين يتحدثون الكثير عن عواطفهم الخاصة ، ولكن مخاوفهم داخل مجتمعاتهم تجعلهم يؤثرون التقية ويعمدون الى المواربة ، في حين ينتصرون للحق ويهاجمون الظلم في مناطق اخرى كثيرة من العالم ، وكأنما الظلم الذي يقع على الارض الفلسطينية هو ظلم لا يخص القيم الغربية بشيء .

وهذه الملاحظة لا تنفي ابدا صدق الكلام الذي تكتبه (آن) عن العرب وما فيه من جمال ، وشعارها في هذا المجال هو : « بين صحراء

(*) انظر مثلا رسالتها الى رئيس تحرير الاداب الاجنبية بتاريخ ١٩٨٢/٩/٢٠ المنشورة في الآداب الاجنبية ، ع ٣٢ ، س ٩ ، خريف ١٩٨٢ ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧

وصحراء فليزهر الف برعم » . وتبدي دائما رغبة في ان تتحدث للعرب عن شعراء استراليا وادبائها مثلما تود ان تتحدث للاستراليين عن الادب العربي ، ولها مشروعات محددة في مجال تعريف القارىء الاسترالي بالمنطقة العربية وآدابها .

اخيرا يلفت النظر ان هذه الشاعرة القادمة من بعيد دخلت تجارب ساخنة وزارت مناطق محددة من العالم وهي في اوج احتدام الحروب وانتشار المآسي فيها . ولكنها استلهمت من تلك المناطق اشعارا غير ساخنة ومرة اخرى في تصرفها كانسانة تعاطفت وعبرت عن مشاطرة الاسى . ولكنها كشاعرة أثرت التحليق من بعيد . وفيما يلي قصيدة من فيتنام واخرى من لبنان .

وكانت آن قد زارت ڤيتنام مع زوجها اثناء الحرب الاميركية المدمرة هناك . وتقول في ذلك :

« لقد فشلت طبعا في التنبوء بنتائج الحرب او الشكل الذي ستنتهي اليه . فقد هالني حجم المعدات العسكرية التي احضرتها اميركا وقلت ان الڤيتناميين لن ينتصروا في هذه الحرب . وقد عارضني زوجي * بشدة واختلفنا كثيرا حول هذا الموضوع ، ولكن كان هو المحق بالطبع ».

هاتان قصيدتان من الڤيتنامين الجنوبية والشمالية وبينهما عشر سنوات :

(*) كان زوجها جيوفري فيربيرن استاذ في النظرية السياسية ومهتما بالثورات والوضع السياسي العالمي .

جندي يموت

هو ـ دا ، فيتنام الجنوبية ١٩٧٥

في تكاثف الغسق ، وفراشات الضياء
تهوم خفيفة كحزم الشعاع
تتراقص مبتعدة اشباح خوفي
اصغى الى حفيف افكار القصب
والى السكون وراء الريح
اذ يتشرب دمي خلال الرمال .
الحياة كلها مد وجزر يا ابتاه
وانا اذهب خفيفا مع المـد .

ابوه يتذكر

داي لنه ... جمهورية فيتنام الاشتراكية ١٩٨٥

الكلمات سلاح وجراح يابني
هكذا يتمتم عجوز في داي ـ لنه
ولكنك اصغيت الى حفيف افكار القصب
والى السكون وراء الريح
وها تحت قمر هادىء
يجيب تراب اجدادنا ترابك .
اجل ، فالحياة مد وجزر يابني العزيز
وقد ذهبت خفيفا مع المـد

اما القصيدة التالية من بيروت فقد كتبت بعد مذبحة صبرا وشاتيلا .

صخرة الريح : الروشـة

محجران ولا عينان في جمجمة من الصخر
تسائلان نظام النجوم
فم بلا لسان ، انهكـه الجفاف
ينكر سر الخليقـة .
جراح بلا دماء تلفعها الاطيـاف
تنزف للغـد الاتي .
والليلة لوعة مرعبـة
تنوح فوق البحر المضطرب

لا بذرة شر قد نالت من هذا الحجر
الذي يتماسك تماسك الزمن .
الزبد مرّ المذاق على شفتي
اذ اقبع في اللايقين .
في هذه الصخرة التي حفرتها الريح وحدد حوافها القمر
ثمة وجـه أكلته الشكوك ـ هو وجهي

خفيفة تتباعد الظلمات
وها صخرة الريح تعانق نهارا تحفه الاملاح .

WINDROCK

Eyeless sockets in a skull of suone
Question the stars' geometry.
A tongueless mouth dry with grit
Denies creation's mystery.
Bloodless wounds bound in shadows
Bleed for the day that is to come.
Tonight a Guernican agony
Moans above the restless sea.
No double - helix mars this stone
Which holds time - shaped integrity.
Spume tastes bitter on my lips
As crouch within uncertainty.
On this wind - carved rock, defined by the moon,
Is a ravaged face of doubt - my own.
Slowly darkness drifts away
The windrock meets salf - edged day.

Anne Fairbairn

ثانيا ـ احلام استراليا المبكرة

كتاب آن فيربيرن حول الحلم الاسترالي(*) جميل شكلا ومضمونا . انه محاولة رائقة صافية متحضرة للدخول في أعماق الوجدان الاسترالي بجانبيه (الابيض واللا أبيض) والقبض على لحظاته الصغيرة المعبرة التي قلما يحفل بها التاريخ ، وربما الادب أيضا . أجمل شيء في هذه المزاوجة بين الجانبين (الابيض واللا ابيض) أنها لا تتم من خلال موقف متوتر حاد محدد ولا تنظر الى كل سجال بين الطرفين من منظار أسود وابيض . انه موقف انساني نابض بالتعاطف مع السكان الاصليين ، والحرص على إبراز النبض الانساني في لغتهم وادبهم وتصوراتهم وأساطيرهم ، والرثاء ـ الى حد ما ـ لما آلت اليه أحوالهم ولما كابدوه من معاناة ولا سيما سنوات الاستيطان الاولى . وآن لا تهمل ذكر عملية الاستئصال التي تمت ، ولا تنسى ابدا أن النظرة الاوربية اليهم كانت جزءا من النظرة الى الصخرة والتربة البور والشجرة والبرية ، اي انهم كانوا مجرد مظهر من مظاهر الطبيعة التي ينبغي تطويعها للمصلحة الاوربية بأي شكل وبأية طريقة وبصرف النظر عن عدد الارواح التي تزهق منهم . ولكن آن لا تتحدث عن هذه الامور بالطريقة الخطابية التي اعتدنا عليها ، ولا هي تحاول أن تعوض من خلال موقف جديد متعاطف مع السكان الاصليين عن موجة القرنين الماضيين في الكتابة (البيضاء) التي اغفت ثقافتهم وحقهم ووجودهم

(*) عنوان الكتاب : ظلال من أحلامنا ـ احتفاء باستراليا المبكرة .

Shadows of our Dreaming : a Celebration of Larly Australia.

Anne Fairbairn.

Angus and Robertson Publishers, London - Sydney - Melbourne, 1983.

الانساني . لا . انها تبرزهم بوصفهم بشرا وتبرز وجودهم الكامل الطبيعي والحيواني والاسطوري والعقلي والاجتماعي والعاطفي في تماسه مع الآخر . ومن خلال لمسات فنية جميلة ، ولا سيما من خلال ومضة الشعر ولقطة الرسم ورنة المصطلح باللغات الاصلية ، تجيء معنى انسانيا كاملا وتؤكد تجذره في تجربة التفاعل مع الارض وشجرها وحيوانها وطيرها وحشراتها وجبلها وشاطئها وبحرها ، ووسوسة الارواح الخفية في كل نأمة من نأماتها .

وتدعم هذا الموقف دائما بتفسيرات موثقة من تاريخ الاستيطان . تقارير تاريخية ، وأخبار صحفية ، وتصريحات رسمية ، وشهادات من شهود عيان . وأجمل ما في هذا الجانب الداعم أنه يكتسي دائما طابعا شخصيا من تجربة اسرة آن فيربرن العريقة ، التي ـ حسبما يفهم من مواقفها وتصريحات الاباء والاجداد فيها ـ نحت منحى آخر في التقرب من السكان الاصليين ، وكما يقول الشاعر الاسترالي المعروف أ. د. هوب في مقدمة الكتاب :

« والى حد كبير يرجع الفضل في حقيقة أن الاحتلال الاوربي لهذه البلاد لم يستحق في نهاية الامر الحكم القاتم الذي ورد على لسان تاسيتوس (*) (حينما عاثوا الفساد سموه سلاما) ، لمستوطنين كثيرين مثل آباء وأجداد آن فيربرن الذين الزموا انفسهم بالتعرف الى السكان الاصليين وفهمهم ، ومصادقتهم ، والعمل على تعرف الارض من خلال مصطلحات الاصليين ومعتقداتهم ... »

وإن ملاحظات آن حول (لفتات) عشيرتها وبعض البيض الاخرين تجاه الطرف الاخر ، وعلى الاقل شعورهم بوجوده الانساني ، لم تكن

(*) مؤرخ روماني قديم .

موجهة ـ خلافا لما قد يوحي به كلام أ. د. هوب المجتزأ من سياقه ـ لتخفيف وطأة الادانة للقسوة التي بها عومل الاصليون ، ولا للتغني بموقف أسرة معينة أو للتفاخر بعراقة موقف المؤلفة الحالي . إن سياق الكتاب كله لا يأخذ هذا المجرى ، انه وجدانية لاعادة التعرف الى أستراليا وأرضها من خلال منطق مشترك ـ أو مزدوج على وجه الدقة ، وهو المنطق الحالي بعد مئتي سنة من الاستيطان مضافا اليه او ملونا من خلال تجربة السكان الاصليين الذين عمروا البلاد قبل ذلك بآلاف بل عشرات آلاف السنين ، وربما كذلك من خلال منطق المخلوقات غير الانسانية ، من نباتية وحيوانية وأسطورية ، وهي التي كانت دائما هناك ، وهي التي لها دائما سهم كبير في أية عملية لصناعة اي منطق معين فوق أية بقعة في هذا الكون ... ولم تغفل (آن) الاشارة الى ذلك كله في ثنايا تعليقاتها على أبياتها الشعرية الجميلة .

إن هذا الكتاب (الشعر النثري) هو محاولة ملهمة وشعرية ووجدانية وأنسانية بقدر ما هو عمل منظم منضبط موثق ومبوب .

من ناحية الضبط والتبويب هناك أولا ذلك التقسيم الذي ارتضته المؤلفة لكتابها :

الفصل الاول : الخلفية .

الفصل الثاني : البحر .

الفصل الثالث : السماء .

الفصل الرابع : المستوطنون الاوائل .

الفصل الخامس : المدينة .

وفي داخل كل فصل هناك خطة خفية غير مصطنعة ولا قسرية . انها عملية رسام ماهر يترك لخطوطه أن تتكامل ويلاحظ بدقة المواطن

اللازمة لاستقامة الخط او انحنائه او تذبذبه ، كما يلاحظ التأثيرات البصرية للالوان ويضبطها في غير تعسف .

وتسعف آن فيربيرن هذا الجانب (العلمي أو العقلي) من بنيان كتابها بالشهادات والوقائع المؤرخة الموثقة لتقنعك أنك لست إزاء تهويمات شعرية أو مجرد استبصارات وجدانية ، وانما أنت في مواجهة موقف عقلي علمي بقدر ما أنت في مواجهة موقف فني وجداني . وبعيدا عن اشعارها الجميلة ورسماتها الاخاذة ، يستطيع اي قارىء غير استرالي أن يطمئن الى انه من خلال ملاحظاتها اللاحقة حول القصائد يمكن أن تتكامل نظرته الى التجربة التاريخية القريبة لبلد لا يعرف عنه الناس كثيرا ، ولم يحتل حتى الان اي مركز مقبول في منتدى البلدان التي تتحكم في صناعة الاخبار العالمية . عن استراليا ، يعرف القارىء غير الاسترالي القليل القليل ـ ربما باستثناء القارىء الانكلو سكسوني . ولكن من خلال كتاب آن فيربيرن يعرف القارىء استراليا نفسها وفي صميم احلامها .

وهذا الجانب « المعرفي » من الكتاب هو القسم الذي يسهل الكلام فيه طبعا ، ومن أجل ذلك قدمنا فيه القول . ولكن الجانب الآخر : الوجداني الفني الجمالي هو الذي يصعب فيه القول المفصل ، ويسهل فيه الحكم انعام . لنحاول باختصار ان نذلل بعض جوانب هذه الصعوبة ، ونحن في مجال تقديم لا في مجال دراسة .

تتجمع لهذا الكتاب ، جماليا ، مختلف اشكال المؤثرات البصرية والسمعية والفراغية .

هناك اولا شكل مقطوعة (الهايكو) القصيرة المركزة . هذا الشكل المركز المجتزأ ، ليس اقرب شيء الى روح الشعر الانكليزي ، ولكن اقتراب وجدان آن فيربيرن من وجدان الناس الذين نعمل على ابراز ثقافتهم .

وخروجها بوجه عام عن التقاليد الضيقة لثقافة مجتمعها ـ على نحو ما أوضحنا سابقا ـ ساعدها في تكييف هذا الشكل الياباني في التعبير عن تجربة منطقة ليست ـ على أي حال ـ بعيدة عن اليابان ، ولو جغرافيا على الاقل .

ويحسن أن نتذكر هنا أن القارىء العربي قد لا يميل ـ بطبيعة ثقافته الشعرية ـ الى تقدير دقة التجربة التي خاضتها المؤلفة لان التيار الشعري العربي ليس بعيدا عن مفهوم المقطع المركز أو قصيدة البيت الواحد ، أو وحدة البيت الواحد في القصيدة . ونأمل أن يلاحظ القارىء العربي من خلال الترجمات المختارة التي يقدمها هذا المقال كيف استوت التجربة الفنية لدى الشاعرة فاستطاعت من خلال لقطة مركزة مجتزاة من سياق مركب أن تقدم أنموذجا من المعنى الانساني النوعي قادرا على تجريد تجربة أكبر منه حجما وامتدادا زمنيا ومكانيا .

والى جانب هذه العبارات المجتزاة ، التي تشبه دائما مقطعا من خط سكة حديد مرّ عليه قطار ما قبل دقائق أو ساعات ، هناك العنوان المثبت باحدى لغات الاصليين العديدة . وتقول آن فيربيرن في مقدمة الكتاب انها أخذت هذه الكلمات من عدد من اللغات الاصلية من خلال مصادر مختلفة ومن السجلات التي كتبها المستوطنون الاوائل ومن يوميات ابائها وأجدادها ومذكراتهم ، وهي كلمات مكتوبة بالطبع حسبما تلقتها الاذن ، وليس من الضروري أن تكون دقيقة تماما .

ويمكن أن يحس القارىء أن هذه الكلمات المأخوذة من لغات بدائية تحمل سمتين شعريتين غنيتين هما الغرابة الموحية ، والطاقة الموسيقية الناجمة عن الاقتراب الشديد من أصوات الطبيعة ومحاكاة هذه الاصوات . ومن أجل ذلك كله احتفظت الترجمة العربية بهذه العنوانات وبتفسيرات الشاعرة لها .

وبالاضافة الى ذلك كله أتت تعليقات (آن) المتنوعة لتغنيه تجربة التفاعل مع هذه المقاطع الشعرية . وكانت هناك أيضا تلك الرسوم الغريبة التي ساندت الاستمتاع البصري بشكل مقطع الهايكو الانيق والمريح المعين . وبالطبع لا يدور حديثنا عن تجربة فنية ثقيلة الوزن ، ولكن نود أن نعترف أنه بعد تقليب النظر في الكتاب ، ومن خلال عملية ترجمته ، بدا لنا أن الشاعرة الاسترالية وفرت لهذا الكتاب أكثر من بعد جمالي واحد ، وأن تصنيفه في كتب السيرة biography ظلم له ، وقد جنت عليه في رأينا صور الاسرة التي جنحت به جنوحا شديدا بانجاه السيرة (الاسرية) ، وما هو بسيرة . انه تجربة ثقافية شعرية وجدانية صادقة ومتعددة الابعاد . وبصرف النظر عن أي تصنيفية يشكل هذا الكتاب لقارئه متعة وجدانية ـ معرفية قادرة على الاشعاع باستمرار .

وفي ختام هذه المقدمة العربية يحسن أن نستعير خاتمة المقدمة الاسترالية التي كتبها الشاعر أ. د. هوب :

« ومن خلال احساس حقيقي جدا ، ليس هذا عملا فنيا متجذرا في الارض وفي موقف العرقين من بلدهما ؛ انه أيضا تاريخ روحي من النوع المتعمق النفاذ الذي لا يستطيع أن يقدمه الا روح شاعر » (*) .

والآن ، الى مختارات من مقطعات آن فيربين . والمرجو ان يلاحظ القارىء أن اختيار مقطعات من هذا النوع ليس أمرا سهلا لان المقاطع مبنية على الاشارات الطبيعية واللغوية والثقافية الخاصة جدا والتي يصعب أن تبرزها الترجمة . لذا يمكن القول إن المختارات التالية ليست هي أجمل المقطعات بالضرورة ، ولكنها ـ حسبما بدا لنا ـ الاسهل تمثلا في ذائقة القارىء العربي .

(*) السطر الاخير من تصدير (هوب) للكتاب ، ص Xi .

ثالثاً ـ مختارات

مواني Moane

في الصمت الدافىء
يقف قنفر ، وقد ثبتته الاضواء
أذناه قائمتان ، عيناه مستكنتان
مواني : قنفر

ـ إن القنفر حيوان محمي ولا يمكن صيده من قبل صياد محترف الا بناء على رخصة صيد في أثناء برنامج انتقائي رسمي . على أي حال ، يقتل القنفر أحيانا على يد صياد غير مرخص له في الليل بعد أن يصاب بالشلل نتيجة تسليط الاضواء الساطعة عليه .

وكان السكان الاصليون يصيدون القنفر بطريقة مختلفة . فخلال الفصل الماطر في الشمال ومع ارتفاع العشب كان صعبا على الصيادين أن يخاتلوا القنفر . فكانوا ينتظرون حتى يجف العشب ثم يحرقونه، وكانت الحرائق تكتسح الريف . وكان الرجال يقفون وقد أشرعوا حرابهم على مسافة من ألسنة اللهب ليطعنوا بها أسراب القنفر التي تحاول الهرب من النار . ومن وراء النار المشتعلة كانت النساء تسير لتلتقط الافاعي والحيوانات الصغيرة الاخرى .

وحين كان العشب الجديد يبدأ بالنمو كانت تظهر حيوانات القنفر ثانية . وكان صيدها بالرماح يتطلب مهارة فائقة وكان على الرجل أن يحمل شجيرة أمامه ويتحرك بحذر وببطء تجاه فريسته حتى تكون على المدى المجدي لحربته .

وهناك أغنية لاحدى قبائل السكان الاصليين تصف عملية الحريق من وجهة نظر قنغر صغير ، وقد ترجمتها كاثرين بيرندت على النحو التالي :

« أماه . إنني احترق

أماه . إنني احترق » .

« لماذا لا تفكر يا بني

قبل أن تحترق أقدامنا ، أنا وجدتك

لماذا لا تقفز الى حيث انتهوا من إحراق العشب ؟ »

ـ أول مشاهدة مروية عن رؤية قنغر من قبل شخص من غير السكان الاصليين تمت على يد فرانسس بلسارت في ١٥ تشرين الثاني عام ١٦٢٩ على جزر (أبرولهوس) غربي أستراليا .

« المخالب الامامية قصيرة جدا ، تقرب من طول اصبع ، وتتخذ شكل أصابع تنتهي بأظافر صغيرة ناعمة ... وعلى العكس من ذلك رجلاه الخلفيتان قائمتان بطول نصف ذراع ، وهو يمشي عليهما مرتكزا على سطح القسم الثقيل من الرجل ، مما لا يسمح له بالسير السريع ... وطريقة القنغر في التوالد والانجاب شديدة الغرابة » .

ولقد رأيت عدة مرات ذكور القنغر جالسة على مؤخراتها بحيث يبلغ طولها في هذه الحالة من خمسة أقدام الى ثمانية ... واذ حصلت على عدد من الكلاب المحلية فقد أصبحت استمتع من وقت الى آخر بصيد القنغر وهذا الصيد ليس مجرد تسلية محببة بل يوفر للمائدة طبقا يقترب من جودة لحم الضأن » .

جورج بارنغتون

رحلة الى جنوب ويلز الجديدة ، ١٧٩٦

« ومنذ أن قضي على الكلاب المحلية والصفور على يد تجار القطيع الذين غطوا البلاد بالاغنام ، لم يبق في وجه القنفر أي عدو طبيعي » .

هـ . فنش هاتسون
استراليا المتقدمة ١٨٨٦

« أخبرني أحد ملاكي الاغنام انه خلال فترة ثمانية عشر شهرا قتل ٦٤ الفا من هذه الحيوانات . . » .

كارل لمهولتز
« مع المتوحشين » ، ١٨٨٩

* * *

كرامبارك Krambark

جذوع عديدة مسودة
تنبىء ما ستكون عليه حرائق هذه السنة
ولكن انظر . ها هي أغصان صغيرة خضراء

كرامبارك : نوع من الاوكاليبتوس ، وهو الخشب الذي منه صنع السكان الاصليون مشاعلهم وجذواتهم .

إن شجرة الأوكالبتوس صلبة جدا ، وتستطيع التوالد بعد الجفاف او الحريق بقوة مدهشة .

وقد لاحظ جدي في الثمانينات في بومباة :

إن هذه البلاد سليمة وعذبة . هكذا امنعتها الطبيعة كيف فعلت ذلك ؟ كانت النار واحدة من وسائلها . اذ آمنت (الطبيعة) بحرق البلاد

دوريا من خلال اطلاق عواصف رعدية جافة . وقد اعتاد السود أن يحرقوا البلاد بشكل منتظم على مدى القرون السالفة . وقد اكتشفوا أن النار تجعل العشب عذبا » .

وتشكل حرائق البر خطرا مستمرا في مناطق الغابات والاعشاب ، ولا سيما في الصيف حين تسود أحوال الجو الجاف . وتحمل النار خطرا على القطعان والاسيجة والابنية . وكثيرا ما مات أناس وهم يعملون على إطفاء النيران .

ومن عاداتهم في البر" ان يحملوا علبة ثقاب . فاذا ما لاح خطر الحريق سارعوا الى اشعال نار أمام اتجاه الريح واتخذوا مأواهم في البقعة المحروقة التي تسببها النار . وقد أخذ المستوطنون هذا التدبير عن السكان الاصليين .

واعتاد المستوطنون الاوائل أن يلوموا السكان الاصليين على شبوب الحرائق لان هؤلاء كانوا يشاهدون وهم يشعلون الحرائق من أجل تدبير حيل الصيد . واستغرق الامر بعض الوقت حتى تولدت قناعة بأن البرق وعوامل طبيعية أخرى غالبا ما تسبب في إشعال حرائق البر" .

وقد كتب دوق بورتلاند الى الحاكم هنتر في ١٧ ايلول ١٧٩٨ :

« بأسى شديد الاحظ الخسارة التي لحقت (بالتاج) والافراد نتيجة للحرائق التي اشعلها السكان الاصليون بمناطق العشب والشجر . ومن أجل مجابهة مثل هذا الشر المزعج في المستقبل يخطر لي انه من الصواب اجبار كل الاشخاص الذين يديرون مزارع مجاورة للاراضي البور وغير المزروعة أن يحيطوها بمناطق محروثة تشكل فاصلا بين مزارعهم والاراضي البور ، مما يمكن أن يكون احترازا كافيا لايقاف النار

المنطلقة من هناك . ولعله من الصواب الصائب أيضا اتخاذ الاحتياطات نفسها بالنسبة لجميع الاراضي التي يمتلكها التاج ، وبالاضافة الى ذلك كله يحسن حفر خندق واسع كلما كان ذلك ممكنا » .

* * *

موتو Moto

فوق كومة من النمل الاحمر

تستلقي حية مع حشود النمل

ظهرها مكسور

موتو : حية سوداء

– من المألوف أن تلقى الحية التي تقتل فوق كومة من النمل للتخلص من رمتها .

إن الحية السوداء هي احدى اكبر افاعي أستراليا السامة . في المناطق الداخلية والشمالية هناك بعض أنواع من الافاعي السود تشبه الحية البنية وأحيانا تظن خطأ أنها هي . وقد تطول هذه الحية حتى تبلغ أكثر من ثلاثة أمتار وتتغذى بالافاعي الاخرى والسحالي والثدييات الصغيرة .

« وهناك كمية لا بأس بها من الافاعي البنية تعيش في حفر المياه . وكانت تشاهد في المياه الضحلة ورؤوسها فوق السطح . ولكنها كانت تغطس الى أعمق أجزاء الحفرة لدى اقترابنا » .

فريدريك ليشهاردت

حكاية حملة لاكتشاف الارض في أستراليا ، ١٨٤٧

* * *

« جيكا جيكا الصغيرة . كل السمراوات يحببنها
بلباسها الاحدي الانيق الفضفاض
وتعيش خارج بنالا مع والدها دوتا نمالا
الذي يأكل الافاعي على الفطور حتى يشحب لونه
يقتل الافاعي بنبوت ، ويلتهم الرأس والجسم
وجيكا جيكا الصغيرة تأكل الذيل . »

من (جيكا)
لشاعر مجهول

* * *

وكتب جدي عن ولد ومخيمه القبلي :

« يستعمل السود مواقد على نمط فراش النمل من اجل طبخ اللحم والجذور . وتشعل النار في حفرة في الارض بحك عصا فوق قطعة من الحطب الجاف في وسط الاوراق والاغصان الجافة . وينفخون النار بريش الطير ، ويغطونها بطبقة من فراش النمل . وحين يسخن الفراش بشكل كاف تفرش فوقه طبقة من الطعام وبعدها لحاء الشجر وأوراقه ، وفوقها طبقة من الرمل . ويترك الطعام لينضج ببطء ... » .

ويليام دامبير
رحلة جديدة حول العالم ، ١٦٩٧

* * *

مُـلاكـا Mullaka

وحـدهُ ابـن القبيلـة العجـوز
يراقـب سـوزانه وهـي تسـتحم
في سـاقية كريـك المشوشـبة

مُـلاكـا : كبـير القبيلـة

وفقا للحكايـة التوراتية عن « سـوزانه والشيوخ » كان الشيوخ يتجسسون على سوزانه في عُريهـا .

في البرية الاسترالية ، يكون المرء غالبا وحده ، وليس سوى كبير السن في القبيلة يمكن ان يرى مـن يستحم عاريا ، وكثير مـن الناس يفعلونهـا .

إن جـدي مـن آل مونرو رأى لاول مرّة المـراة التي قدّر له ان يتزوجها ـ أي جدتي ، ماري كاميرون ـ وهي تستحم عاريـة في نهـر بولون غربي كوينزلاند . وقبل ذلك كان مرتبطا بكاثرين كامبل ، وهي أول امراة بيضاء وُلدت في مقاطعة إنڤرل وابنة الكساندر كامبل .

* * *

الاتنـا Allatna

تحـط يـورا على القضبـان الزلقـة
وتتأرجـح عاريـة ، بسـاقيها البنيتـين
هنـاك ثـور يرقـب .

الاتنـا : شـابة

« ولكن . ها هي (الميوز) ذات العينين البراقتين
وتدفـق مــن خلفهــا ســاقية الشــعر
تضغـط على حصانها بفخذيهـا البنيتين القويــين
وصــدراها اللاهثــان عاريــان

من قصيدة فيكتور دالي
« عرائس أستراليا »

* * *

مونـدورا Mundurra

دايــانــا تصــوب بندقيــة
عيــار ٢٢ على ارنــب
القمــر الجديــد شــاحب

مونــدورا : صيــاد

* * *

بورادجـول Buradjul

حــرارة وخــواء
الليــل يطفــح
بمليــون نجمــة صيفيــة

بورادجــول : الصيف

* * *

غونـامـا Gunama

الثلـج الذائـب يصطفـق

في أخاديـد الصخـور .

وبصمـت

يفرشـ زهـر الربيـع الابيضـ ثلـج الصيـف

غونامـا : ثلـج

أزهار الربيع البيضاء كالفضة daisies تنمو ربيعا وصيفا في المروج الواقعة في جبال الألب الأسترالية . وتشكل أوراقها بقعا عريضـة مـن البياض الساطع . وفي كانون الثاني تزهر براعم الازهار البيضاء وتغطي منحدرات الجبال ...

* * *

والـو Walo

فـوق الرمـل الأبيضـ الملتهـب

تنتصـب مظـلات الشـاطئ المزوّقـه

كـل واحـدة مـع ظلهـا

والـو : شمس

استراليا قارة ـ جزيرة . ولها سواحل ممتدة بآلاف من الاميال ، مع شواطئ رملية ، ومصبات مد وجزر ، ورؤوس صخرية ، وسلاسل من الصخور المحاذية للبحر مثل الحيد البحري الهائل (حيد الحاجز الكبير) . وعلى محاذاة خطوط السواحل تعيش حياة منوعة من أشكال النباتات والحيوان .

مضى على الرجل الابيض في استراليا أقل من مئتي سنة . والسكان الاصليون Aborigines عاشوا آلاف السنين ، اما تلك المخلوقات (النباتية والحيوانية) الساحلية فقد كانت في ارضها منذ أحقاب طويلة.

الانسان حيوان بري ، ولكنه مجتذب باستمرار الى البحر ، لينعش ذهنه وجسمه وروحه . ويسترخي الوف الناس في (بوندي) ، شاطىء سدني الرئيسي ، كل صيف .

وهناك مجموعة من الرجال الاشداء يسمون (الجموديات) يمارسون السباحة في بوندي خلال أشهر الشتاء .

* * *

أوبان Oopan

على هذا الرمل الرطب الساخن
اكتب اسمك بصدفة بحرية
موجة ، ولا يبقى له أثر

(أوبان : حب)

كان للسكان الاصليين أغان غرامية كثيرة :

رأينا صدورهن ، وكانت ايديهن تتحرك
فتيان جزيرة غولبيورن ، من عشائر نهر وولني
تهتز صدورهن مع الريح الغربية الباردة
بينما يدرن عيونهن الى الرجال
ويماوجن أردافهن ، ريتكلمن لغة جزيرة غولبورن

جزء من الاغنية التاسعة من سلسلة جزيرة غولبورن ، ترجمة الاستاذ رونالد برندت ، ١٩٧٦ .

وعندنا أيضا (البيض) :

تقصـــدني حبيبتي كلــو في بيارتنــا العزيزة

وتكتسي الخليقــة كلهــا بنظرة الحب

من قصيدة لتشارلز تومسن أول شاعر استرالي مولود في استراليا ألف ديوان شعر : (أنشودة الى الربيع) ١٨٢٦ .

* * *

واغن Waugun

في وحدتــه

ينحدر غراب من السماء الى الارض

كي ينضم الى ظــله

ان الغداف (غراب أسحم مفترس) كثيرا ما يسمى خطأ بالغراب في البرية ، وهو طائر متوحد . والغراب الصحيح هو طير أصغر منه واكثر منه سربية (١) ويتغذى من الحشرات ، ويساعــد على تخفيض نسبة الذباب .

ان الغداف شديد الشراهة . ونادرا ما يشاهد في سرب . والحق انه شرس ويصعب الاقتراب منه . وله صرخة نافذة عميقة . ويبني عشا كبيرا من حطام الاغصان ، ويحيطه باللحاء والعشب والشعر والصوف ، وتبيض انثاه من أربع بيضات الى ست ، ضاربــة الى الخضــرة وذات نمش .

---

(١) النزعة الى العيش مع السرب أو الجماعة .

« قتلوا مثل الغربان على شجرة » . بهذه الجملة وصفت جريدة (سيدني مورننغ هرالد) في الثاني من تموز ١٨٤٩ مذبحة السكان الاصليين التي جرت قرب (كيرا) عام ١٨٣٨ . وكان المسؤول عن الذبح الرائد جيمس ويمييتنن ، قائد شرطة الخيالة . وكانت مجموعة من السكان الاصليين طعنت بالرماح رجلين وبعض القطيع . وعلى سبيل الثأر هاجمت قوات الرائد نن مخيما لهم على ضفة ساقية ، وذكر الشهود المحليون أن ستين أو سبعين من السكان الاصليين قتلوا . ومنذئذ أصبح اسم ذلك المكان ساقية المسلخ .

* * *

واتيغن Wattigun

يرقب غراب فريسته
من خلف كتلة عشب جافة
ثم يطحنها بمنقاره

واتيغن : غراب

* * *

وايما Waima

وو ... و ...
تطلقها البطة البرية صيحة تحذير
وتحلق فوق قطيعها
الذي يسترق الحب

وايما : البطة البيضاء

يعيش البط البري الابيض في سلاسل الجبال ، والغابات المفتوحة والمياه الداخلية المحاطة بالاشجار . وتأكل البذور والجذور . وحين يكون قطيع البط البري منهمكا بالطعام يحط طير في أعلى شجرة أو يحلق فوق القطيع ويطلق صيحة تحذير لدى اقتراب أي عدو . ويصبح البط اشبه بوباء في مناطق زراعة الحبوب . وهو يعشش في فرع أجوف أو في حفرة في صخرة ، ويبيض عادة بيضتين ضاربتين الى البياض .

ومن الحيل الشائعة لدى عصابات المجرمين تمركز رقيب في مكان بارز ليعطي الانذار ، حين يكون الآخرون كل في شغله أو في مجال النوم . وهؤلاء يعرفون بعصابات الكوكاتو لانهم يحتذون حذو هذا البط البري .

(بيتر كننغهـام سنتان في ويلز الجنوبية الجديدة ، ١٨٢٧)

ووفقا لاسطورة للسكان الاصليين كان البط الاصفر ذو العرف أو الابيض الصغير في قديم الزمان رجلين مكتملين وقـد صنعـوا (ذات الخوار) (١) قرب مستنقع . وقد هزاها كلاهما وأحدثا بها ضجة عالية (وو .. وو ..) . وكررا هذا العمل عدة ايام . ثم قررا أن يكون ذلك المكان الذي صنعا فيه (ذات الخوار) موطنهما .

وكان من عادة جدي أن يلتقط البط البري مع صبيه بواسطة وضع عود كثيف الصمغ على الاغصان التي كان الصبي يعتقد ان الطيور ستحط عليها في الليل . وكانت الطيور تلتصق بتلك القضبان حتى الصباح .

* * *

---

(١) bull - roarer وهي حسب (المورد) ، قطعة خشبية مشدودة الى سير جلدي تدور به في الهواء محدثة صوتا هادرا ، وتستخدمها بعض القبائل البدائية في طقوسها الدينيـة .

اوبــورا Uburra

الثانيــة صباحا . ظــلام .

مساحات الزجــاج تلاحق المطــر باشاراتها

والمظـلات تغتــابه

اوبــورا : المطر الفزير

كان السكان الاصليون يستدعون الارواح الماطرة بانشاد الشعر أو القائه . هي ذي اغنية من هذا النوع من سلسلة (أغاني اراندا للمطر) ، ترجمة الاستاذ تيودور سترهلاو .

أيها المغطى بالطحلب

اطلق عقــال مياهــك !

تعــالي ، يا أعراف الزبــد

تعــالي ، وانتشــري فوق الميــاه

تعــالي ، ايتهــا الاغصــان التي تقطر

تعــالي ، وانتشري فوق الميــاه

تيودور سترهلاو

أغاني وسط استراليا ، ١٩٧٠

* * *

نظرتان في الأدب الأسترالي

أولاً : مهمة الأدب الأسترالي

● ر. سي بالد

ثانيًا: نحو أدب أسترالي

● فنسنت بكلي

ترجمة : محمود فلاحة

آ ـ مهمة الادب الأسترالي

بقلم : ر. سي. بالد (*)

من الظلم البين اعتبار الادب الاسترالي شيئا نشأ من فراغ ، فهو ، مهما بلغت الذرى التي سيصل اليها ، سيبقى دائما جزءا من التراث الانكليزي العظيم وفرعا من الادب الانكليزي . إن شيكسبير ودون وكيتس

(*) ر. سي. بالد R. C. Bald (١٩٠١ ـ ١٩٦٥) : اديب ودارس استرالي ، ولدفي في مدينة كيو kew بولاية فكتوريا ، وعمل مدرسا للادب الانكليزي في عدد من الجامعات الاسترالية والامريكية ، ومنها جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة (١٩٥٢-١٩٦٥). ومن مؤلفاته : « تأثير دون Donne على الادب الانكليزي » . ودون شاعر بريطاني (١٥٧٢ ـ ١٦٣١) ، وصفه الاديب المعاصر له بن جونسون انه الشاعر الاول في العالم في بعض الامور » .

يخصوننا كما يخصون اي انكليزي أو أميركي ، واذا كانوا لا يعنون شيئا لنا فهذا هو الامر الاسوأ لنا . على أن هذا لا يعني أنه يجب الا يكون هنالك تراث استرالي ايضا ، فالحقيقة أن غياب أحدهما يكون سبب أسى لنا .

ان الصعوبة التي يواجهها القارىء الاسترالي العادي ، وكثير من الكتاب الاستراليين ، هي أن محيط الشطر الاعظم مما يقرأه شيء لم تكن له خبرة به او تجربة مباشرة معه ، والنتيجة هي أن عقله ، وبلا وعي منه ، يلقي عليه نوعا من الخيال غير الحقيقي والذي لم يعنه الكاتب أساسا قط . واذا تفهم الكاتب ، الاكثر ثقافة ، تفهما وديا متعاطفا فقرة وصفية عند وردزورث Wardsworth أو هاردي Hardy ، من غير أن يفهم دقائقها الا تخمينا ، فان القارىء العادي لقصة متوسطة المستوى ، غير المعتاد على اي شيء سواها ، يتقبل الخلفية الانكليزية أو الاجنبية فيها كعرف أدبي (وكما قلت كخيال غير حقيقي) . لقد تأصلت العادة الى هذه الدرجة حتى بات هذا القارىء ، وما لم يوضح له بقوة وحيوية تكفيان لجعل بيئاته ومحيطاته لا تنسى ، ينظر بازدراء الى قصة يسير البطل فيها نحو « بلوك Block » بدل البيكاديللي Piccadilly ، أو يركب القطار الكهربائي الى مالفيرن Malvern بدل امتطاء المترو الى هامبستيد Hampstead

والفكرة التي أود التركيز عليها هي أن الكاتب الاسترالي قد امتلك ناصية مادته ، وهي الحياة من حوله ، امتلاكا يكفي لاقامة تقليد ووضع مثال يستطيع كتاب آخرون أن يحتذوه ويتطلعوا اليه . على أن هذا أمر أساسي قبل أن يتمكن الادب في استراليا من التمتع بأية حيوية، وعدم فعل ذلك ، حتى الآن ، هو سبب خيبة الآمال الكبرى التي كثيرا ما توضع على الادب الاسترالي . ومنذ اقتباس بارون فيلد Barron Field من جوزيف هول Joseph Hall التالي :

لقد غامرت أنا أولا ، فاتبعنـي أنت يا من تشـاء ،
وكـن الاسـترالي المتسـاوق الثـاني

ومنذ دعاء ويليام شارلز ونتويرث William Charles Wentworth لميـوزة Muse ، إلهة الفن والغناء الاغريقية ، أن :

تهـب وتمنـح أغنيـة ميلتـون الاسـترالية

لتنسـاب عميقـا وتمتـد غنيـة مثـل باكتولوس
فيقـوم شـكسبير أسـترالي يكـون

لصفحتـه الحيـة عـن الطبيعـة الحقـة
السـحر في كـل عصـر ،

وان يحلق بينـدار Pindar أسـترالي جرىء
الى حيث لم يصـل نسـر طيبـة مـن قبـل .

وحتى تعبير برنارد أودود Bernard O'Dwod الاكثر ارتيابا بالامل بعد حوالي مائة سـنة :

هـل أنـت مـن أجـل النـور والضيـاء

ومزيّـن بالزيـت في مكانـك

أم أنـت ارادة حزمـة قشـن

تطفـو على مطلـب سَـبِخ ؟

أم دنيـا جديـدة للجشـع ومحـب المـال كـي يغزوهـا ؟

أو أن جنـة عـدن الالفية تختبـىء تحـت وجهـك ؟

منذ هؤلاء جميعهم ثمة وفرة من الكتابة ، ولكن عمليا وواقعيا لم تكن اي منها ذات قيمة خالدة . فبالنسبة لمعظمنا الآن فان شعر العصر الفيكتوري ثانوي القيمة جد سيء ، ولكن كم من الشعراء الفيكتورين يمكن أن يقارن بهم غوردون . Gordon وكينـدال kendall ؟ اما **بالنسبة** « لمدرسة النشرة » فان ايا من شعرائها لا يصل الى مرتبـة « كيبلنغ » ثانـوي .

إن عجز هؤلاء الكتاب ، عن امتلاك ناصية مادتهم وايجاد تقليد ، يمكن ، وبسهولة تامة ، تقديره بنظرة خاطفة الى مواقفهم مـن مناظر الطبيعة الاسترالية . فاشارة غوردون السيئة الى :

الاراضي حيث البراعـم الجميلـة بلا رائحـة

والطيـور الزاهيـة لا تشـدو

لتدل على الافتقار الاساسي للتعاطف والمودة ، وكيندال ، وهو أساسا أكثر دلالة ولكنه ابتلي بالاسوأ من رذيلة سو بنبيرن ، فقد كل دقـة في متاهات الالفاظ ، وبات ، حتى في أفضل أشعـاره ، غامضا غير واثـق بنفسه ، انه يقول :

على ذرى التلال ، وعلى القنن المخروطية ذات الابراج

وهـي الهياكـل الرئيسـية للرعـد ،

أنـت العاصفـة ، مثـل شـبح ، في خضـم الترصـد

وهي تنزلـق الى الاعلـى والى الاسـفل .

والبحـر ، وهـو أبيض يحلق عبر السحب والامطـار ،

قفـز بوحشـية علـى البـر ،

وطائر الزقزاق ، الذي تشبه صرخته ثورة الغضب الممزوج بالالم ،
تشكى في بلاد البربر .

صحيح أن ثمة ، لدى بعض الكتاب الاحدث ، علامات على أن الشعراء يستوعبون مادتهم استيعابا أكثر دقة واحكاما كما في سوناتا أودود التي اقتبسنا منها من قبل ، أو في قصيدة « بلادي » المحببة عن جدارة للشاعرة دوروثيا ماكيلر Dorothea Mackeller .

ومهما يكن من أمر فان الرجل الذي منح الشعر الاسترالي ما هو بحاجة اليه من زخم وعرف وتقليد ترك هذه البلاد الى أوروبا منذ زمن طويل . ومع ذلك فان و. ج. تيرنر W. J. Turner قدم للشعر الاسترالي ما لم يفعله غيره ، فأحد القراء على الاقل ، حين قرأ قصيدته « باريس وهيلين » لدى ظهورها لاول مرة ودون أن يعرف أن كاتبها كان ، في يوم ما ، على مقربة من استراليا ، أحس عند قراءته الابيات الاولى . (على رغم تصويرها الكلاسيكي المثالي وتقليدها الواضح للابيات الاولى في قصيدة هيبريون Hyperion للشاعر كيتس) بما يلي : « أعرف أخدودا في منطقة داندينونغ شبيه تماما بهذا » . ويمكن تصوير قوة لمسته والوثوق بها ، والاستيعاب والتمثل الكامل لمادته وحيويته ، وهي جميعها نتاج تذكره الكثيف ... يمكن تصويرها من فقرة في قصيدة ثانية له هي « البحث عن العندليب » حيث يصف منظرا كهذا وصفا أكثر صراحة ومباشرة :

الى جانب جدول ضحل المياه كثير الحجارة جلست
في اخدود عميق في أسفل تلة
وراقبت المياه وهي تسيل رقيقة

بين الطحالب فتهز الخصلات القصيرات لشَعْرِ العذارى ،
وتتدحرج على أجساد الحجارة الباردة .
ومنحوتة ، نحتاً واضحاً ،
فوق كتف تلك القمة الشاهقة
تنتصب الأشجار وهياكل الضوء الهشة
عالية في فقاعة تَفَحَها حَجَر" خيالي .

وتحت ذلك القوس الشفاف اللا ـ زوردي
كانت التلال والصخور والأشجار
ساكنة غير حالمة مثل الكلمة المطبوعة
السوداء فوق صفحة بيضاء كالثلج .

كانت تفريدة طائر سماوي ما
عرفَتْهُ آنذاك هذه البلاد الساكنة ،
وكانت الكلمات غصينات أشجار محروقة مسودة
منها انطلق صوت شجي مبهم خافت ،
كما لو أنه الأغنية التي تترنم المياه بها
وهي تترقرق سائلة .

رفعت راسي ، وحدّقت بالعالم
المنحوت في الحرارة المرهقة التي تقطع الأنفاس
كما في الحجر الكريم ،

وراقبتُ الذبابة ذات الأجنحة الخضراء
عبرَ الفراغ البلوري ، واستقر بصري على الأشجار
التي تألقت في حلم رقيق أزرق شبيه بالسديم ،
وخبا الصوت مع أن المياه رددت دون توقف
على حجارة الجدول ذكرياتها المبهمة .

وأنا توجعتُ آنذاك
لسماعي تلك الأغنية التي صدحت فوق ذلك المشهد .
فرَوعتْ أرضاً لم تصدح من قبل فوقها .

وبالعودة الى الكتاب الذين كان عليهم أن ينشئوا تراثاً وعُرفاً استرالياً ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك ، يجد المرء أن الكاتب الاسترالي ، لا في الريف فقط بل في كل مكان لم يكن مالكا تماما لمادته ولم يكتب اي استرالي شيئا ما جذابا ورائعا وجدّ مميز لاستراليا التي يعرفها كل فرد ، مثل الصفحات الاولى لرواية الكنغر kangaroo التي كتبها د. هـ. لورنس. فالى جانب هذه الصفحات تبدو أي من الفقرات الوصفية لنقل في « السيدتان بارنارد وايلدرشو » ، لا في رواية « البيت المبني » سيئة السمعة ، باهتة هزيلة ، أو قارن بها أبيات غوردون التالية :

في شارع كولينز ينتصب عالياً تمثال ،
تمثال عالٍ فوق عمود من الحجر
يَروي حكايته العظيم والصغير
من الغبار المتجمع من نفاية الرمال النائية . . .

وهذه مأخوذة من ت. س. ايليوت T. S. Eliot .

مدينـة مصطنعـة زائفـة ،
تحت الضبـاب البنـي لفجـر شـتائي ،
انســاب جمهور فوق جسـر لنـدن ، جمهور كبير العـدد ،
لم يدر في خلـدي ان المـوت قد استثنى هذا العدد الكبير .
نـدّت تنهـدات وانـات قصـيرات متقطعـات ،
وركـز كـل رجـل عينيـه أمام قدميـه .
انسـاب الجمهـور صاعـدا التلـة ،
ثم هابطـا الى شـارع الملـك ويليـام ،
الى حيـث تحافظ القديسـة مـاري وولنوث على الموعـد
مع الصـوت المتلاشـي لآخـر دقـات الساعة التاسـعة .

والمفارقة هنا مضحكة ، فحتى لو قارن المرء قصيدة « مَضَى » ، التي أخذت منها أبيات غوردون ، مع أبيات حول الموضوعة نفسها للسيد ليونيـل هونسـون (وهو شـاعر صغير ثانوي من العصر الفيكتوري) ، وعنوانها « عند تمثال الملك شـارلز في شارينغ كروس » لكانت المقارنة لصالح غوردون بنسبة أكثر قليـلا .

إنني غير واثق تماما أن الشاعر الاسترالي يعرف أين يقف في مسألة الاسلوب ، ففي كثير من أعمال الكتّـاب الأوائل كان هذا الاسلوب ، عن وعي ، « شاعريا » ، على حين أن مدرسـة كيبلنغ kipling ، وفي رد فعل طبيعي ، أثرت على اللون المحلي ، وانزلت أعمالهم الى مستوى النظم

باللهجة العامية . وهنا لا تزال ثمة مشكلة لا بد من مواجهتها ، فعصفور الذعرة (*) Willy - Wagtail ، على سبيل المثال ، جدير أن يُخلَّدَ شعرا اذا خلّد اي طائر آخر ، ولكن ثمة خطر حقيقي ، وهو أن اسم هذا الطائر سوف يبقيه بعيدا عن إطار الشعر .

صحيح أن الانعكاسات والافكار السائدة ترقى الى ما هو أكثر من حقيقة أن استراليا لمّا تنجب بعد كاتبا عظيما حقيقيا ، بيد أن المشكلات والصعوبات المطروحة ، التي لا بد من التغلب عليها ، جديرة بأكثر الانتباهات جدية من جانب الذين يكتبون في استراليا حاليا . ولا ريب أن مواجهتها بشجاعة سوف تسهّل جدا مهمة الكاتب بالدرجة الاولى اذا أريد له أن يظهر أخيرا ، فتطور شيكسبير كان سيتعرقل جدا ويتأخر طويلا لو لم يكن هنالك مارلو Marlowe وغرين Green وكيد kyd ، ولكن عملهم الطليعي أنقذه من مصارعة المشكلات التقنية التي ربما كانت ، لولاهم ، ستستهلك قدرا كبيرا من حيويته .

* * *

(*) عصفور صغير الجسم ، طويل الذنب ، دائم الحركة ، وكأنه مذعور دائما .
(المترجم)

ب ـ نحـو أدب اسـترالي

بقلـم : فنسنت بكْلـي (*)

باديء ذي بدء اود ان أوجه بعض الاسئلة عن امكـان وجـود أدب أسترالي كموضوع للتعليم والمناقشة الرسمية في الجامعة .

وهذا السؤال العام يجب تمييزه ، تمييزا جليا ، عن سؤال آخر : هل هناك أدب أسترالي ؟ وبه أعني السؤال الـذي طالما سـأله الاناس « الأعلون » ، ومنهم الاكاديميون :

أدب أسترالي ؟ من المؤكد انه لا يوجد . ويضيفون . وهل هناك شيء يجدر بالأسترالي أن يقرأه ؟ وهل هناك . على أية حال ، مؤلفات كافية ذات خاصية مقبولة لنا كي نبرز خصائص مصطلح « الأدب » ؟

ان هذا سؤال قد أسهِبَ في الرد عليه ، فالحقيقه ان مؤلفات كثيرة ظهرت خلال المائة والخمسين سنة الماضية وتتطلب درجة ما من الانتباه النقدي . ومن الحقيقة أيضا أن معظم الاستراليين يجهلون وجود هـذه المؤلفات أو قوتها المناسبية ، ويمكن أن يوجّـه اللوم ، مثلا ، الى جهل طلبة الجامعات في ذلك . واحدى نتائج هذا الجهل النسبي هي أننـا لـم ننـمّ ، الى حد ما ، آثارا مقنعة من الكتب أو عادة النقاش النقدي القادر على التعامل مع هذه المسائل التي يقدمها لنا وجود هذه المجموعة مـن

(*) فنسنت بكلـي Vincent Buckly شاعر ومدرس للادب الانكليزي في الجامعات الاسترالية ، ولد في بلدة رومسي في مقاطعة فيكتوريا سنة ١٩٢٥ ، وصدرت لـه عدة مؤلفات ومنها : « أركادي وأماكن اخرى » (ديوان شعر) و « مقالات في الشعر » و « الشـعر والاخـلاق » .

الكتب ، فلدينا من ثمة عدد قليل من النقاد ، ولكن لدينا ، بالمقابل ، عددا كبيرا من الملقين الحماسيين . واحد اسباب نقص الوعي ذاك بين الفئات المتعلمة عامة واحد لا يزيد في موثوقية هؤلاء الملقين او الكتاب الذين يتجمعون في الجمعيات الادبية ، انه هذا : فمنذ أن مدح ماركوس كلارك اشعار أ. ل. غوردون بسبب « استراليتها » نزعنا الى أن نمدح وندفع ونروج للمقالة ذات المستوى الادنى على أسس « استرالية » ، وهكذا عرضنا للشبهة بعض الحقوق او انتقصنا من مكانة المستوى الاعلى . وقد فعلنا ذلك ، بالطبع ، تحت انطباع اننا كنا مُعينين ومُساعدين عموما ، ولكننا أخفقنا في التمييز بين نوعين من التعليق النقدي : ذلك الذي هو تعليق ليس الا والمرسوم لجلب جمهور للكاتب ، والذي هو نقد حقيقي مرسوم ليبين ويحدد خاصية الحياة في عمل الكاتب ، وهكذا لوضعه ، مهما كان ذلك مؤقتا وبشكل غير رسمي ، في مرتبته الصحيحة . ونحن لطالما مارسنا النوع الاول الذي هو ، في خير حالاته ، نوع من المودة ورقة القلب وفي أسوأ حالاته نوع من دفق الكلام الطويل . ونتيجة استخدامنا تعابير مبالغ فيها لمدح الاثر الادنى أو الكاتب المتوسط هي اننا ننتقص من مكانة الكاتب الجيد ونضعف المطالبات بالعناية والاهتمام اللذين ربما كانت كافة هيئة الادب الاسترالي أو تراثه ستقوم بهما .

ونحن ، في هذه اللحظة ، غير معنيين بضعف غالبية النقاد الاستراليين ، فأنا لا أثير السؤال التالي : أيمكن أن يقال إن لاستراليا ادبا ؟ بل السؤال الآخر : أيمكن القول ان ثمة مجموعة من الادب الاسترالي عرضة للتدريس الرسمي في الجامعة ؟ والجواب عن هذا السؤال لايعتمد، أولا يعتمد ببساطة ومباشرة ، على الجواب الذي نرد به على السؤال

الاول ، بل على العكس ، فهو سؤال تجب مناقشته وفق شروط نوع مكان الجامعة الحديثة وضمن شروط الموقف الذي يتخذه أدبنا الحالي .

فالجامعة تتمتع بسلطان قوي تستطيع به أن تمنح أي عمل ، يدرس دراسة جادة ويناقش مناقشة نقدية في دائرة اللغة الانكليزية الخاصة بها ، صفة مميزة ، فاذا اختير مؤلف ما للدراسة الخاصة ، وسمي في كتاب نصوص الادب ، وزكّي كي يشترى وتلقى محاضرات عنه ويناقش في الدروس الخصوصية فان الافتراض الطبيعي هو أنه كتاب هام للطلاب كي يقرأوه ويناقشوه ، وأعني أنه هام للطلاب أنفسهم وأنه ليس جيدا فقط لبعض التجريديات والذي ناعوه الادب الاسترالي . أن جعل مؤلف ما جزءا من مقرر جامعي ، وحتى من مقرر يكون أحد أهدافه اقامة قاعدة مقررة في الكتابة الاسترالية ، لمن أجل الايحاء أن هذا المؤلف هو ، من قبل ، جزء من هذه القاعدة . فهل هنالك مؤلفات ، وهل هنالك مجموعة من المؤلفات أو من التراث المؤلفاتي ، أنتجت في استراليا نرغب في أسباغ هذه الطبيعية القاعدية عليها ؟

لنعالج أولا نقطة تمهيدية : فأنا واثق أن ثمة مجموعة من الادب الاسترالي يتميز كمجموعة ، وترتبط أجزاؤها بروابط وثيقة مميزة . ولكنها أصغر مما يفترضه بعض الكتاب والمتحمسين الاستراليين عموما ، واكبر مما يفترضه الاكاديميون الاستراليون عموما . وهي تتجنب مسألة دعوتها ، كما اعتاد أناس كثيرون ، بتراث استرالي أو بالتراث الاسترالي . فبعد العمل الذي قام به نقاد مثل ايليوت Eliot وليفيس Leavis أصبحت كلمة « تراث » لفظة تبجيلية تقريبا وعلينا الا ننسى كليا استخدامها لها ، والقول ان المؤلفات تؤلف أو تمثل « تراثا » هو لخلق

ايماءات كبرى من الموافقة عليها . وهكذا ، لنقل أن ثمة في خير الروايات والقصائد الاسترالية بعض الارضية المشتركة المدركة ونسيجا من المواقف المشتركة تصل أحيانا الى حد التأثير والمواقف المشتركة المعينة والقناعات والقيم والاخفاقات .

فلو تناولنا خير الكتاب الاستراليين : فيرفي Furphy وريتشاردسون Richardson وهيربرت Herbert ودارك Dark وبالمر Palmer وباتريك وايت Patrick White في القصة ، وبرينان Brennan وسليسور Slessor وهوب Hope وجوديث رايت Judith Wright ونيلسون Neilson وماك اولي Mc Auley في الشعر ... لو تناولناهم لوجب علينا أن نجد مجموعة من الاعمال هي مختلفة ، اختلافا واضحا ، في نزعاتها وأغراضها ومفاهيمها المسبقة عن خير الاعمال الانكليزية في فترة موازية ، بل وعن خير الاعمال الكندية او الافريقية الجنوبية أو النيوزيلاندية . ولا أعني أن هذه الاعمال الاسترالية جميعها تشترك بطريقة واحدة في النظر الى الانسان او في ادراك الشكل الادبي ، اذ حيث يكون ذلك النوع من التقاليدية قويا وقويا جدا ، في المستويات المتوسطة من كتابتنا ، يختلف الفنانون ، الذين ذكرتهم ، الواحد منهم عن الآخر تماما على المستوى الذين يكون النظر فيه الى القناعات المشتركة صحيحا ومقبولا ظاهريا . لا ، فالعلاقات فيما بينهم أكثر لا ــ تحديدا وأشد غموضا من ذلك ، ولا بد أن تبقى الآن غير محددة او موضحة .

وقد نرى سمات مميزة معينة يشترك فيها ، على الاقل ، معظم هؤلاء الكتاب . وصحيح القول ان مجموعة العمل التي تصل اليها

مؤلفاتهم ، اي الادب الذي تشكله ، فيها شيء مميز ما ، وقد يكون هذا ، في حد ذاته ، سببا لدراسة الادب الاسترالي كمجموعة ، ولكن من الضروري أن يكون المرء حذرا ، اذ أن هذه الصفة المميزة ، مهما كانت ليست من النوع الذي يجعل الادب الاسترالي أدبا مستقلا بذاته ، وبالتالي موضوع دراسة مستقل ، فكامل تطور الادب الاسترالي قد حدث منذ الحركة الرومانسية في الادب الانكليزي ، وحدث من ثمة في ظل تلك الحركة . وأرى أن هنالك بعض الاسس ، وإن كانت ليست محددة جدا ، للقول أن تطور هذا الادب ، بوصفه أدبا تابعا ، قد تبع تغيرات في الادب الانكليزي بتلك الفترة نفسها ، وهو جزء من الادب الانكليزي لتلك الفترة . فأدبنا ، على الاقل ، ليس مستقلا بذاته بكل معنى الكلمة ، ولو أخذنا الكتّاب الذين ذكرتهم لرأينا أن لكلٍ منهم ، على رغم وجود بعض السمات المشتركة فيما بينهم ، بعض السمات المشتركة مع كتّاب ما وراء البحار . صحيح أن لكل منهم فرديته الخاصة ، أي أن أيا منهم ليس ظلا لكاتب أمريكي أو بريطاني ، ولكن هنري هاندل ريتشارسون Henry Handel Richardson ما كان بمقدورها ان تكتب لو أن نيتشه لم يكتب واذا لم يكن روائيو القرن التاسع عشر الفرنسيون قد رعوا رواية الواقعية النفسانية . كما أن برينان Brennan سيكون مختلفا كليا بدون مالارميه Mallarmé والرومانسيين الالمان . لقد سارت جوديث رايت في الفضاء الفسيح الذي فتحه ايليوت وييتس . وثمة أمور مشتركة بين هوب من ناحية وبين ييتس وسويفت وأودن اكثر مما بينه وبين اي شاعر استرالي فرد آخر . وللروائية ايلينور دارك Eleanor Dark شبه بروائيين انكليز عديدين في هذا القرن يفوق شبهها بأي روائي استرالي سبقها . أما باتريك وايت فيجب التحدث عنه ضمن القرينة

التي اوجدها لورنس وهمنغوي وفولكنر وملفيل كما الحديث عنه ضمن قرينة أساطير الاكتشافات الاسترالية .

وهكذا ، اذا اريد تحليل الادب الاسترالي كمجموعة مستقلة منفصلة تماما فلا يمكن ذلك على أساس انه ادب مستقل ومنفصل كليا ، فتمايزه ليس عميقا أو كاملا الى هذه الدرجة ، فبأي معنى يكون ممكنا وجود ادب استرالي كموضوع منفصل لتحليل خاص في الجامعة ؟ وهل هنالك موضوع يدعى الادب الاسترالي ؟

لا ، والارجح جدا لا ، ولكن لا بد لي من القول ، اولا ، انه ليس ثمة موضوع يدعى « الادب الانكليزي » أيضا ، بل ، وبمعنى ما يوجد هذا الادب وبمعنى آخر لا يوجد ، فتاريخ انكلترا هو ، افتراضا ، دراسة ما حدث في انكلترا ولها . مع أننا ، بدراسة « الادب » الانكليزي ، ندرس أعمال الاسكتلنديين والارلنديين والويلزيين والامركيين والبولونيين . وايليوت وييتس وجيمس وكونراد رباعي ويا له من رباعي ، وأي منهم ليس انكليزيا غير ان سؤال أية كتب ، وبأقلام أي كتاب ، كان علينا أن نوافق على تضمينه في موضوع دعي بالادب الانكليزي ليس بالسؤال الذي اثيره هنا ، فأنا أريد أن أقول ، بمعنى ما ، إن أي أدب لا يشكل موضوعا ، انه ليس موضوعا بمعنى معظم الموضوعات الجامعية الاخرى ... انه ليس موضوعا يمكن أن يحد بحدود الحقائق التي يحتوي عليها ... انه ليس موضوعا يمكن تحديده ، على الفور ، بتعريف ، ... انه غير سهل القياس بأية وسيلة ، وهكذا لا يمكن تدريسه بسهولة ، فتدريسه ليس مجرد تدريس حقائق او تقنيات أو الآراء المجربة التي خضعت للاختبار ، فهو علاقة شخصية غامضة وصعبة بين المدرس والطالب ، لا يدرس فيها أساسي الموقف والبحث والنهج كثيرا بل تشرب بالاتصال والمشاركة ..

وهو ، بمعنى آخر ، لا يزال موضوعا ، وبذا يمكن فصلـه عـن الدراسات الشقيقة له ، وقد يشتمل على كونراد وييتس ، ولكنـه لا يشتمل على مـانزوني Manzoni وراسـين Racine ، ونحـن على الاقل نعرف ذلك كثيرا ، فنستطيع أن نكتب بتحديد رشـيد وعقـلاني التواريخ الادبية المقصورة على الكتابات الانكليزية . كما نستطيع تتبـع التأثرات مـن جيل لآخـر ، ونقاون بين الكتّـاب ، ونستنبط المواقف المشتركة ، ويتم كل ذلك ضمن مجموعة الاعمال التي لا نحددها تحديدا سخيفا منافيا للعقل أو نعنف عليها حين ندعوها « بالادب الانكليـزي » لا باسم آخر . فهذا هو نوع الموضوع الذي نعنيه ، ولدينا خبرة عدة عقود زمنية من تدريسه من اجل ترسيخ إدراكنا وفهمنا لما ندرس ولما هـي حـدوده .

ولكن الادب الاسترالي ، كدراسة جامعية منفصلة ومستقلة ، يبدو مسألة مختلفة ، فنحن ، من ناحية ، لسنا مقتنعين بتدريسه من أجـل ترسيخ فهمنا وادراكنا لطبيعته ولحدوده اذ أنه لم يُدرس قط ، والكتابة الاسترالية ، من ناحية أخرى ، ليست ذات تاريخ طويل وغني كاف لنـا كي نتتبع فيه معقد التأثيرات والعلاقات كما نستطيع تتبعها واقتفاءهـا في التاريخ الادبي لانكلترا . وكثيرا ما نفترض وجود هذا التعقيد ، ولكن ذلك ليس سوى وهم وطني ، فهل علينا ان نقول عن ريتشارسون ، مثلا، انها جزء من الادب الانكليزي لا الاسترالي لانها عاشت وكتبت ونشرت في انكلترا اعمالا نصفها اتخذ لاوضوعه حالات أوروبية لا استرالية ؟ او أن علينا ان نتمسك بكل ما نستطيع،اي بالمنفيين امثال رتشارسون والزائرين امثال د. هـ. لورنس . ان هذه الامور جميعها صعبة جدا ، اذ من المؤكد

ان احدى خصائص اي نظام جامعي هي أن يكون قادرا أن يحصر بدرجة ما من التحديد والتعريف ، فهل يمكن حصر الادب الاسترالي او تجديده بهذه الطريقة ؟

من المؤكد ان الافتراض الاكبر كان ، وبشكل متزايد خلال العشرين أو الثلاثين سنة الماضية ، أن ثمة ، أو يجب أن يكون هناك ، موضوعا يدعى الادب الاسترالي ، وذلك لوجود مجموعة من الكتابات معترف بها انها استرالية وليست أي شيء آخر ، وعلى جامعاتنا واجب دراسته وتعليمه . وقد منح بعض النقاد ، مثل ب. ر. ستيفنسون ، هذه الفكرة انتشارا بعنف « استراليتهم » وانغلاقيتها . ولكن « الاسترالي العدواني » هو شعار غامض حين لا يبقى من يستاء من توكيد امرىء ما على « استراليته » . وقد أصر ستيفنسون على أن هناك ، أو سيكون هناك ، ادب استرالي مميز ، أو أنه ، في وقت ما الآن ، سينضج أو يتم الاعتراف به . وهو لم يكن أول من فعل ذلك ، « فالتسعينات » من القرن الماضي كانت مليئة بمن قال ذلك ، رغم أن بعض النقاد الحديثين ، أمثال فانس بالمر Vance Palmer ، أشار الى الطبيعة الاسطوريةلهذه «التسعينات»، وقد أكد آرثر فيليبس Arther Phillips حديثا على « العلاقة الاسرية » بين الادبين الاسترالي والانكليزي . وكان ستيفنسون في وضع الابن الاصفر الساخط الذي حرم من الميراث . ونحن الآن اكثر واقعية بل اكثر حذرا ، اذ ليس ثمة ثروة ادبية كبيرة نستطيع ان نستغني عنها بسبب مساعدة مهما كان مصدرها .

ومهما يكن من أمر فان وطنية ستيفنسون تصل الى حد القول : « هنالك أدب استرالي لانه سيكون هناك » . وبشكل ما فان اصرار اناس

مثله قد انتج ، ان لم يكن الموضوع نفسه ، ضرورة التصرف كما لو أن الموضوع موجود على الاقل ، وأذا كان المطلب قويا جدا فان شيئا ما يقدم، ولا أقول هذا بسخرية ولكن بما آمل أن يكون احساسا واقعيا بالقوى العاملة لاحداث دمج للادب الاسترالي في الدراسات الجامعية . فالمناقشة حول الادب الاسترالي ، رغم انها لا تزال مشوشة ، قد وصلت الى حد ضرورة وضع مبادىء وقواعد تقييمية لكتابنا ، ولا اعني بها معاملتهم وفقها تماما ، أو أن تكون هذه نسخة عما في الاكاديمية الفرنسية ، بل لايجاد بعض الاتفاق على قيمتهم النسبية على الاقل . وهنالك حاجة ايضا لبعض الربط بين الادب الاسترالي والتاريخ وعلم الاجتماع الاستراليين اذا أريد وقف اغراق الادب الاسترالي بالمعايير والمصالح السوسيولوجية. فبربط كهذا قد نبدأ بكشف ما هي قوتنا الادبية والغاء الحاجة الى الندم والتوبة . وهنالك حاجة ايضا الى الكتاب المتدربين المتمهنين ، الذين كثيرا ما يوجدون في الجامعات ، لتزويدهم بتحليل للجو الذي فيه سيكتب عملهم ويستقبل . وهذه اسباب مقنعة لدراسة الادب الاسترالي ببعض الشكلانية ، ومن المؤكد انها اسباب خير من العزم على تزويد دائرة التعليم في مقاطعة فكتوريا ببعض الدعم من أجل مدرسيها .

أن بعض الناس يرى هذه الاسباب جميعها ، ولكنه يعطيها شتى انواع الوزن . وأنا ، شخصيا ، مهتم جدا بالسبب الثالث ، ولكن من الضروري اقامة المزيد من التمييزات بين هذه الحجج لرؤية أي منها هو الاهم ، فاذا استطعنا تقرير ذلك ربما نكون في وضع أفضل لرؤية كيف ، وتحت أي وجه ومظهر ، نستطيع تعزيز دراسة الادب الاسترالي في الجامعة ، وقد نرى ايضا أية قواعد اخرى ، اذا وجدت ، يجب ان تلعب دورا في مساعدتنا على جعل هذه الدراسة دراسة بأية حال .

فكيف ، وتحت أي وجه ومظهر يجب أن يدرس الادب ؟ قبل أربع سنوات أقيمت ندوة في مجلة مينجين Meanjin حول هذا الموضوع ، وبدأت بمقالة ا. د. هوب وعنوانها « الادب الاسترالي في الجامعات » ، وقد علق على مقترحاته اساتذة اللغة الانكليزية في مدينتي سيدني وأديليد Adelaide ، ثم قيمها السيد فانس بالمر والاستاذ ا. موريس ميللر ، وأحدهما شيخ الادب الاسترالي وثانيهما شيخ البيبليوغرافيا الاسترالية ونائب المستشار التسماني السابق .

ان الاشكال في هذه الندوة هو انها لم تكن قط تبادلا في الآراء ، فكل من شارك فيها ، ما عدا الاستاذ ا. ن. جيفرز الذي كان مدافعا قويا عن سجل جامعته في مسألة الادب الاسترالي ، وافق بأدب على آراء الاستاذ هوب ، وكانت النتيجة أن بعض القضايا لم تدرس دراسة دقيقة . على أن الشيء الهام ، في تحليل هوب ، هو اننا حصلنا على ترابط ثلاث نقاط ، كثيرا ما كانت تربط ولكن بطريقة أقل اشراقا واحكاما جدا مما ربطها معا الاستاذ هوب ، وأعني : الاقتراح بأن على الجامعات الاسترالية أن تدرس الادب الاسترالي لانه استرالي ، والاقتراح بأن الدراسة يجب ان تنفذ كجزء من دراسة الظروف والاوضاع الاجتماعية الاسترالية او «الحضارة» الاسترالية ، والاقتراح بأن الدراسة ، بسبب طبيعتها ، يجب ان تكون دراسة جامعية عليا وليست نشاطا قبل التخرج الجامعي .

وقد وضع الاستاذ هوب هذه القضايا الآن معا وبشكل قوي مقنع ، ولكنني لا اعتقد اننا نستطيع ترك هذا الامر حيث تركه هو ، وربما استطيع الاشارة الى غموضات معينة في موقفه بأن استشهد بما قاله فعلا . فبعد أن قدم اسبابا جيدة لعدم ادراج الادب الاسترالي ، حتى الآن ،

موضوعا في الدراسة الجامعة ، ولم يجب ان يصبح الآن كذلك ، ولم يجب الا يشكل جزءا من مقرر اللغة الانكليزية النظامي فيصبح بديلا لدراسة الادب الانكليزي سنة واحدة ، ولم من ناحية أخرى لا يمكن ان يكون مقررا كاملا بذاته أضاف :

« وهنالك ، حتى لو أقررنا بهذا ، ضجة لدراسة الادب الاسترالي كموضوع مستقل ، ففي سياق صيانة التقاليد الثقافية قد تكون المطالبات بدراسة الادب الانكليزي تفوق جدا المطالبات بدراسة الادب الاسترالي . ولكن من الحماقة تجاهل حقيقة أن في أدبنا المحلي الوطني شيئا هاما يسهم به في حقيقة انه « أدب وطني » : اي أن الحضارة وطريقة الحياة ومشكلات هذه البلاد هي مشكلاتنا ، وانه من خلال الادب تعبر الحضارة عن نفسها ، ومن خلال الادب تدرك قيمها وميولها وتصبح قوتها الخلاقة بليغة جلية . وحتى لو نوقش ان التقاليد الثقافية لاستراليا لما تصبح بعد هامة لا يزال صحيحا وهاما جدا للاستراليين أن يتفحصوها . . .

« ولكن الجامعات أقيمت لغرض آخر غير تعليم الافراد ، فقد وجدت اساسا لتعزيز الدراسات وتقدم المعرفة في شتى الحقول ، وهي ، وكما توحي اسماؤها ، وجدت نظريا على الاقل لتعزيز الدراسات في حقول المعرفة كافة . ولا تستطيع اية جامعة مفردة أن تفعل اكثر من ان تحلم بهذا ، ولكن سيكون لكل واحدة منها موضوعات ذات ادعاءات لا يحس بها ، على الارجح ، بهذه القوة في جامعات اخرى . واحد هذه الادعاءات لاخلاف عليه وهو ادعاء أن الادب الوطني يجب أن يكون موضوع دراسة في جامعات الوطن . فهذه ليست المكان الطبيعي الجلي فحسب لمثل هذه الدراسات ، بل ان الواجب الطبيعي الجلي للجامعات الاسترالية ان

تشرع في مثل هذه الدراسات حتى تأخذ دورها اللائق في فكرة « الكلية » ، اي مجموعة المعرفة الكلية التي لا يمكن ، في وقتنا الحالي ، أن تغطيها مؤسسة جامعية مفردة بل مجموع الجامعات في العالم . ومن جهة النظر هذه لا تكون المسألة هي هل تستطيع الجامعات الاسترالية اقامة دورات في دراسة الادب الاسترالي ، بل هي تعجز عن فعل ذلك . اذا كان عليها ان تقوم بوظائفها . واذا اعترف بالادب واحداً من الميادين اللائقة للدراسة في الجامعات فان على هذه الجامعات أن تدرس الادب ككل حيث يوجد . وان من حق الجامعات الاستراليةو واجبها أن ترى أن ادب بلادها لايشكل فجوة في المجموعة العامة لدراساتها » .

ان الشيئين الاكثر اهمية في هذه الفقرة هما التوكيد والنية اللذان كشفهما استخدام هوب لكلمة « دراسة » ، وربط هذه « الدراسة » للادب بدراسة الظروف والاحوال الاجتماعية أو مشكلات الحضارة . فليس هاما هل يجب ، أو لا يجب ، تدريس الادب الاسترالي ، اذا درس مستقلا ومنفصلا عن الادب الانكليزي ، فنحن جميعا نعرف اسباب رفض تقديم دراسة دنيا كبديل عن دراسة عليا ، كما نعرف الحجج لتطلب بعض الكفاءة والاهلية في الادب الانكليزي قبل ان يقبل الطالب في مفرر أو دورة للادب الاسترالي ، ولتطلب الكفاءة والاهلية في الامر الاعلى قبل ان ينتقل الى الادنى الذي له وجوده ، كما هو دائما ، في ظل الاعلى . اننا ، جميعا ، نعرف هذه الاسباب ، ولكن ما قد يثير الدهشة ، مع ذلك ، هذا التوكيد على « الدراسة » والاقتراح بالدراسة السوسيولوجية التي تضمنتها كلمات هوب .

لقد اشرت الى الغموض في عبارة «تعليم الادب الانكليزي» واقترحت أن الغموض أكبر في حالة « تعليم الادب الاسترالي » . فاي أدب ، على

الضبط ، سوف يعلم ؟ حسنا ، ان هوب يعرف هذه الصعوبة ، ويواجهها بالتوكيد على « البحث » . فماذا يمكن ان تعني غير ذلك اشاراته المتكررة الى الدراسة والدراسات والفجوة في مجموع المعرفة وتقدم المعرفة ؟ فاللغة هي لغة البحث . ونحن نلحظ ، من ناحية ، انه يرى دونية الادب الاسترالي كموضوع يتم من خلاله « تعزيز الفهم النقدي وتحضير الخيال والتصور » ، ولهذا لا يضمنه في مقرر الادب الانكليزي ، ولكنه من ناحية أخرى يتكلم أكثر من مرة عن الحاجة الى هذه الدراسات الاضافية . والمساعدة ، ويفترض انها السير والبيبليوغرافيا والاحصاء، والتي تعتمد عليها الدراسات الادبية . نعم ، ولكن هذه الامور جميعها تترك الادب الاسترالي يبدو مثل احد بيوت المزارع على الحدود الارلندية : اي ان نصفه يتمتع بالحلاوة العشوائية « لجمهورية » النقد ، ويكون نصفه الآخر ضحية امبريالية « الاستذة » الزاحفة . وهكذا ، لا يكون الادب الاسترالي بيتا متوسطا بل كوخا مظلما حقيرا لا يعرف ساكنوه هل أقيم لارضاء المدرسين الاساتذة أم لاغراق النقاد ، وقد يكون الاستاذ هوب على صواب في رأيه ان الادب الاسترالي يجب ان يكون من اهتمامات الطلاب بعد تخرجهم من الجامعات لا قبل تخرجهم منها . انني لا اعرف ، فأنا أفتقر الى الخبرة كي أحكم ، ولكن توكيده على «المعرفة» و «الدراسة» و «الهيئة التعليمية » و « الدراسات الاضافية المساعدة » يبدو ، في سامعي الفوضويين ، منذرا بالسوء ، كما يبدو انه قدر كبير من الضجيج من أجل اقامة بحث ضئيل ، وانه يتجاهل مشكلة التقرير بأي معنى امكن ان يدرس هذا الموضوع ، اذ يفترض ان التدريس على هذا المستوى يعني الحفز على كتابة الاطروحات الجامعية والاشراف عليها ، كما يعني عقد الحلقات الدراسية .

ولكن لعله يعني ذلك ، فقد اشار هوب الى الحاجة لدراسة الادب الاسترالي كجزء من دراسة الحضارة الاسترالية او علم الاجتماع الاسترالي ، وهذا يبدو اقرب الى موضوع ما قبل التخرج الجامعي . او أنه موضوع رئيسي لما قبل التخرج . واستطيع حين يتكلم بتلك الطريقة. ان ارى الفرق قليلا بينه وبين فانس بالمر الذي يقول دون تحفظات مانعة: « ثم لم لاتقام دائرة الدراسات الاستررالية حيث يعالج أدب البلاد فوق ارضية خلفيتها التاريخية والاجتماعية » ؟ وهل من ضمنها الانثروبولوجيا (علم الانسان) ؟ وما معنى « فوق أرضية » ؟

انه تعبير ممتع مشوق ، ويفضل الاستاذ هوب ان يتكلم عن « الحضارة ، وعن طريقة الحياة ومشكلات هذه البلاد » ، ومن الواضح أنه يقف على ارض اكثر صلابة ، ولكنه يبدو كأنه يوحي ان السببين لوضع الادب الاسترالي في مقر جامعي هما : تركيز الانتباه على حضارة هذه البلاد واكمال مجموعة المعرفة ، واعتقد الآن ان علينا ، أولا أخذ هذين السببين على أنهما رئيسيان ، ان نتوصل سريعا تقريبا الى مقرر يعتبر الادب الاسترالي فيه هاما لقيمته كمعين ومساعد في التفسيرات السوسيولوجية . وكما قلت من قبل فان الاسباب ، التي نقدمها لاعتبار الادب الاسترالي على المستوى الجامعي ، سوف تقرر ، دون فضول أو اقحام ، الطريقة أو الوجه الذي سيدرس بموجبه ، وعلى حين أوافق ان الادب الاسترالي كمجموعة ليس لديه ما يمكن اعتباره ، كالادب الانكليزي. مجموعة متميزة تامة في ذاتها ، وتراثا يتطلب استجابة نقدية خاصة وتاريخا أدبيا مستقلا ، لا استطيع أن أكون جد متعاطف ومتحمس للنهج السوسيولوجي ايضا ، اذ ان هذايبدو انقاصيا لا توسيعيا .

واذا أريد انزال المسألة الى قضية فردية فكيف يمكن معاملة جوزيف فيرفي **Joseph Furphy** ، مثلا ، في مقرر جامعي ؟ يبدو ان هنالك ثلاثة

سبل لمعاملته : الاول امكان اعتباره كاتبا فردا قائما بذاته ذا مكانة مرموقة جدير! بالنوع نفسه من النقد الادبي الذي نضفيه على خير معاصريه البريطانيين والاميركيين ولكن فعل ذلك بشكل فعال مؤثر سوف يشتمل على معاملته ضمن قرينة خير معاصريه البريطانيين والامريكيين وبالمقارنة معهم ، وثانيا . وبديلا عن هذا السبيل ، يمكن اعتبار روايته « هكذا الحياة » وثيقة سوسيولوجية توفر الدليل على حالة المجتمع الاسترالي والمواقف الاسترالية النموذجية ، فنتطلع خلالها الى ما يسميه فانس بالمر « الخلفية » ، ونجعل ذلك نهاية تحقيقنا، بينما نثني ثناء هامشيا على قيمته كفنان، او نتحدى العالم الاوسع لتقديم مرشحيه مقابله ، ان كلا هذين السبيلين يبدوان لي النهجين الخاطئين ، لان الاول يبدو غير عملي ، ولان الثاني يبدو مثيرا للبغضاء . أما السبيل الثالث فهو بين الاثنين ، ويشتمل على معاملة فيرفي ككاتب مرموق عن جدارة ، وعلى معاملتنا اياه كممثل للادب الاسترالي بشكل ما ، وسنحلل افتراضا ، « هكذا الحياة » كنوع جديد تماما من الرواية ، فنستطيع القول انه عمل أدبي ، فنجد في الخلفية ، ولكن بشكل غير رسمي ، المناخ الادبي في بلدان اخرى . كما سنتعتبرها وثيقة هامة في تاريخ المواقف والحساسية الاسترالية ، ولكن لن نجعل دراستها ملحقا للتاريخ الاسترالي أو علم الاجتماع الاسترالي، فالمواقف والحساسية ، على اهميتها ، ليست مواقف الاسترالي العادي في الثمانينات والتسعينات ولا حساسيته، فهي مواقف فيرفي وحساسيته ، وربما لاتكون اقل تمثيلا في كونها أعلى جدا من مواقف الاسترالي العادي وحساسيته ، وهكذا ، ولتحليل مطول واقعي لعمله الادبي هذا ، نستطيع ان نشير ، بدقة مناسبة ، لا الى ما اعتقدته شخصياته في كتبه انه وضع استراليا بل الى كشف تطورها واظهاره في مواقفه وحساسيته عالية الثقافة ثم نتابع ، ولا شك ، لنتأمل

ما جناه الكتاب التالون من فائدة منه ولتقويم ما تحلوا به من كفاءة أو عدم كفاءة في ازمانهم هم ، وسيكون هذا تحلبلا ادبيا تمامــا ، ولكــن سيوجهه في جزء من الطريق ، شعور بالطبيعة « التمثيلية » لعمله الادبي. وعلم الاجتماع ، حيث يرد فيه ، يأتي كبعد سليم للنقاش الادبي ، وليس كنظام وضعت صيفه ، في راي تكهنات الادب،من اجل الخدمة. فالظروف الاجتماعية التي كتبفي ظلها الكاتب لا ترى فقط على انها ظروف مجتمع انعكست قيمه في مؤلفه ، بل انها ظروف جهد الكاتب المبدع .

انني ، وبكلمات اخرى ، ارى ان تدريس الادب الاسترالي يتمتع ، في هذه المرحلة ، بهذه المبررات الرئيسية :

● اولا : بوصفه تحليلا ، من خلال المؤلفات الادبية ، لتطور العادات الاسترالية وللافكار والتوقعات لدى الاستراليين .

● ثانيا : بوصفه حافزا على مراجعة الذات كمواطنين وشعب يهمهم الادب ويعتنون به ، وذلك باستخراج المؤلفات ومخططات البحوث القومية من الخزائن والتفكير مليا ، وبشكل نقدي ، بما يعتقد عموما في هذه البلاد انه « تراثنــا » .

● ثالثا : بوصفه خطوة نحو اقامة شيء مثل المعيار او القاعــدة المقررة بين مؤلفاتنا الرئيسية ووضع افضلها ضمن قائمة الآثار الجيدة الموثوقة . وهذه موجودة ، من قبل ، في المؤلفات الانكليزية والاميركية .

● رابعا : والنتاج النهائي للاسباب الثلاثة السابقة هو احداث مكان واضح يستطيع الشبان من كتابنا ونقادنا ان يكتبوا بشكل افضل لانهم سيرون أنفسهم وتراثهم ومحيطهم رؤية اكثر وضوحا .

* * *

مدخل الى الشعر الأسترالي

● جوديت رايت ● إعداد: د. خليل جواد

لعل المصادفة التاريخية التي جاءت بالقارة الاسترالية الى الوجود عشية احتضار تراث أدبي وميلاد تراث أدبي آخر قد ساهمت في عدم الاستقرار والتجريبية في محاولاتها الاولى للافصاح الادبي ، ومع هذا فان التراث الادبي الرسمي قد جهز الكتاب الجدد بالوسائل اللازمة لصياغة تجربتهم الجديدة .

ان الادب الاكثر تأثيرا على الادب الاسترالي لم يكن الادب الرومنتي من جيمس تومسن الى جون كيتس بل النقد الاوغستي ومن بعده القصيدة الغنائية (ballad) . ومع ان القصيدة الغنائية كانت رائجة في معظم انحاء العالم المتكلم الانكليزية فانها لم تجد محيطا يستقبلها بحرارة المحيط الاسترالي ، ويجب الاعتراف بأن الصورة المعروفة لرجل الاحراش الذي لفحته الشمس هي ايضا صورة اخرى للغزو ؛ محاولة اخرى للسيطرة على الارض واستملاكها .

ليس هناك من شك بأن مسألة تأثير القرن الثامن عشر على الادب الاسترالي ليست مسألة بسيطة . حقا ان تومسن يستخدم مفردات شعرية انكليزية خالصة . وحقا ان الشعر الاسترالي ، خاصة في القرن

التاسع عشر ، قلد نماذج شعرية بالية . ولكن شعراء الطبيعة الانكليز في القرن الثامن عشر (خاصة تومسن وكوبر) كانوا نماذج حية لشعراء الطبيعة الاستراليين لانهم برهنوا أنه يمكن الجمع بين المناظر الطبيعية والشعور والتعليم . وقد نقلت مواضيع مثل الفروق بين الفصول ، محاسن العيش في الريف ، رعب الطبيعة البدائية المتوحشة والشعور الناجم عن الوحدة في حضور قوى طبيعية ، نقلت بشكل جاهز الى محيط جديد ، سمحت هذه النماذج باحتمال الوصف الدقيق مع التعليق العام حول العالم الطبيعي الذي نجده في اعمال هاربر ، كيندال ومن بعدهما جوديث رايت .

يهتم شعر تشارلز هاربر مثلا بالصيغ الشعرية واحتمالاتها ، فهو مقلد متميز للنماذج الرومنتية ونماذج القرن الثامن عشر والملامح الشكلية لشعره تناسب مواضيعه وملاحظاته . لقد كان هاربر طالبا جادا في الشعر وأدرك أن الصيغ الشعرية ليست قوالب فقط ولكنها تعبير عن بناء فكر القصيدة .

لقد أظهر شعره الصعوبات التي كان يعمل تحتها «الطيور في الغابة»، ولكنه أظهر ايضا قيمة التراث الذي استطاعوا أن يعتمدوا عليه .

أما في النثر فقد كان تأثير الروايات الرومنتية والميلودرامية ـ روايات دكنز وسكوت مثلا ـ قويا . فقد فضل روائيو القرن التاسع عشر الحبكة المعقدة التي اعتمدت على سلسلة الاحداث المعقدة بتغيير الوقت ، المكان والعلاقات المستترة بدلا من الاعتماد على شخصية مركزية واعتبار تطورها الاخلاقي الموضوع الاساسي . كما استخدم هذا النوع من العقدة في اعمال هنري كنكسلي ورولف بولدرود وماركوس كلارك ، ولكنه كان ايضا ملموسا في كنكسلي ورولف بولدرود وماركوس كلارك ، ولكنه كان ايضا ملموسا في

مقالات نشرت في الجرائد والمجلات وفي الاعمال المسرحية المبكرة. الميلودراما، العاطفة القدر والخطر، كلها مواضيع مزجت بغرابة مع الحقائق حول المناظر الطبيعية، الناس، وصعوبات الحياة في أرض الحلم، الامل والكابوس الحقيقي.

هناك طبعا أسباب تاريخية وثقافية معقدة للمواقف المعروفة عن نمو وتطور الادب الاسترالي. فقد كان له داعون كثر بعد منتصف القرن التاسع عشر. وفي اعوام ١٨٦٠، ١٨٧٠، و ١٨٨٠ بدا النقاد (خاصة ج. ي. بارتون ـ ادب في جنوب والیز ١٨٦٦) مقتنعين ان يصفوا، بدلا من أن يقيّموا، حالة الكتابة الاسترالية. ان عمل بارتون هو بحث على طريقة القرن التاسع عشر. وفي سنة ١٨٩٠ كان الجدل ما يزال قائما بين من يعتقد ان هناك ادبا استراليا على مستوى صغير ومن يشك في صحة هذا الاعتقاد. وفي كتابهما «تطور الادب الاسترالي ١٨٩٨» سأل تورنر وسذرلاند السؤال: «كيف يمكن ان يكون هناك أدب قومي دون وجود أمة؟». هذا السؤال، أو صيغ أخرى منه، شغل أذهان الكتاب والنقاد الى درجة انهم لم يستطيعوا تحديد المشاكل التي يواجهها الكتاب الاستراليون حتى أنهم كانوا غير قادرين على ادراك مدى التقدم الذي احرزوه باتجاه حل مثل هذه المشاكل. من وجهة النظر هذه نستطيع أن نؤكد ان الادب الاسترالي تميز دائما بالآمال المقدسة. ان فكرة الادب القومي قد شغلت النقاد منذ البدايات وحتى اليوم. أحس تورنروسوذرلاند كما أحس غيرهما ـ بضرورة التعريف بالمساهمين في مثل هذا الادب ولكنهما توقفا عند من يناقشان من غير السكان الاصليين، السؤال الذي استمر طويلا وأثر على أهداف الكتاب واحكام النقاد.

ليس من الجديد القول ان الانشغال بالشخصية القومية هو في حد ذاته تقليد. فهي فكرة عامة شغلت في مراحل مختلفة من تاريخهم اقطارا

مختلفة . حتى في الاقطار التي تمتلك تراثا حضاريا فان هذه الفكرة ترفض التعريف . أما في استراليا التي لا يتجاوز عمر تاريخ الادب فيها مئتي عام ، فان اية محاولة لتعريف الخصائص القومية من المحتم ان تكون تعبيرا عن الآمال والاحتمالات وليست حقيقة تاريخية .

كان الشعراء الاستراليون في القرن التاسع عشر ذوي مواهب متواضعة وكان انتاجهم مناسبا لطاقتهم الفكرية والفنية وليس من سبب لان نعترض بأن كتابتهم ستكون أفضل مما هي عليه في محيط ثقافي مختلف. ليس هناك من سبب أن نفترض بأن النفي او الاحساس بالغربة يقفان في طريق ولادة الشعر الجيد . ان احدى علائم فشل الفترة الاستعمارية هي انها فشلت في التعامل بشكل كاف مع مثل هذه المواضيع . هل كان يمكن لكندال الذي اتهم بالكتابة عن استراليا بطريقة انكليزية ان يكون شاعرا أفضل لو أنه ولد في مكان آخر ؟.

قدم الشعراء الاستراليون في الثلاثينات والاربعينات والخمسينات غذاء أفضل للخيال من الروائيين . ومع ان عملهم يختلف في الجوهر والنوعية فان معظمه يتمتع بتجديد في الرؤيا وحيوية في الخيال وطابع الشخصية المستقلة في مجابهة التجربة . والحقيقة تقال ان الشعراء الاستراليون قدموا نموذجا عن العالم اغنى وأكثر شمولا مما استطاع الروائيون ان يقدموا في الاربعين سنة الاخيرة .

ان تفحص الاسماء الرائدة في الادب الاسترالي بعلاقتهما مع التراث الاوربي يعطي معلومات قيمة حول طبيعة ونوع التجربة الاسترالية في العصر الحديث . ففي الشعر مثلا نرى أن خيال أ. ي. هوب قد تأثر بشكل اساسي بالادب الاوربي التقليدي مع أن تجربته العملية في اوروبا

أتت متأخرة في حياته . كما اغنى جيمس ماكلي تأملاته في الادب الاسترالي بخلفية ثقافية عريضة في الادب والفلسفة الاوربية ، كما قرن داڤيد كامبل معرفته العميقة بالشعر الاوروبي والصيغ الشعرية بتجربته الشخصية وملاحظاته عن حياة الريف الاسترالي وتاريخ الاسرة ، وفي ذات الوقت جدد الشعر الاسترالي التقليدي والاساطير المحلية . وهكذا فان اي تحديد للهوية الثقافية الاسترالية وانعكاساتها في الادب لايهتم باغتناء التجربة الاسترالية من منابع مختلفة (من ضمنها حديثا آسيا) ستكون حكما غير كاف .

اما بالنسبة للادب فان التركيز على « الاسترالية » يضيف في احسن الاحوال اعتبارات أدبية الى النقد وفي أسوئها يسبب ضيق افق بالنسبة لاحتمالات الادب الاسترالي . فمع كل ما كتب عن الحاجة الى أدب قومي، عن اقتراحات تعريفه ، وعن السؤال لماذا أتى أو لم يأت الى الوجود نجد أن هناك حجما قليلا جدا من العمل النقدي مركزا على الكتاب او أساليبهم الادبية . ولكن بعد تأسيس المجلات الادبية في عام ١٩٤٠ أنجز كثير من العمل النقدي التحليلي . على ان العلاقة بين الكتابة الخلاقة والنقد بقيت مشوبة . رغالبا ما شعر الكتاب بأن النقاد ينقصهم الفهم والبصيرة وكانوا غيورين وليسوا بالضرورة كرماء في موافقهم . ان الغيرة وحب الحماية يمكن ان توصلانا الى مرحلة تصبح فيها القيم الادبية أقل اهمية من الموقف الاجتماعي .

ولد تشارلز هاربر عام ١٨١٣ والاحداث ، جفري لمان ، في عام ١٩٤٠ . خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة نسبيا حدثت تغييرات غير معقولة في جميع البلدان ولكن ربما شهدت استراليا اكثر هذه الاحداث .

فلم يكن بمقدور الشعراء الاستراليين الاعتماد على خلفية مشتركة مقبولة من التقاليد أو الادب ، ما عدا ما يتعلق بانكلترا . كان أدب انكلترا مرشدا فقيرا لتفسير بلد ونوع حياة غريبين تماما عن أي شيء عرفه هذا الادب سابقا . يربى أولاد المدرسة على نتاج شكسبير وتشوسر وبوب وكيتس ، اما الكتابة الاسترالية فانها اذا ما وصلتهم تكون شحيحة . كل هذا زاد بشكل لا يقاس مشاكل الكتاب الاستراليين ، وربما بشكل خاص مشاكل الشعراء الاستراليين .

كانت المصاعب كثيرة وما زالت جمة بما فيه الكفاية. وكانت الصعوبة الكبرى ـ على الاقل الى حد قريب ـ هي فقدان الصلة الحية مع البلاد نفسها . فقد استوطن استراليا ، في البداية ، المدانون ، الذين نقلوا من سجونهم ، رغم ارادتهم ، الى البلاد ، وكذلك الجنود والمسؤولون الذين لم يرغبوا ابدا في اتخاذ استراليا بلدا لهم . وبعدهم جاء التجار والرجال الماديون المتلهفون الى الحصول على المال والعودة بأسرع وقت ممكن الى انكلترا . واولئك الذين استقروا في استراليا فعلوا ذلك بشكل عام على الرغم منهم . بالتأكيد جاء بعضهم آملا بحياة جديدة ، ولكن اصواتهم مثل صوت تشارلز هاربر ، طغت عليها بشكل عام أصوات الساعين نحو قاربهم الخاص . ولسنين عدة كانت فكرة استراليا كبلد يثمن ويحب لذاته نادرة وصعبة الاعتقاد من قبل اولئك الرجال واحفادهم . ما انتشر بينهم لم يكن حبا للبلد نفسه ، ولكن للحرية التي منحتها مسافاته الكبيرة ـ وهي تحرر من كل ما كان يعنيه نظام الادانة ، ومن كل ما تعنيه حالة الارتباط المستعمرة . اصبحت استراليا حقيقة لمستوطنيها البيض ، في المكان الاول ، من خلال فرصة الاستقلال السياسي التي منحتها اياهم ، اكثر مما هو من خلال اي شعور عميق ، تجاه الارض نفسها ، وحتى اليوم فان

الاستقلال هو الطابع السائد لاقتصادها ، واحترام التراب والنمو الطبيعي لنباتاتها وحيواناتها تخضع بشكل عام لفرصة الحصول على المال ، مهما كلف الامر بالنسبة للارض ومستقبلها .

لا تشكل هذه الخلفية مناخا ملائما للشعر ، الذي يحتاج لخلفية يعطى فيها للقيم العاطفية ، بالاضافة للمادية ، حقهما ! ومن السهولة ملاحظة تأثير ضحالة الجذور هذه في الكتابة الاسترالية من خلال محاولاتها الصعبة في حل أو اهمال مشكلة موقفنا من الوطن . نحن نطور الآن فقط شعورا واسلوبا محليا حقيقيا . ونموهما بطيء الى درجة لا يمكن للعديد من المراقبين رؤيتهما . ولعل هذا العامل هو الذي أبعد الكتاب الاستراليين عن منحى الكتابة التجريبية والحساسة والتأويلية ودفعهم نحو الكتابة الوصفية الاكثر وضوحا ونشاطا والمتأثرة الى حد ما بشعراء الاحراش الغنائيين (bush balladists) للقرن التاسع عشر .

ترك الكتاب الاوائل الذين يستحقون لقب شاعر ــ هاربر وكندال وبعض الآخرين ــ كمية مدهشة من الانتاج ، القسم الكبير منها ذو قيمة في محاولة تطوير اسلوب لتحويل البيئات المحيطة بهم الى اشكال الشعر الانكليزي ولكن القليل منها يتمتع بقيمة شعرية دائمة . الشيء الذي قدموه ، وفعلا على الاقل الشيء الذي شرع هاربر في تقديمه ، كان الاساس الذي انطلق منه الشعراء بعدئذ الى اللا معلوم .

لم يك هذا الاساس بأي منحى ابتكارا في التقنية او حتى في الشعور . لم تك المشكلة ، كما تصوروا وجودها ، تتعلق بتكييف الاشكال الشعرية الانكليزية للبلد الجديد والغريب تماما الذي وجدوا انفسهم فيه ، وانما تلك المتعلقة بادخال جوهر الى مثل هذه الاشكال . وكان هناك الكثير

الذي لا يمكن ادخاله ابدا ، ومن هنا كان التصادم بين العنصرين : الحياة الحدودية القاسية والشكل الادبي السامي الذي يعبر عنها ، يجعل اغلب هذا الانتاج محط فضول ادبي .

كان هاربر ، وهو أول كاتب ذو اهمية ، يتميز على من خلفه في القرن التاسع عشر ، بأنه بدأ الكتابة مبكرا بشكل بقي فيه تحت تأثير الرومانتيين الاوائل ، وبالاخص وردزورث . ومن الواضح ان الموقف الوردزورثي من الطبيعة كان ، لو أنه استخدم بثبات ، وذكاء ، اداة ذات قيمة عالية في التلاؤم المبكر مع المنظر الاسترالي . لقد نجح هاربر في تحقيق ذلك في بضع من قصائده .

ولكن تلميذه وخلفه المباشر ، كيندال ، الذي يصغره بجيل ، استقر على أيام صعبة . فقد بدأ بالحط من قيمة الموقف الرومنتي في نهاية القرن التاسع عشر في انكلترا حيث اخلى وردزورث مكانه ، في احسن الاحوال لتنيسون ، وفي أسوأها لتوبر . لم يتمتع كيندال بقوة البصيرة ولا الثقة بالذات الكفيلتين بالرد على هذه التأثيرات الآخذة بالكمف . وحقيقة الترحيب به كاول شاعر مهم في استراليا ، ومحاولته الاستجابة للضغوط التي يتطلبها ذلك ، لم تساعده . وفي النهاية استطاع تجاوز هذا الموقف ولكن ذلك جاء متأخرا جدا ليمكنه من إنتاج اي عمل مثير للانتباه او ذي أهمية .

خلال القرن التاسع عشر ، وتقريبا دون ان يلاحظوا ذلك ، كان عمال الاحراش الرحل والمستوطنون ينتجون ، كما فعل المقلدون الاوائل ، قصائد غنائية ، واغاني أحراش دخلت الادب الاسترالي بتأثير صارخ . كان أول من ادرك امكانيات هذه القصائد المغناة هو آدم لندسي غوردون ،

الذي اخضعها وكيفها وصاغها بشكل مقبول لبقدمها للمجتمع المهذب في قصيدة « ذي سك ستوكرايدر » وفي واحدة او اثنتين من القطع الشعرية الاخرى . وبذلك بدأ سيل من القصائد الغنائية في المدينة والريف على السواء . غوردون نفسه الذي كان عاطفيا ومزهوا : لا يستحق الاهتمام الكبير كفنان جدي : ولكن من خلال تأثير هذه القصيدة الوحيدة . حقق شعبية فورية أوسع مما تمتع به اي كاتب استرالي آخر . ولكن سرعان ما طمس الشعراء والغنائيون بشعراء الملاحم البلاغية (Bulletin Barde.) الاكثر تضلعا بالادب . ومن أفضلهم يمكن ذكر باترسون . ولوسون وبرادي . ومن خلال هذا التطور (الذي تعزز بالمشاركة الاسترالية في حرب البوير في جنوب افريقيا) برزت فكرة الاسترالي . ذي الصفات الخاصة بشخصيته : متبجح ساخر : ومراهق خجول : ومع ذلك يمتاز بعوامل الرجولة الحقيقية . هذا الموقف يلون عمل كتاب مثل سليسور . وستيوارت : وكامبيل . ومانيفولد . وفيتزجرالد وحتى الرجال الاحدث سنا مثل داو . وما قصيدة مانيفولد « قبر اللفنانت جون ليرمونت . أي: آي . إف » الا مثالا مناسبا وواضحا على تأثيرهم .

تم التأكد على مشاكل الشعر الاسترالي . من الجهة الاخرى . بعد فشل كيندال في انهاء عمل هاربر الرامي الى مساعدة ادماج الحياة الاسترالية في الثقافة التي جلبها معهم الاستراليون . فقد بدأت مرحلة التساؤل الذاتي في أوروبا وانكلترا . وبدأت تظهر التصدعات الواضحة في التقليد الذي اعتبر كل من هاربر وكيندال نفسيهما يعملان ضمن اطاره . بالاضافة الى ذلك كان الشعور القومي الاسترالي آخذا بالتصاعد ضمن الحركة التي تتوجت بالفيدرالية التي تحققت في السنين الاولى من القرن العشرين ووجد نوع من الراديكالية تم التعبير عنه في عمل كل من لوسون

وأودود وقسمت المشكلة نفسها الى قسمين : ـ المسألة الشعرية المحددة عن علاقة الشعر الاسترالي الصحيحة بكل من الشعر الانكليزي والاوروبي؛ والمشكلة المحلية المتعلقة بالتعبير عن القيم البيئية والقومية الاسترالية .

تمثلت المشكلة الاولى بظهور أول شاعر استرالي تجاوز الاهمية المحلية ـ كريستوفر برينان . برينان دارس ومعجب بالشعر الفرنسي المعاصر ، وبالاخص شعر مالارميه ، أدخل في كتابته فكرا رفيعا وثقافة عميقة لم يكن الشعر الاسترالي قد اقترب منهما بعد ، ونادرا ما جاء مثيله منذ ذلك الحين . أما الصراع الذي يمثل المصدر المركزي لشعره فهو الفرد في علاقته مع عالمه ، واكثر ذلك ، مع الكون : فقد سعى الى تنظيم ادراكه للحياة ، من أجل الوصول الى الانسجام الداخلي الذي تطلع اليه . بالاساس ، اذا ، كانت مشكلته تعود لفرد القرن العشرين الذي تفسخت قيمه متحولة الى أزمة . برينان هو أول كاتب حديث حقيقي في استراليا . قد تكون حدة الصراع داخل برينان ـ التي كانت من الشدة بحيث انتهت بمأساة شخصية ـ ضاربة الجذور نظرا لفقدانه الجمهور المطلع تقديا والخلفية التقليدية . فلم تكن اعماله معروفة بشكل جيد أبدا ، وحتى فترة قريبة بقيت مفقودة من المكتبات وعمليا لا يمكن الحصول عليها . ومن أجل الحصول على تمثيل صحيح لاعماله يجب أن تقرأ أعماله الاخيرة بالجملة وتفهم بكليتها .

أما برنارد أودود ، معاصر برينان ، فقد التزم بالقضية القومية وحاز على سمعة اكبر بكثير خلال حياته . ولكن بعكس برينان فان أعماله لم تك جيدة . كانت موضوعاته الاولى تعود الى الجماعة الاشتراكية العقلانية ، النابعة من نظريات داروين وبرادلو والجماعه الغابية في إنكلترا

التي تمتعت بشعبية واسعة بين صفوف المثقفين الشباب في السنين الاولى من القرن العشرين . وكان شعره ، ــ المكتوب مبكرا بوجه خاص ــ مجرد شعر مضحك محطم الوزن عادة وقد شابت ، حتى أفضل أعماله ، عادات استخدام العبارات الجاهزة واللغة المنمقة وباسلوب طنان تختال فيه التجريدات المجازية بالاحرف الكبيرة . ومع انه توجد في قصيدته«الداغل» مقاطع جيدة فان أعماله بجملتها تمثل سياسيا وطنيا أكثر مما تمثل باحثا أو شاعرا بالمعنى الحقيقي .

اذا أخذت شعبية أودود بالضد من الاهمال الطويل لبرينان فانها تعطي مؤشر الاتجاه العام للشعر الاسترالي نحو الموضوعي أكثر منه الذاتي . ويستثنى على كل حال من هذه القاعدة اثنان من الشخصيات المرموقه في العقود القليلة الاولى من القرن العشرين مع انهما يختلفان الواحد عن الآخر .

الاول جون شوبيلسون . ولد شاعرا وهو رجل بسيط كما يبدووغير مدين بشيء للدراسة. كان نيلسون عاملاً في أغلب فترات حياته (عمل في المقالع وفي بناء الطرق حتى ساعده الاصدقاء بايجاد عمل اقل وطأة جسديا في ملبورن) ، وكان له حظ قليل من التعليم النظامي ، وقليل من الفضول للاطلاع على أعمال الشعراء الاخرين ، اذ نظم أشعاره « في رأسه » كلما وحينما استطاع ، وفقدت اغلب أعماله بالتأكيد بسبب افتقاده فرصة كتابتها . وتضرب الحلاوة والرقة المحببة لافضل اعماله التي تمتلك لب الشخص على الاذن بنفس غرابة ملاحظة طفل عن العالم . لم يكن له عمق شعور جون كلار ولا دقة ملاحظته مع انه يقارن معه : ميزته هي النقاء الذي لم تشبه شائبة ، وهي الرؤيا الربيعية الطبيعية كأزدهار « شجرة الخوخ » البيضاء العائدة له .

الثاني ، وليم بيلبريج ، كان فيلسوفا بقدر ما كان ـ وفي أحيان اكثر مما كان ـ شاعرا ، وحياته الناسكه وتفانيه لعمله جعلا منه شخصا فريدا بين الكتاب الاستراليين . اعتبر شعر بيلبريج غامضا واعتبرت فلسفته نيتشه ولكن كلا الحكمين ليسا دقيقين تماما ، لانه عند قراءة كتبه ككل مترابط حيويا ، كما كان هو يرمي ، نجد أن ما كان يبدو صعبا في قصيدة واحدة أصبح سهلا على التفسير . وتدين فلسفته لبرغسون أكثر من نيتشه ولكن كلا الحكمين ليسا دقيقين تماما ، لانه عند قراءة كتبه ككل فهناك الكثير من نيتشه في بيلبريج ، ولسوء الحظ في النقطة التي يفشل فيها نيتشه كفيلسوف وكشخص يشابهه بيلبريج اكثر ما يمكن . اعتبر نفسه نبي ارتقاء أستراليا الى القومية ، التي يجب أن تعبر عن الحركة المندفعة نحو الامام لهذه « الحياة ـ القوة » . واعجابه بميزات القيادة جعلته يتبنى شيئا قريبا من الاستبداد . إن الجدية الالمانية تقريبا لاغراضه ، وتبنيه لقضايا غير شعبية مثل تحسين النسل ، واعجابه بالسلطة ، واثره في ميله نحو الاستبداد كانت خارج نطاق الشعور العام الاسترالي ، ويأمل ان تبقى الامور هكذا . ومع ذلك فان شعره الطنان والملتوي كما هو عليه ، يمكنه من الارتقاء الى انغام الاخلاص العاطفي والقوي .

تمثل أعمال هوغ ماكرا ، المتاثره بنورمان لندسي والاعضاء الآخرين لمحيط لندسي المباشر ، رد فعل مؤقت ضد مهمة تفسيرا استراليا التي أخذها فرانك وبلموت على عاتقه بشكل علني . والاكثر من ذلك فان أكثر شعره ، كما هو الحال مع لندسي في لوحاته ، يعود الى مذهبي وحدة الوجود اليوناني القديم والروماني فيما يتعلق بالموضوعات . ولكن هذه الحوريات والقناطر الخرافية والآلهات (التي لا يعاد دائما تصورها بشكل

مقنع) لم تحقق اية علاقة حقيقية مع بيئاتها الجديدة وبقيت اشكالا كارتونيه . وبعدها ، على كل حال ، حصلت كل من باخوسيه ماكرا السعيدة وايقاعه الراقص الحفيف على حياة خاصة بهما . وكشافر قعد بلغ ماكرا في بعض الاحيان مستوى عاليا من الثبات التقني ، ـ رغم أن افضل أعماله تميل الى التبعثر والتلاشي ـ .

ومن هذه المرحلة برز كنيث سليسور ، وروبرت دي فيتزجيرالد اللذان ، تأثرا بمجموعة لندسي ـ ماكرا في شبابهما ـ فرضا بدورهما تأثيرا قويا على التيارات الادبية اللاحقة في استراليا . إن سليسور كتب القليل منذ نشر مجموعته المختارة « مئة قصيدة » ، وتعتبر قصيدته « رؤى كابتن كوك الخمسة » الحد الاعلى لمقدار كبير من الشعر والقصة وغيرها ، وهي تدور حول البحارة الاوائل في المحيط الهادي ، وقد ارست بفضل أسلوبها المحكم والمصور والمشبع بالخيال ومهارتها التقنية مقياسا جديدا لصنعة الشعر في استراليا ، اما فيتزجيرالد فكان اكثر استمرارا في الكتابة . وفعلا قوي عوده وبرهنت مجموعته **قصائد الاعوام الاربعين** (١٩٦٥) على أن موهبته التواسطيه المتشابكة وأحيانا المربكه وصلت قمتها في الاعمال التي نشرت خلال سنواته الاخيرة . وليس ڤيتزجيرالد ، شاعر اي شخص ، ولكن ثبات رؤياه والاخلاص الصادق لفكره عملت الكثير لزيادة الاحساس هنا بان الشعر هو نداء ، اكثر مما هو كما مع ماكرا ، هواية شبه شخصيه . هكذا بدأ عدد من الشعراء الشباب في سنوات الحرب بالنشر ، اغلبهم اخذ صنعته بجدية كمسألة تتعلق بالتفاني المهني والشخصي ، والعديد منهم استمر يعمل ذلك طوال الربع الاخير من القرن الماضي .

وكان هناك شعراء ، مثل ديفيد كامبل ، ودوغلاس ستيوارت ، استلهموا قوتهم الرئيسية من ذلك التأمل للمواضيع الطبيعية التي ، خلال الاربعينات ، تغلب الشعر الاسترالي بها على مشكلته في التكيف مع المنظر الاسترالي . ويقف ضدهم الشعراء الذين أصبحوا معروفين «بالاكاديميين» مثل مكئولي و آ. د. هوب وكانا من اتباع الكلاسيكية الجديدة ، وكان لهما تأثيرهما . وهناك أيضا الشعراء الذين تجاوزوا مرحلة نظرية (جنديور وباك) ودمجوها في أعمالهم . امثال رولاند روبنسون ووليم هارت سمث وعدد من الكاتبات امثال روزمري روبسون ونان ماك دونالد وجيود ث رايت . وكلهن بدأن النشر في العقد الذي يبدأ عام ١٩٣٧ .

بعد الاربعينات نتجت عن الزيادة الهائلة في التكنولوجيا والصناعة في استراليا تغيرات واسعة في الرؤيا وتغير التاكيد من الريف الى المدينة وبدات اعداد الجامعات والشبيبة من الرجال والنساء الحاصلين على التعليم الجامعي بازدياد مدهش . وهذا كان يعني بأن كتابا مثل كامبل عانوا من كسوف مؤقت . وبأن تاثير هوب مكئولي (وهما الآن استاذان في الجامعة) ساد طوال العقد الماضي . تحول مكئولي مؤخرا الى كتابة قصائد قصصية طويلة (narrative verse) مثل **كابتن كويروس** وهي القصيدة التي تضع حلم كويروس بتأسيس القدس الجديدة في المنطقة الجنوبية (Sourh Land) على عكس حقائق التاريخ وتعبر عن ايمان مكئولي بالانتصار النهائي للروحية على المادية الحديثة . نشر هوب **مختاراته الشعرية** عام ١٩٦٥ وبرهن حينئذ على إختلاف الطرق بينه وبين ماكئلي ، مع انهما متشابهان في رفضهما لكل التجارب الشعرية اللفظية منها والتقنية لصالح شكل شعري ولفظي يعود للقرن الثامن عشر تقريبا . ومع ان الاثنين يهتمان بعمق بالمشاكل الحالية للانسانية فان

مكئولي يرى الحل في العودة الواعية الى التقاليد الدينية ، ويبقى هوب الاكثر شكا وهجائية ، ويميل نحو الايمان ببروز حل مبدع ضمن الانسان نفسه، يتوسط في ذلك الفن جزئيا على الاقل .

وهناك شاعر آخر هام بدأت اعماله تظهر في سنوات الحرب هـو ـ فرانسيس وب . ومع انه لم يبلغ سمعة هوب ومكئولي فانه نشر عددا من الكتب من الشعر الغامض الرائع . وقاده طريقه خلال مساحات مرعبة من التجربة ، التي تبرز هنا وهناك ، الى فضاءات قصيرة من الهـدوء والاستنارة بالشعراء الاستراليين الاخرين . وقد عاش في خضم المشاكل النفسية الحديثة بالاضافة الى انه ادركها .

وهناك الآن عدد كبير من الشعراء الذين بلغوا الثلاثينات والاربعينات من عمرهـم ولعـل اكثرهـم اهميـة ڤينسنت بكلي Vincent Buckley كويـن هـاروود Gwen Harwood ، بـروس داو Bruce Dawe وراندولف ستو R. Stow . إن بكلي الذي يعتبر احد الاكاديميين قد تحول مؤخرا الى القصائد السياسية التي هي اقسى والذع مـن شعره الاول ، وقد تركت اثرها على الشعراء الشباب . لا يمكـن تصنيف دو أوستوفي هذه الخانة . على كل حال إن دو مثل هوب ومكئولي يكتب قسطا كبيرا من قصائده الحاده والجدلية . ستو أيضـا ، المعروف كروائي ، يأخذ موضوع الافق الاسترالي كحقيقة داخلية وكمرحلة في تقدم البحث الانساني ، تماما كما استعمله باترك وايت في (ڤوس Voss) وسـدني نولان في لوحات مختلفة .

لقد ابتعد بعض الشعراء الاخرين عن التدقيق الفلسفي والاسئلة النفسية الى طريقة مباشرة وحتى اجتماعية تعتمد الملاحظة المباشرة كنقطة

بداية وتبتعد قصدا عن التعميم . هذا الشر الحاد والواقعي يمكن رؤيته بأفضل صورة في أعمال دو وسمبسون اللذين استطاعا معالجة مواضيع كبيرة من خلال هذا الشعر وقدما لوحات للاشخاص وعنيا بدرجة بالقليل من التعليقات الاجتماعية ، خلافا لعدد من الشعراء الاصغر سنا . ربما يمكن رؤية هذا كامتداد أبعد لتأثير « القصيدة الغنائية » : ballad من خلال حركات « اغاني الاحتجاج » . مع أن بعض هذا الانتاج الشعري يبدو محدودا فان باستطاعته انتاج صور عنيفة تأسر الذاكرة عن الشرط الانساني مثل « الحافلة المحترقة » للشاعر مري Murray و «الخنازير» للشاعر ليمان .

* * *

• شعر

مختارات من الشعر الأسترالي

• ترجمة: د. عادل عبد الله

ثلاث قصائد ذات نكهة

• لـيـن مـوري • ترجمة: د. حسام الخطيب

قصـــائد

• أ. د. هـوب • ترجمة: عبد الكريم ناصيف

قصيدة أسترالية مِن العقد الفـريد

• أ. د. هـوب • إعداد: قلم التحرير

شجرة البرتقال

• جون. شو. نيلسون • ترجمة: د. ابراهيم الشهابي

ومضات شعرية من أستراليا

• ترجمة: د. هاني الراهب

أغنية لأستراليا

• شعر: عبد الكريم السّبعاوي

مختارات من الشعر الأسترالي

● ترجمة : د. عادل عبدالله

١ ـ الشاعرة كاث ووكر (Kath Walker)

ولدت كاث ووكر في برزبين (Brisbane) عام ١٩٢٠ وقد عاشت طيلة حياتها في منطقة برزبين ومنذ عام ١٩٦١ شغلت نفسها بامور الحكومة والمجتمع .

نتيجة لهذا الاهتمام عملت كاث في عدد من اللجان في الفترة بين ١٩٦١ و ١٩٧٠ شغلت منصب امين سر المجلس الفيدرالي لرعاية وتقدم سكان استراليا الاصليين وسكان جزر مضيق توريس (Torres) في ولاية كوينزلاند (Queensland) كما شغلت منصب امين سر ولاية كوينزلاند لنفس الهدف وفي نفس الفترة . وكانت عضوا في اللجنة التنفيذية لعصبة كوينزلاند لرعاية سكان استراليا الاصليين وتقدمهم في نفس الفترة أيضا . وفي أوائل السبعينات من القرن العشرين عملت كرئيسة للمجلس القبلي الوطني وعضوا في مجلس الفنون اسكان استراليا الاصليين ورئيسة لمؤسسة منشورات السكان الاصليين المحدودة وعضوا في لجنة اسكان السكان الاصليين . ومنذ عام ١٩٧٢ عملت كاث مديرة ادارية للمركز الثقافي والتربوي لقبيلة نونيكال نيوجي (Noonuccal - Nughie) وفي الفترة بين عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩ شغلت منصب رئيس مجلس اراضي ستراد بروك (Stradbroke)

وبين عامي ١٩٦٠ و ١٩٧٠ ألقت كات محاضرات في تربية الكبار في استراليا والخارج وعملت محاضرة زائرة في جامعة ساوث باسفيك (South Pacific) في عام ١٩٧٢ . وخلال العقد الماضي عملت محاضرة زائرة في معظم الجامعات الاسترالية وحاضرت في مواضيع تشمل الادب الاسترالي واليورانيوم وثقافة سكان استراليا الاصليين . وفي الفترة ما بين عام ١٩٦٦ وعام ١٩٧٧ شغلت منصب استاذة مشرفة في المدرسة الحكومية في « دنويش » (Danuich) الواقعة في جزيرة سترادبروك الشمالية ، كما عملت محاضرة واستاذه مشاركة للبروفسور ب. إدواردز (P. Edwards) في المخيم الصيفي لطلاب سكان استراليا الاصليين في كامب جونكاي (Camp Jungai) في عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ .

اوفدت كات مندوبة استرالية الى المجلس العالمي للكنائس للتشاور في أمر العنصرية المعقودة في لندن عام ١٩٦٩ وكانت مبعوث استراليا الرسمي في المؤتمر العالمي للكتاب الذي أقيم في ماليزيا عام ١٩٧٤ وضيف حكومة بابوا (Papua) في غينيا الجديدة في مهرجان فنونها عام ١٩٧٥ . وبعد زيارة لنيجيريا عملت فيها كمستشار أعلى للفريق الاسترالي الذي أعد للمهرجان الثاني للفن الاسود ، وشاركت في ذلك المهرجان عندما اقيم في نيجيريا عام ١٩٧٦ كمندوب ومستشار اعلى .

نشر لكات ووكر الكتب التاليه .

« نحن سائرون » (شعر ١٩٦٤) (We Are Going)

« الفجر في متناول اليد » (شعر ١٩٦٦) (The Dawn is at Hand)

« شعبي » : شعر ونثر ١٩٧٠) (My People)

«وقت أحلام ستراد بروك» (قصص ١٩٧٢) (Stradbroke Dreamtınme)

ومنحت الجوائز التاليـة :

جائزة جسي ليتشفيلد (Jessie Litchfield Award)

وسام ماري غيلمور (Mary Gilmore Medal)

جائزة زمالة الكتاب الاستراليين	(Fellowship of Australian Writer's Award)
جائزة م. ب. ي. عام ١٩٧٠	(M. B. E., 1970)
جائزة القاعة السوداء للشهرة	(Black Hall of Fame)
الجائزة العالمية للتمثيل عام ١٩٧٩	(International Acting Award 1979)

ومنذ عام ١٩٧٢ ادارت كات ووكر مونغالبا (Mongalba) (١) وهو مركز تربوي وثقافي في جزيرة سنرادبروك الشمالية . وقد زار هذا المركز حتى الان اثنا عشر الفا من الكبار والاطفال من جميع الشعوب والثقافات . وكانت هذه الزيارة بالنسبة للكثيرين من سكان استراليا الاصليين وسكان الجزر تجربتهم الاولى للحياة الطبيعية التي عاشها أجدادهم . أما بالنسبة لمن زار المركز من شعوب اخرى فكانت هذه الزيارة تفهما وتبصرا في ثقافة اخرى .

وفي عام ١٩٧٨ وعام ١٩٧٩ طافت كات ووكر في الولايات المتحدة الامريكية بمنحة « فولبرايت » (Fulbright) ومنحة « مايرز » « Myers » للسياحة وحاضرت في ثقافة سكان استراليا الاصليين وفي المشاكل التي يواجهها هؤلاء السكان في الوقت الحاضر .

---

(١) كان مونغالبا Moongalba رجلا حكيما من قبيلة نونيكال وقد اختار مكانا خاصا في جزيرة سترادبروك حيث كان يتأمل ويحاول حل مشاكل شعبه . وعندما جاء الاوربيون الى سترادبروك افهموا النونيكال بأنه حان وقت ترك طرائقهم الوثنية وان عليهم أن يستقروا في مكان واحد . وقد قرر النونيكال أن يستقروا في المكان الذي كان يجلس فيه مونغالبا للتأمل .

آخر عشيرته

ـ كاث ووكر ـ

التغيير ناموس الطبيعة ، والجديد يطرد القديم .
أرى فيك الماضي البعيد ؛
أراك عجوزا وحيدا ضائعا هنا
آخر عشيرتك .
تجلس وتفكر بالجمع المرح والشعب السعيد
صحبتك الذكريات .
لقد رحلت الاصوات ورحل الضحك
وبقيت وحيداً

سألتك فاسمعتني
لساناً رقيق الحركات والأصوات ، زال الى الأبد
فلم يعد يسمع .
أرى فيك المشاهد القديمة والطرائق القديمة
فقد استعملت البومرانج والحربة
وغنيت أغاني القبيلة القديمة
وقدت رقصاتها مرة
ومعاركها الضاريه مرتين ضد اعدائها السود العتاة وراء النهر .
لقد رحل كل هذا ، لقد ذهب ، واشعر

بوخز الدموع الفجائي : ولي ماكنزي (١)
في ملجأ جيش الانقاذ .
مترحل في بلدك ،
وحيد في مدينة تعج بالجماهير ،
آخر عشيرتك .

الزوجة الطفلة

ـ كاث ووكر ـ

زفوني الى رجل عجوز ؛
عديم البهجة ، كبير السن .
وسرعان ما عبست
ابتسامة الحياة الموعودة .
وفي داخل كوخه
انتهت طفولتي ؛
وعلي ان اقبع هناك الى الابد
واذرف الدموع .

---

(١) كان ولي مكنزي (Willie Mackenzie) أحد سكان استراليا الاصليين وهو آخر من تبقى من قبيلة داروربادا (Darwarbada) التي عاشت في اقليم كابولتشر (Caboolture) . توفي عام ١٩٦٨ عن عمر غير معروف يحتمل ان يكون في الثمانينات . اسمه القبلي « غيربو » (Geerbo) وطو طمه النحلة الاسترالية . اما اسم مكنزي فقد اختاره لعائلته أول رجل ابيض عملت عنده .

لقـد تقـت الى حـب ،
حـب شـاب كحبـي
لقـد رغـب دنـوا بـي ، (Dunwa)
دنـوا الأسـمر المـرح .
آه مـن القوانـين القديمـة التـي تقيـدني !
آه مـن السـنين الطويلـة التـي تنتظـرني !
ويسيطـر علـي الحـزن ،
واذرف الدمـوع .

مـا اسـعد الطيـور الصغـيرة
تتـزاوج وتبنـي اعشاشـها !
ولا يمكـن لاي حـزن ان يغـرق
زقزقتهـا الفرحـه .
ولكـن كـوخ عجـوز
هـي حيـاتي الى الابـد ؛
وانـا افكـر بدنـوا
واذرف الدمـوع .

المشـــردون
(تقدمـه للسم ولي مكنـزي)
ـ كاث ووكـر ـ

كنت في سـلام ، ايها الرجـل الاسترالي ، بما سننت من قوانين قبلية
حتى سرق المستعمرون البيض سلامك بالاغتصاب وغارات القتل .
لقد اطلقوا النار وسمموا واستعبدوا حتى لم تبق سوى اقلية مبعثرة
فمـات القلـب فيـك .
لقد وضع الرجل الابيض يده على أرض صيدك فلم يعد بامكانك البقاء .
جعلوا منك خادمـاً سـعياً وراء ربحهم الشخصي الجشـع .
وحيث استقر البيض تحولت قبائلك الى مشردين محطمين ،
فعدل الرجـل الابيض معناه حجـبُ العـدل عنـك .
لقد جلبوا لـك الانجيـل والمرض والمسـكر والبندقيـة ،
وبمثـل هـذه الثقافـة المسيحية سيطر البيض .
لقد بقيتم على قيـد الحياة شعباً محتضراً ، مهانـاً ، مضطهداً ،
منبـوذاً ، مشـرداً في أرض وطنـه .

عندمـا تعني الكنائـس طريقاً في الحياة كما يدعي المسيحيون بفخر ،
وعندما يحتضر النفـاق وتعتبر الكراهيـة عـاراً
حينئـذٍ يمـوت التعصـب ويتـوقف الظلـم القديـم
ويجـد البيضـ والسـود المساواة والسـلام كاخـوة .
ولكـن آه ! لقـد طـال الانتظـار وبطـؤ حلـول العـدل ،
والشجاعـة تذوي اذا لم يسـقها الأمـل ، ويمـوت القلـب فيـك .

كولن ثييل Colin Thiele

(ضحيــــة الاشعــــاع)

تضجع تحت غطائك المبّرد
بينما تحترق النار الخفية في لحمك ،
ومع ذلك قد تمر بك الانسانية ـ جميعها
غير عابئة بوجودك بينما تذوب أنت في لهيبها
وتخترق ابر اشعتها الخفية اعماقك لتحول اسمك الى رماد
يا الهي ! نحن نراك تحترق ببطء وانت حي !

انها الطريقة الحديثة الخفية للموت :
تقبض على المعدن الهامد
ودون أن تدري تلهبُ يدك باكملها .
تسير في الشارع نزولا وصعودا .
والحرارة الخفية تحرقك ببطء حتى العظم ،
تحرقك بلهب تعجز مهارة الانسان عن اطفائه
يا لها من نهاية مروعة احياتنا :
تحريك توهج قديم وترويحه واطلاق سراحه
ليقفز في الهواء خفيا ،
ويشعل صدر كل كائن حي ويصرمه
فينكمش الصدر متحولا بسكون الى رماد أسود .
لقد تم ميلاد مروع لشفقة غريبة ،
فالنار الخفية يمكن أن تتهادى وتسفع
بمسبرها الوثاب الكرة الارضية
وتطعن بلهيبها لحمنا المنكمش
وتجعل الانسانية شعلتها الخفية المرعبة .

كنت سليسر Kenneth Slessor

الدفـن علـى الشـــــاطىء

برفق وتواضع تأتي ارتال من البحارة الموتى
الى خليج العرب ؛
في الليل يتأرجحون ويهيمون بعيدا في اعماق الماء
فيدحرجهم الصباح في الزبد .

بين عويل وضرب النيران
يبدو ان هناك من لديه وقت
لالتقاطهم من المياه الضحلة ولدفنهم في جحور
ويدوس الرمل فوق عريهم

* * *

ويحمل كل صليب ، صنع من الاوتاد التي حملها المد ،
آخر توقيع لرجال ، توقيع
كتب بارتباك وبشفقة المتحير المذهول
حتى لتختنق الكلمات بادئة ـ

بحار مجهول ـ يرتعش القلم الشبح
ويبهت ويقطر الارجوان ؛
لقد محت انفاس الفصل الممطر ما خطوه
فاستحال ازرقا زرقه شفاه الرجال الغرقى .

بحارة ماتوا يفتشون عن اليابسة نفسها
سواء حاربوا كأعـداء
او حاربوا الى جانبنا أو لا هذا ولا ذاك ، يجمعهم الرمل معا
مجندين في الجبهة الاخرى .

اغنيـــــة الارنـدا (١) (Aranda)

الشمس تميل للغروب ؛ قناة رمحه
ملقاة على الارض وعصاه فوقها .
الظلمة تغطي كل شيء الآن ، انه يستلقي
على الارض تعبا من حمل صيده الثقيل .
لايزال مستلقيا حيث القى بنفسه عند الغسق
انه يرقد لا حراك به . انه مستلق هناك ولن يتحرك ثانية
غير قادر على الاستداره ، متمدد على ظهره ،
وظلام منتصف الليل يتجمع حوله ، انه يرقد لا حراك به
انه يرقد هناك دون خاطر ولن يتحرك ثانية .
بدأت الارض تستنير والظلمة تنزاح
والسماء في الشرق تلمع وهو لا يزال راقدا
كما القى بنفسه عند الغسق ، انه لا يستيقظ .
تطل الشمس على الافق فتراه لا يزال لا حراك به ؛
انه ممدد هناك ولن ينهض ثانية . انه مستلق
هناك دون أي خاطر والشمس ترتفع في السماء .

---

(١) ترجم الاغنية عن لغة الارندا السيد ث. ج. هـ سترهلو
(T. G. H. Strehlow)

هنري كندال (Henry Kendall)

آخـــر قبيلتـــــه

يجلس القرفصاء ويدفن وجهه بين ركبتيه
ويختبىء في ظلمه شعره ،
فهو لا يستطيع أن يتطلع الى الاشجار التي حطمتها العاصفة
او يفكر في الوحدة هناك
في الخسارة والوحدة هناك

تتلمس حيوانات الكنغر طريقها خلال كتل الاعشاب
وتتجه الى مخابئها خوفا
ولكنه يجلس بين الرماد ويدعها تمر
الى حيث ينام البومراغ والحربة
مع العصا الغليظة والمقلاع والحربة .

شاهده يا الولا (Uloola) فالرعد الذي
يقصف على قمم الصخور مع المطر
والريح التي تحمل معها ملح البحيرات
قد جعلته صيادا ثانية ،
جعلته صيادا وسماكا ثانية

لقد امتلأت عيناه بخاطر حارق
الا انه علم بالصيد في الايام الغابرة
وبأعداء تتبعهم وبقتال اشترك فيه
مع اولئك الذين لن يقاتلوا بعد الآن
ولن يذهبوا الى المعارك بعد الآن

انه لمن حسن الحظ أن الماء الذي يتدحرج ويملأ
يجري متأوها ، متأوها .
ولان الصدى يتدحرج من جوانب التلال
فهو يجفل من أغنية رائعة ،
ومن صوت اغنية رائعـة

ويرى من خلال تمزق الضباب المتبعثر
مهرجان الكروبري ، (١) حربيا كئيبا ،
ويرى امرأة تجلس على زند من الحطب جانب النار
لتراقب ، كندابة ، من اجله
كأم وندابة ، من اجله .

هل سيذهب في نومه من هذه الجزر الموحشة
كقائد الى بقية بني جلدته
مع المرأة الحلوة الصوت كالعسل ، والتي تومىء اليه باغراء وتقف
وتتوهج كحلم في وجهه
كحلم رائع في وجهه ؟

---

(١) الكروبري مهرجان ليلي يحتفل فيه سكان استراليا الاصليون ويشتمل على اغان ورقصات رمزية تمثل احداث القبيلة الهامة .

ماري غيلمور (Mary Gilmore)

خليج بوتاني (Botany) العجـوز

انا خليج
بوتاني العجوز
متصلب المفاصل
مثقل القول .

انـا
الذي مهـد الطريق
كي تسـير انت
اليوم سـير الهوينـا

كنت المجنـد
الذي أرسل الى جهنـم
لاجعل العيش في الصحـراء
عيشـا طيبـا .

تحمـلت الحـرارة
وهنجـت الاثـر
مثلمـا مدميـا
فوق ظهـري .

قسمت الصخرة
وقطعت الشجرة ؛
و جـدت الامــه
بسببي !

خليج بوتاني العجـوز
تلقى الشمس
يومـا بعـد يـوم .
تبـاً للغـم
الـذي ينكـر
الايدي المليئـة بالعقـد
والتـي رفعت شـأننا عاليـا .

* * *

ثلاث قصائد ذات نكهة

● ليس موري ● ترجمة : د. حسام الخطيب

١ ـ بَرَد الربيع Spring Hail

هذا كلام في الربيع والبرَد ، ذكر ان نفعت الذكرى .
في ولد من زمن بعيد ، وفي جواد كان يستطيع أن يطير

كنا قد اجتمعنا معاً مدة طويلة في الحظيرة
وقد فاحت روائح الذرة المختفية
وارتفع صوت طيور البر غير الاليفة
وفجأة تلاشى الضجيج
وتوقفت عن الارتجاف خيوط العنكبوت المهترئة
وتدلت ساكنة من الثقوب المعششة
انتابنا القلق بسبب الصمت المخيم من حولنا ، فانطلقنا الى الخارج

وكان العنف المتسلسل قد توقف . وانتشرت رائحة
التلال المكسوة مجددا بالنعناع .

وكانت دوامات السماوات تدور ثم تتفجر بعيداً .
وكانت ملاعب الخيل تتصل بدون حدود .
ومن حولنا تنتثر الاوراق تحت أشجارها
وكذلك حلقات الطحلب .
وكانت الاغنام تخب وتتداخل وتنفض الثلج عن صوفها .
ومن الطريق الصلبة الزرقاء التي قادتنا الى هناك
انبثق الدخان من حولنا ، والبرد الذي جرفته من تحت اقدامنا
كان ما زال يحمل طعم السماء . وآذى أسناني
وكان يتكسر من تحت اقدامنا .

هذا من أجل الربيع والبرد ، فذكر ان نفعت الذكرى
في ولد من زمن بعيد ، وفي جواد كان يستطيع أن يطير

مع أزيز بوابة ووقوفها ، بدأنا نعبر
ومال جوادي برأسه ونهل من العشب
بينما أخذت آكل الجليد ، وأجول ، وآكل الجليد
وكانت هناك شجرة خوخ تمتد على ضفة
ومن حولها ومن تحتها ثمار عذبة مبعثجة
تدمع بالعصير الشاحب الذي يقطر من خلال اوراق نصف مهترئة
وقطفتها واكلت حتى شبعت .

ثم جلست فوق خشبة ، منصتاً ببشرتي
للاحتفال السري للشمس ، وللديدان الطويلة المبتلة
العاملة في التراب ، ومن تحت التراب تحس الاحجار المطمورة

بالقلق لان نومها تعكر بسبب احلام المياه المنسلة بعمق
وسمعت بأذني صوت التشقق على أديم الارض
يتحرك وينأى مثل أصوات الامهات .

هذا من اجل الربيع والبرد ، فذكر ان نفعت الذكرى
في ولد من زمن بعيد ، وفي جواد كان يستطيع أن يطير
وأتى إلي حصاني ووقف الى جانبي
منتظرا ان يأزف وقت الذهاب .
واصبحت السماء الآن بلا بقع من الاوج الى التراب ،
واستقرت متوازنة هناك فوق الحوافي الحادة للجبال
وآن أوان القفز الى السرج والذهاب ، مثل عاصفة رعدية
تلف الاغنام والشجيرات من خلفها ، والسياج المتقهقر
الذي قفزنا من فوقه ، والحظيرة القديمة المهجورة
المنسية من خلفنا ، وملاعب الخيل التي خلفناها للنسيان .

أزفت ساعة تمزيق السلام ، والقفز الى قلب الربيع
مثل ريح صرصر ، والذهاب بأقصى سرعة .

ازف الوقت ، الوقت الحقيقي ، الاوان الوحيد
للوقوف في الركاب والصراخ ، مع صرير الرياح
وبلوغ حوافي السلاسل الجبلية وأعاليها
ثم السباق باتجاه الاراضي
ذات الخضرة الطافية والجسور والاشجار الخفاقة .
آن الاوان ، كما لم يئن من قبل

لجذب اللجام ، كي يصمت صوت الحوافر
ونحن ننتقل من التل باتجاه المزارع
العالية ، حيث البرد تشكل وتدلى بغير وزن في الهواء العالي
شاقا الرياح الخالية من الطبور بطرق فضية
تغوينا أن نسلكها وأن نذهب نهائيا .

هذا كلام في الربيع والبرد . فذكر إن نفعت الذكرى
في ولد وجواد ، من زمن بعيد كانا يستطيعان الطيران

٢ ـ خضوع لمركز الانطلاق Homage to the Launching Place

يا صنعة اللذة من ايقاعات الانبجاس ، يا فرشة ،
يا ألطف الرباعيات
أنت أيضا القارب الذى لا يهتز
الذي يتحرك فوق الصمت
ينسل عبر بويب سحري الى هـذا العالم ،
انك تقيلين عثارنا وانهيارنا
على الارض . يا ضامنة نمونا
انت قاعدة انطلاقنا المشربة

واذ تقاومين الجاذبية ، من أجلنا وفينا
تشكلين كوكبا متسعا

منصة غير ناتئة ولا مستمرة
طبقة ، حصيرة جوية

تكاد تلامس أقصى ارتفاع لمستوانا
الطاولات قد ترقى اليهـا

سلوى العضلات المطبوعة بالعذوبة
يا عرابة الاحلام ذات الارومة الباقية
انت ترتفعين ، ايتها العربة العظيمة
بكل عواطفنـا المستوفزة .

يا مولـدة التشكل والتصميـم
ما أحكـم مـا تعتـدلين بهمـا
الى العزلة في الخارج تهدفين ، وفي العمـل ،
تتنهدين ، مع مزيد من التفكير . نامي عليها . . .

العزلة . الراحـة المقتربـة
الزمن يكشف تموجهـا
وينسـل في الفضـاء .
هناك زمن في ذلك الاتسـاع :
منازل . وشعـاب ــ وقـارات
الاحيـاء والاحيـاء بعظمـة .

أشياء تتخذ مواقف
ليست محايدة أخلاقيـا

انت تقبلين غيـابي الحـار
هناك مثلمـا سوف تقبلـين

يومـا مـا حضوري البـارد .
احبتـك منذ البـدء ، يا فرسه ،
يا منسربـا الـى خـارج العـالم .
احبيتـك منذ البـدء ، يا فرشة ،
تعلمت أن أحفـر ينبـوعـي .
يا مزهوة الملبس ، يا بيضاء القبة ،
انك تبدين سـاكنـة تماما ، لان سرعتك
درع يحملنا الى القتال
ويحملنا منه ايضـا .

٣ ـ الشاحنة المحترقـة

بدأ الامر في الفجر بظهور الطائرات المقاتلة
مرت منخفضة من فوق البحر ولم ترتفـع .
وقفزت فوق الحاجز الرملي واحدة ، اثر واحدة ، اثر واحدة
وأقبلت بسرعة هائلة حتى أن الاواني الفخارية
كانت ما تزال تتطاير في الهـواء
عندمـا ذهبت الطـائـرات

* * *

مرت منخفضة من فوق البحر وسلطت موجة
من قذائف المدفعية النافذة من خلال سقوفنا .
بصقت النوافذ زجاجها . واندلعت النيران فجأة بشاحنة
ومنها قفز السائق ، ولكنها ظلت تسير :

وتكبر حجما ، وتقترب من ابوابنا الخارجية
وتأتي وتأتي

* * *

من خلال كل منطق في المدينة ، من خلال كل مقياس
عرفناه في هذا العالم ، كان عليها أن تتوقف ،
أن تصطدم بجدار مبنى ، أن تتساقط حطاما ،
لمجرد قوة الاحتراق ، لان هيكلها بكامله
ومادتها ، كان كل شيء فيها طعمة للنيران ..
ولكنها أبت أن تتوقف

* * *

وكلنا ، نحن الذين عرفنا موقعنا وصلواتنا
سحبنا قضبان نوافذنا وأرخينا ستائرنا
راجين من خلال اهتزاز اسناننا تتوقف تلك الشاحنة ،
أن تنأى ، أن تختفي ، أن تضرب .. ولكن ان تطلق سراحنا .
وبعدئذ رأينا الاولاد الاشقياء في الشارع
يقتفون أثرها راكضين .

* * *

وركضوا وراءها ، في حبور ، وزحفوا عليها
وكان الحاجب الزجاجي فيها ينصهر الآن ، وأصبح هيكلها قفصا
تمزقه ألسنة اللهيب ، واستمرت
متجاوزة خطوط المشاة عبر الكنيسة
وتجاوزت آخر شباك مضاء
وانطلقت بعد ذلك خارج العالم
ومن خلفها اتباعها .

لمحة عن حياة الشاعر ليز موريه

Les A. Murray

ولد السيد ليز موريه في بنهية ، الواقعة على الساحل الشمالي في جنوب مقاطعة ويلز عام ١٩٣٨ ، وبعد اتمامه الدراسة الثانوية التحق بجامعة سدني .

كتب عن تلك الفترة من حياته قائلا : « لقد تجولت في ذلك الاقليم الجاف الشاسع مطولا ، امتطيت قطارات الشحن وعملت في عدة مهن غريبة فليجمني الله من قطارات نقل الماشية ودواليبها المخمسة الاضلاع .

تزوج عام ١٩٦٢ والتحق بجامعة كانبرا الوطنية بقسم الترجمة . طبع أول مؤلفاته (ليكس ترى) بالاشتراك مع السيد جوفري لهمان ونال عليه جائزة جريس ليفن عام ١٩٦٥ .

ان السيد موريه من الكتاب الذين مازالوا يحاولون اكتشاف أساليب جديدة ومتطورة .

تطبيق :

برد الربيع

نشرت لاول مرة في مجلة (الآداب الاسترالية) . يمكن اعتبارها قطعة كلاسية تنساب بدون توتر .

فكرة هذه القصيدة : ان فترة الشباب قصيرة فلنحتفل بها ولنعش كل لحظة منها بفرح .

خضوع الى مركز الانطلاق

محاولة صوفية ذات طابع حديث . تغرق في التجريد ، لها معنى يراوح في مراتب الغموض .

Burning truck

يـوم ملتهـب مـن أيـام الحـرب

قصف ، لهيب متأجج ، خوف ورجاء ، وأخطر من ذلك استمرار فكرة الحرب . موضوع الشاحنة طريف في تفاصيله وكذلك في رمزيته غير المغرقة .

* * *

إيحــــاءات

● دايفيد معلوف ● ترجمة : د. بثينة شعبان

ما دمنا غير قادرين على فهم جوهره فاننا نلوذ بمساعدة الاصوات والاسماء والصور ، والذهب المطوّع والعاج والفضة ، والنباتات والانهار ، وقمم الجبال والاعاصير ، وكلنا توقٌ لمعرفته . ومن خلال حالة الضعف التي نحن فيها ، سمي كل الاشياء الجميلة في هذا العالم باسمه ـ تماما كما يحدث للعشاق الدنيويين . إن أجمل مشهد بالنسبة لهم هو منظر الاسارير الفعلية للمحبوب ، ولكن من أجل الذكرى وحدها فانهم يسعدون بمنظر قيثارة ، رمح صغير ، ربما كرسي أو حتى مضمار ملعب أو أي شيء في العالم يثير ذكرى المحبوب .

(ماكسيموس الصوري) .

- ١ -

هــذه القــوة أن تطلق زفــيراً
الهـواء الـذي استنشق بعمق
وتعطيه صوتا ، مفـرادت ، واضحة
تتحرك الى العالم الحقيقي ، يتوهج هناك

كحجـره
كسـكين
كغابـة

يفتـح بابٌ مـن الصمت
ليدخلهـم ، هـؤلاء
الذيـن تركونا منذ زمـن
دون دمـوع ، هـؤلاء
الذين لم تقابلهم حتى الآن الا كأشباحٍ
سـاقطةٍ عبر الحقول ، مرتفعـةٍ الى
أحضاننـا تجسيداً رائعـاً في أحلامنا
تزلـق اليـد أو السـاق
نتعثـر بأسـماءهم ونجدهم حقيقيين
نتعثـر بأسمائهم ونجدهم حقيقيين
شـيء مـن تألقهـم
الملموسـ
كاتـم في النفس الذي نسحبه

اسـد
افيـون
موجـة

حـاجـات مألوفـة خـارج الـزمـن
تزحف الـى الامـام تضـيء

مكانــاً مجهولاً فينــا
ــ رياح كأنها من الكواكب الاخرى ترفع أضلعنا ، تدحرج
مــن خلالنــا
مقاطــع ثابتــة
ينهضــون ، يهمهمــون ، يدورون في نموذج متماسك

نجمــاً انيســاً
بلوطــاً
ذئبــاً
فنجانــاً
حربــةً
ملاكــاً .

- ٢ -

لقــاء العيون وحــده
كاف ، انتشــر
ســحر ســاحرةٍ مــا
مــن ســماواتٍ زرقــاء ترمينــا
خارج طقس جسمنا ولســنوات
ســبع نســقط
عميقــاً الى تلك الحالــة
حيث يبــدو واحــد ســليماً
ويبــدو الآخــر مريضــاً ، أو حــين نعــود

قرب العمود ، على الجسر
حيث تلتقط المياه الدخانية
الشمس ، نجد انفسنا
تائهين في غابة
من الدموع وكخطوط الافق
نتدحرج خارج تلك النظرة الى
انفسنا باحثين عن مسافة
لم نكن نعلم بوجودها تتراقص فينا .
تتراقص النجوم ومعها نخل الجنان
يتفتح فضيا كما يستحمُ
الأحبة بعضهم في ضوء بعض
نظرة واحدة وكل ذلك
العالم الآخر يلقى مفتوحاً
ليقاس
نبضةً بنبضة مع النفس
الحي ، يطفو أول حرف « و »
الى الامام ونصيب يومي دائم
حتى في النوم ينصبُ الى
جسده الى الحياة
الى العمل .

- ٣ -

إننـي ممتـنٌ الآن لكـل
تلـك اللحظـات التـي كنـتُ
بهـا غائبـاً عـن غـير قصـد
حيـث كـان يتضـح
شـيء مهـم

بعـد أن غـادرت الغرفـة خلسـة
لألحـق بالنحـل
الى انفـاق مـن أوراق الشجر الحـارة
لم التقط ذاك اللحن ولكن التقطت غـيره
عدم الانصـات كان طريقةً لاستراق
أصـوات ابعـد واصغـر
والنـوم فـوق كتـاب
أفضـل طريـق لتجنـب
شـارات الاتجاه الى أنماط حياة أكثر نظاما تعثرتُ
بـدلاً مـن ذلـك
بمغامـرات صاخبـة
في رأس ولد صغير لينفصح لي عمّن قرّرَ
قـدره في ذلـك اليـوم

دعـونـا

ندخل نرسل اليكم الرسالة التي لن تفهموا شيئا منها كلمة السر
الى مكان ستوقف نفسكم بـه

عمر من الآن ، حقل يتماوج
على شفرات العشب وتفتح أجنحته فجأة
وطوال القد هناك
يمشون كل على حده بين اشجار الفريز قرب
الامواج المتكسرة يمكنك سماعها
تحف الحبة
في راسك الثقيل وصوت طائر السلوى ينغم
خلالها
والكتاب الذي تقلب صفحاته
على أنفاسك
لم يكتب بعد سطراً
على سطر ، تسقط الاخاديد
بعيداً الى جدول دخاني ، قامات طويلة ترعى
بدورهم ، يرفع الغرباء
أذرعهم المواسية باتجاهك ، كل هذه الوجوه
المتألقة كي تتعرف عشاقك الاول ، التجويفات
في العشب البارد الى جانبهم ما زالت تحمل
طبعة جسمك
كما تقنع القصائد والمناسبات
في اماكنها ونظرتك التي ما زالت لا مبالية تتجه
الى الداخل
ويندلع فصل كامل في جليد ، في الظل
واضحاً فقط
في ومضات تابعة لنظراتك
حين تنظر
الى البعيد

- ٤ -

قـد يكـون هـذا هـو الموسـم ، قـد يكـون
ولكـن فجـأة اشـعر
حـراً لأحضر اي شيء الى العمل ، هكذا احبك
هي إحدى طرق البداية ، أو أن شجرة الكمثرى
تضـيء عنـد الفجـر
مدينـة بسـيرها المزدحـم ، نظامـاً آخـر
للصـوت

إن سـحب النفـس
وتبادله مـع الكلام يبـدو انـدر المواهـب
في ملكيتنـا المحـدودة اشـباح
الأحـد الدخـاني تنجرف تحت خريطـة الميـنـاء
الشاسـعة ، الجـن
الذي نحتسيه ببطء حول مكعبات الثلج المضاءة بالشمس
ينحسـر كمـا أن عبـور
كل منا داخل وخارج شبح كل منا يعطينا مدداً
مسـاء الأحـد
يطفح كأسـه يثقـل
في أيدينا ويرتفع بنا ، بدأنا تحصي انفاسـنـا

أو من الممكن ان يقول احد « الحب قادم »
هـي بالتأكيـد أجمـل قصيـدة حـب
أتـت مـن أستراليا أو ما نسميه

حب انوجدان الاسترالي حين ما نغنيه
هو قلب فم رجل في مكان ما
في حوافي النهار يفكر والليل يقترب
الحب أو الموسم حرارتهم المشتركة أو مدّ
الموسيقا يسحب جسدي
وأن تستديرين ترفعين كأسك
في ضوء الشمس ، مع كل الاحد ، أفضل ما به
أمامنا ، وبعد ذلك بما أنّ كل الأشياء الآن
لها مناسبة
ولحن في حياتنا
كما نضعها
الحب والليل

- ٥ -

كم من أشياء تدعونا
ان ننظر اليها فننطق
أسماءها

قبل ان تستطيع الظهور
في قصائدنا ، في حياتنا ، والا كيف يمكن لها
ان تظهر الى الوجود الملائكة ، القناطير ، أصابع الشوكلاته
كلهم من نظام واحد ، ودورنا
في خلقهم واضح ، إن ما بذهني
هو الأشجار ولكن ليس ذاك القيقب البرجي المضيء الذي
يمكن تركه لميزاته الخاصة

في صنــع في زعــزعــة
مجرّات كاملة من البني القرمزي الذهبي الاخضر الذي يقود

للازرق ولكنّ ما يضيء خلال
أغصانهــا في أي ضوء
ويبهر حين أسميه خارج صمت

جسمي يعطيهـا الحيــاة
كشجرة وغصنا بغصن أكسوها بالبني القرمزي
الذهبي الأخضر قلّما تهمّ الألوان

أو النوع أو أي الطيور
تطؤها فسحة تنفس
في هجرتهـا العاطفيــة ما يهـمّ حقـاً

هو أن أحد الأشياء الكثيرة التي
تحتاجنا حين نسميها
يجب أن تنظر ولو بمقدار ضئيل وتظهر

- ٦ -

طوال الليل فـوق رؤوسنا
تنجرف الغابات والنصف السفلي الشاحب
مـن الفيـوم
أستغرقنا في النوم ، لقد كان القمر
قد سحب فوقنا مياهه المليئة نوما تنبعث

الاشباح من الوديان تفتح جدراناً تملأ تجويفات
أيدينا تنساب من تحت الاحجار الساخنة تصل أفخاذنا
تتجمد
حول حلمات الثدي تلسع بالبرد الصدغ حين ترفع الجدائل
الآن
حيث لا وزن لنا ؟ كأننا في الفضاء
نمشي كل منا في حلم الآخر

الزرقة قاتمة جداً
هنا ونحن
مخلوقات تحت بحرية فائقة
عانت من تغيير البحر
تتسلق القصائد خارجة من افواهنا
حتى في الصمت
يضع تنفسنا فقاعات مضيئة
كل واحد تمسك
الشمس في مركزها
حين تنكسر
تبدو النجوم مرئية

ظلام يتراكم
فوقنا جذوراً
لجزيرة (كثيراً) اطلق
زفير وابدا فجأة

الى الاعلى باتجاه رفه البحري الحار أتمتم
أتنفس أمواج متكسرة غير مرئيـة تتراطم
كاسرة قضيب
الضوء على طول خط سماء أضلعك

- ٧ -

لدى سماعك تقرأين القصائد . . . لدى سماعك تتنفسين
خلالها : إحساسي بنفسك يحتك بعالم الاشياء
أسكن اليــوم
تتوهج بقوة خاصة اثارة طفيفة بذات الارتفاع
قارتان من الهواء تنزلقان الى الاعلى ، الواحدة عبر الاخرى
والحدث عندنا هنا هو سلسلة برق تتموج
خلالنا الى الارض نحن عازفو
موسيقـا خالصـة
تلعب على رؤوس أصابعنا موضـ
ابسط الحقائق البيتية حتى ان سكب
التونيك الى الجن فجأة يعطى (حين تضيء الغرفة
منظرا في غرفة ما أبعد) معنى آخر
عن الذي قصدته يدانا أو حين تطفىء الاضواء
نجد أنفسنا في مكان أكثر ظلمة مما كان
هذا أبـدا نفسـك
الذي يرتفع يسقط يرتفع بين السطور
ليس نفسـك وحـدك ، الارض

تتنفس يخور الراقصون الى عدم التنفس
في العشـب الكثيف العشـاق
السـاقطون خلال شبكة أجسادهم السوداء
يتنفسون الواحد للآخر ، الضوء ، الحياة ، احتفال آخر
غير الذي قصدته أياديهم يأخذهم انحني
وانصتَ الى الوقفات حيث يُعادُ الهواء
الى رئتيك ، يتغير يعبأ ثانيةً ، أحمـل
الى الامام حيث ينتفخ الى مكان قراءتك الآخر ، ماراً
حيث يلتقط الراقصون نفسهم الثاني ، والعشاق
النفس الوحيدة كالموجة ، نحن عازفو
نار السماء ، موسيقاها الحالية ، تدق خلالنا ، حتى الارض

- ٨ -

لـو كان لي أن أقـدم لـك
قصيـدةً لكانـت الصمـت
نفسـه وحيـداً
هادئـاً دون وقـع خطـى

هـذه الطريقة كما توَجـه
العـين الى مناظـر ميـاه
سنوماتو أو تلك الطريقـة :
الاذن باتجاه الاجراس

الصمت الذي سيكون
في وقتـه هندسـة

للصـوت الخالص حيث
تتمازج الاصوات خلال أعمـدة

هـواء الى مسـافة
مطلقـة ؛ الرقصة التي انـتِ
موسـيقاها
النحـل في دخـان

الذهـب الحـار يفقـد شـبكة
اجسامه ليلتقط مـاذا ؟ أجيـالاً
لم تنخيـل الاجنحـة بعـد ؟
السـقوط البطـيء

للعسـل ؟ خـط نغـم
جسـمك يتحلـل مـن الوقـت
باتجاهـي ؟
اسـرى

هكـذا على مـدى قـرون
نتعلـم كيف يتحـرك
الإلـه كيف تحركنـا
الآلهـة يلقـي انعكاسَ

ظلـه في العقـل
كظلتـين متصلـين وسـوية
لحنـا انغامهمـا

في الأوان ايديهما أيضاً
وأرواحهما تقود الخطوات
الى اللا مكان ، كل مكان
الموسيقى دون توقف أو أفق

تكون في فواصل نفسك
تنفس الارض الصاخب
خلالك ، إقبليها
القصيدة كهدية خالصة

- ٩ -

الليلة حيث يكودنا إيروس ، وعلى يساري إله الاقتران
اكرس نفسي لأتخيل جسداً لك ؛ بادئاً بصوتك
كما يصلني عبر اثنتي عشرة منطقة
من عناصر
الصوت والكلام المشترك افهمك
من الشفاه الموسيقية
من الاحرف الاحتكاكية ، المنفجرة الهامة
هذه الغرف وما يحيط بها كهوف
من العاصفة ، حيث ينفجر الهواء ، يدق اللسان
على جسر السن والاسنان تدفع المقاطع
اتجاهي
أصمم أولاً أذناً أسمع بواسطتها كل هذا ومن
كلمة ولتكن « الموج المتكسر » استنتج

زرقة عين
دورانها ، فرحها
في فضاء ، خط ، ضوء ، لون منطق
من الطريقة التي تعتلي بها تموّجات نفسك ادرك
حركتك خلالها
أفرغ الرئتين المتواصلتين
اللتين احجز بين اضلعي
والكلّ في تلك الكلمة الواحدة في عمل متقدر
تطرق اكتافك خلاله واكتشف لك
يدين تسحبان الماء ، كعبين
يخلّصان كل القارات المعروفة
من سلاسل ضوء الشمس الثقيلة ، يهتز
المحرك
في ضوء بحري يصل
الشاطىء ويترنح منتصبا ، يرعد الدم
خلال شبكة اكثر تعقيدا من كل شوارع
سدني تفك الاعصاب
في ثوان رموز رسائل بعدد ما يفك
المركز الذي يوصل بيننا الآن
في قرون مع اني استلمها في لحظة
صورتك الملتهبة
حيث أن العقل الذي به يدركُ هذا الجسد
هو ما يدركه الجسد حتى الموت
كنفسه ، الحقه ككائن

ومـع اني أقف
على الصمت حيث ينقطع صوتك فقط مع ضواح
وأوراقها المهتزة ، النائمون فيما بين . أنا سعيد
لاري ذلك يحصل ثانية ، اعجوبة كما هي دوما
هـذا المثـال
نابـع من جسدك الى الوجود ، كامل في المقطع الاول
كما لو انه خارج من الظلمة ؛ التي هي أبدية اكتشف
مع صدمة اعتقـاد
بأنـك أنـتِ هكذا ؛ تلخلـين ثانيـة
ضوء العقل خارج أي ظلام نهائي طالمـا
يستمر النفس ويحفظ الخط
اتصـاله

-١٠-

انفتـح الهـواء وسـائقوا الدراجات
سـائرون ، هذا هو الازرق الذي كنا نعد
لانـه هـو
ازرق هـو
تشرين الاول ؛ من كان يمكن أن يظن قبل ستة اشهر
أنه لولا أيام غائمة في طبقات الهواء
أو أن للأشـجار كل هذه الاوراق
يبعثـرون قبضات كاملة منها للنسيم
ومع ذلك يعيشون الربيـع
الربيـع في اليـد حلقـات

تطير في أرقام ثمانية ، بأسلوب رفيع
توازن كبير ، قطعنا شوطا بعيدا منذ نيسان ؛ أو في وقت
كان جلّ ما تخيلناه
مناسباً لانتفاضنا من الاطواق
القنطور ، مع أن الازرق
ليس أشدّ زرقةً
اعتقد من بالدوفينيتذ
وفي مكان ما بين الاغصان ، من أجل كل عدونا
المفاجيء بعيداً
على زاوية من أنفسنا
تنفس الآلهة تقولها
« أخضر » وفي مكان عالٍ خلف الغيوم وممرات الطيران
« أزرق » أقول لنفسي سيعرف كريس كيف يُرتب هذا
كمكان مصنوع يصرّح به
كما تفعل الاشجار « أخضر »
كما السماء لمياه البحرة ، ماسكة
ست أقدام على الاكثر ضد الخلود وتتنفسها
« أزرق »

المصدر :

دافيد معلوف **قصائد مختارة** (انكوس وروبيرتسون ـ لندن ١٩٨١) .

David Malouf : **Selected Poems** (Angus and Robertson Publishers), London, 1981, « Inspirations », PP 77 - 90.

قصـــائد

• أ. د. هـــوب • ترجمة: عبدالكريم ناصيف

استراليـا Australia

عِـرْق مـن الشـجر الأرقـط
كبـزات المفاويـر ذات الرمـادي والاخضـر
يكسـو بالقتـام تلالهـا الممتـدة الى البعيـد البعيـد
كمخالب أبي هـول محطم او تمثال سبع مهترىء .

البلاد الفتيـة يدعونهـا ، لكنهـم يكذبـون
فهي آخـر البلـدان واشـدها خـواء
امـرأة تجـاوزت سـن اليأس
ثـدي ما يـزال غضـاً لكـن في الرحـم اليبـاس

بـلا أغـان ، بـلا فـن ، بـلا تاريـخ :
عواطف وأسـاطير هـذه البلـدان الفتيـة
حيـث تغـرق الانهـار في رمالهـا الداخليـة
نهـر غبائهـا الشـديد

من كيرنز الى بيرث يغمر قبائلها المتشابهة الطوفان
وفي النهاية حين يصل أواخر الرجال
لا يفخرون بقولهم : « نحن أحياء » بل « نحن ناجون »
نموذج من البشر يقطن أرض الموات

مدنها الخمس كقروح خمسة تنز
يفرغها الكل : دولة مطاطية طفيلية شاسعة
يتزاحم رعاع الاوربيين البائسين
على حواف شطآنها الغريبة ، مذعورين

لكن ثمة ، مثلي ، من يلتفت الى الوطن سعيدا
يشيح النظر عن غاب التفكير الحديث عله يكتشف
صحراء العقل البشري الخاوية كالصحراء العربية
وكله أمل ، إن كان ثمة أمل في أن تخرج الصحارى أنبياء

وأن تحاول تلال جرداء قاحلة غير هذي التلال الخضراء
أن تتفتح الربيع في هذه الفيفاء ، أن تستطيع روح ما
أن تنجو من شكوك المتعلمين ، من ثرثرة القردة المتحضرين
تلك التي تدعى حضارة هنا

Prometheus Unbound بروميتيوس طليقاً

مقيداً ، مغلوباً ، موجعاً ما يزال
مع ذلك كان عظيم الرجاء ثابت الجنان
على قمة القوقاز ، صديق الانسان
رأى في الشمال بريقاً يغمر السهول
وهرمز يهبط من السماء ، يكسر القيود
ثم يحمله عالياً مشرق الوجه بالضياء
حينذاك سأله صديق الانسان
أتراه ، إذن ، ندم ذلك الطاغية العجوز
ابو الارباب أم هوى عن عرشه بعد طول زمان ؟

« لا » ، ما حكمة زيوس موضع هزء « اجاب هرمز الإله
ولا ثمة تغيير لقراره العظيم او إلغاء
بل هذا ما قاله زيوس رب الأرباب :
« اذهب فأطلق سراح ذلك العملاق
وليكن عقابه الجديد نقل رماد البشر
بين شطآن المحيطات والبحار
جزاء على سرقته النار ، تلك التي حولتهم الى رماد

الجــزر المتنقلــة The Wandering Islands

ليس بوســعك ان تقيــم بــين الجــزر المتنقلــة الجســور
وليس للعقــل جــيران ، فيما القلــب الفطــري دائمـاً
يعلــن الهدنــة المــرة تلــو المــرة ، باذلاً
كــل مــا لديــه مــن حــب كي يقــرّب بــين المتباعديــن

هي ليســت على الخارطة ، تدير كتفيهــا بلا مبــالاة
لصيــادي الجــزر دون أن تخشــى
كــوك أو ديكويروس أو بنــاة ـ الامبراطوريــة
مــن اســاقفة مبشــرين وتجــار ســيّاح

هي غــير ملحقــه بأحــد ، لا تدعــي لنفســها مكانــا ثابتــا
لا تفخــر بأنهــا ذات الموقــع الافضــل في العالــم
لجنــة الجــزر المرجانيــة لا تكــن لها شــديد التعلق
ولا لحــزام الــزلازل موقفــه المتميــز

هي مجــرد ملجــأ لبحّــار تحطمــت ســفينته
يجلس على الشــاطىء ، مكتئبــاً يحلــم
بمــن ينقــذه ، يحلــم ، بزحــام الناس في الموانىء يحلــم
وبالمومسات ذوات الارداف الكبيرة عند بوابات الارصفة يحلــم

مع ذلــك تمضي الجــزر المتنقلــة في شــأنها
لا تبــالي ان كانت الحيتــان تسبح حولهــا أو تحتهــا
لا يعنيهــا إن كانت ســتنال الغفــران أخــيراً
وإن تتصــادم سيكون ذلــك اشبه بدوي رعــد عرضــي

رغـم انهـا سـتصاب بالاذى ـ فالحيـوانات الإجتماعيـة
لا تطوق شواطئها العاريـة بسلسلة مـن صخـور الاخـلاق
وحين تطحنها الكتـل الجليدية تعرف معنـى الجمـال والرعـب
فهـي ليسـت بمنجـاة مـن الحـزن البشـري

فكمـا تفاجئهـا أعمـال السـماء تفاجئهـا ايضـا
أعمـال النهب والتخريب المتسـترة بالحب ـ كما لا تتنـاول يومـاً
دورهـا الـذي لا يقـاوم بالكـذب والافتـراء
باعتبـاره دوراً للجغرافيـا أو القانـون

وفي لحظـة هيـاج ، لحظـة انفجـار جبـل مـن رذاذ
تندفـع معـا ، تتشـابك نتوءاتهـا
في تلك اللحظـة يحيي الشـريد الشـريد
انمـا يضيـع الصـوت في جلبـة الصدمـة تلـك

بعـد ذاك ، ومـع انسـحاق الجـروف المحطمـة
وتعـالي الزبـد وثورانـه ، تنفصـل الجـزر المتنقلـة
لكـن كـل مـا يعرفـه واحدهـم عـن الآخـر
أو يحطـم عزلـة القلـوب الطويلـة

انمـا يجري في تلك اللحظة ، بعدها يحس البحار الذي غرقت سفينته
أن كل ما في قلبـه من يأس يرتسـم على ذلـك الوجـه المتراجـع
كما يسمع بـين الاصـوات الرتيبـة
صـوت الامـواج والرياح يقول : « لا ، ليس ثمـة نجاة »

« تأملات مبعثها عظم » Meditation ona Bone

في عام ١٩٠١ ، اكتشفت في تروندجيم قطعة عظم وقد كتب عليها بالحرف الروني ١ (حوالي ١٠٥٠ م) ما يلي :

« أحببتها عذراء
لا ، لن أزعج زوجة إيرلند الكريهة
فخير لها لو كانت أرملة » .]

كلمات نقشت على عظم
في لحظة يأس أو سخط ـ
قبل تسعمائة عام
والآن ، في عصر آخر ما تزال
تتقد هوى مشبوباً
على صفحة ميتة في كتاب أحد الباحثين

الباحث يتناول قلمه
ثم يقلب العظم
يسجل تلك الكلمات من جديد
ومرة أخرى تفور وتضج
وفي تلافيف دماغ بشري
يجلجل الكره الذي لا يموت

(١) الحرف الروني : من حروف أبجدية تيوتونية قديمة (أي اللغة الام للغات الجرمانية، الاسكندينافية .. الخ .)

« قد أحببتها وهي عذراء
لكنني أحب وأنفر من الزوجة
تلك التي تدفىء فراشر آخر
فليحذر على حياته »

يد الباحث تجمد
وقلمه يصبح سكيناً

ينقش على العظم الحي
تلك الصرخة العنيفة القديمة
ثم يجلس متأملاً
حجم ما يعانيه من بأساء
فقد انقضت الف من السنين
ولم يجف ذلك المداد

بعدئذ يأتي رجل غريب
رجل مختلف كل الاختلاف
يقرأ فيعصر قلبه
ذلك الحزن القديم
ثم يفكر ويفكر ، حين ينبشون قبري
اي عظم تراه ينطق بلساني ؟

الـــوداع The Farewell

أيتهـا النســاء جميعـاً ، وداعـاً لكـنَّ
يا مــن تلزمــن المدينـــة
لا متعــة ولا مهنـــة ولكـــن
ســوى اللهــو على فرشــ مــن زغــب

على فرشــ مــن زغــب تســترخين
تســترحــن طــوال النهــار
وحــين تطلــع النجــوم
تبــدأن عابــث لهوكــن

وداعــاً لجميــع عشــاقكن
مــن تمارســ معهــم مهنتكــن
وداعــاً لأســرّة عليهــا
تلعبــن لعبتكــن

وداعــاً لأحزمــة ومخرمــات
تلف حريــر افخاذكــن
وداعــاً لفتنــة طاغيــة
شــبكتنا كســحر الســاحرين

وداعـاً لـك يا أعزهـن
يا مليكـة متوجـة عليهـن
يا احكمهـن واجملهـن
لا يسعني الا أن الـوح بالـوداع
فالمأدبـة شـارفت على الانتهاء ، والطاولة خـواء
والليـل في هزيمـه الاخـير
وصوتـك يختـم الحكايـة
تلـك التي لا تحكـى مـن جديـد
ذات مـرة أنـت التـي أنذرتنـي
ونحـن نرقـد متلاصقـين
ان أرحـل قبـل طلـوع الفجـر
فانظـري ، ها هـو ذا النهـار !
وانـت ، انـت مـن علمتنـي
ان علي انتظـار الضيـاء
كـي أطفىء نجومـا قادتنـي
على طريـق الليـل
وداعـاً لكـن جميعـا
يا مـن ادفأتنـي نيرانكـن
فرغبتـي كلهـا الآن
في شمـس بـلا ظـلال

غصـن أخضـر مثمـر
أتيـت بـه إليكـن
لكـن . . . لا . . كيف تتذكر عظامي واربآه !
ما ينبغـي أن تنسـاه

وداعـاً يا عناقات لطيفـة
أكسـبت قلبـي الحكمـة
فثمـة الآن نـور أسـطع
يسـتبدل ألـق عيونهـن

وداعـاً يا مدرسـة للذائـذ
درسـت فيهـا طويـلا
فخطابـي اليـوم أثقـل
لكـن أغانـي باتـت أجمـل

المراقب The Watcher

اتستطيع شجرة ، نسفها الحزن
وجذورها ضاربة في تربة اليأس
أن تتوج رأسها بالبراعم والاوراق ؟
أن تضوع أزهارها بالاريج ؟

أيستطيع الطير الجاثم على الغصن
وهو يجرب نضج الثمار
أن يعرف العذاب الذي يعاني منه الجذع ؟
أن يعلم بالدودة التي تقرض الجذر ؟

في الرؤيا ، رأيت شجرتي
تتسربل ببياض كبياض الجنة
وكل غصن في ذروة النشوة
ينشر لليل شذاه

أزواجاً كان العشاق يتهادون
بهجتهم ملء الكون
والطير الذي يطير هناك
قد اختار غصنه لبناء العش

وحول الشجرة تحلق الاطفال
كالمد الضاحك يتذوقون وينظرون
« لنرَ الثمرة اللامعة » يصرخون
« لنرَ الشجرة السعيدة الكثيرة الازهار »

لكنك وحدك هناك
جئت بقلبك المفعم بالتكهنات
تنشقت ذلك الهواء الساكن المسحور
ثم انهمرت دموعك أسى وعناء

شدة إحساسك بالمصاب
وانت ترى روعة الثمار
روت الارض تحت قدميك
متغلغلة الى الجذر المنخور ، حاملة له الشفاء

حينذاك كف الطائر بين الاوراق
عن غنائه وقد أدرك معنى الحزن
كما راى العاشق ما يكمن من أسى
في أعماق العيون البشرية

لكن الاطفال المتحلقين حولك
يمسكون بيديك ضاحكين هاتفين
« أيتها الثمرة اللامعة
أيتها الشجرة السعيدة السعيدة »

المصدر :

A. D. Hope Collected Poems (1930 - 1970) Aand R. Australia 1972.

قصيدة أسترالية مِن العقد الفريد

● أ. د. هـوب ● إعداد: قلم التحرير

نقدم فيما يلي قصيدة للشاعر أ. د. هـوب مقتبسة مـن قصة وردت في « العقـد الفريد » حول شاب مـات في حضرة الخليفه يزيد من شدة الطرب والعشق . وقد اثرنا تقديم النصين العربي والانكليزي . والمعروف ان (هوب) من أبرز شعراء أستراليا الكبار وهو أسـتاذ ممتاز للادب الانكليزي في الجامعة القوميـة الاسترالية في كانبيرا . ولـه نصوص أخـرى مترجمة في العـدد الحالي مـن (الآداب الاجنبيـة) .

رئيس التحرير

A. D. Hope

The Fortunate Youth

A Poem from the Arabic

Abdul Qasim Isma'il the Wise, they say,
To entertain his frinds along the way
From Iraq, as they journeyed to the Haji
Towards Mecca on the annual pilgrimage
Told this tale — he vouched for it — among
Others of men who died on hearing a song.

Camped in the desert at night, when they had fed,
The host of heaven wheeling overhead,
Its beauty and its splendour before long
Turned their talk to the force and power of song,
Poetry and the fatalities of love.
And Abdul Qasim, watching the stars move
Spoke of their influence on the lives of men.
« The poetry of the Arabs, » he added then,
« Is no less powerful, as my tale, indded
Demonstrates ». It concerns the great Yazid
Ibn Abdul Malik who is counted nine.
In order of Caliphs of the Umaiyad line.

It seems that in Medina in his day
There lived a slave - girl famed in every way:

Fairest of face and form in womenkind
But even more fair in traits of heart and mind;
She read the Koran, recited poetry,
Sang like an angel and was said to be
As perfect in Arabic as in her own tongue
And therewith pleasant, blooming, fresh and young
So that, as these attractions spread her fame,
The Caliph sent for her and, when she came,
Yazid completely lost his heart to her
And pondered gifts and pleasures to confer
Which might more closely bind her to his heart.
But, though she thanked him smiling, for her part
She wanted nothing, she said; if she could please
The Caliph, it sufficed her. Words like these
Gave reason for the Caliph to reflect
That perfect power is powerless to perfect
The bond of love he so yearned to fulfil
With this enchantress. Sure, there might be still
Some person in Medina left behind
To whom she was attached in heart or mind.
So, shrewd and gentle, hoping to have earned
Her love by princely means, one day he turned
To her and asked. « Have you, perhaps, a friend
Or some relation whom you could commend,
Someone you love or someone who loves you
Back in Medina, so that I could do
A kindness, grant a favour to him, make

Provision in his necessity for pour sake ? »
« Amir al Muminina, » she answered, « O
Commander of the Faithful, Kinsmen? No,
Not in Medina, but there are just three
Friends of my mistress who were good to me
Whom I have always wished to do some good.
But up till now, of course, I never could. »

So then the Caliph wrote the three names down
And sent them to the governor of The Town,
Saying, « Pay ten thousand dirhams as a fee
To each and send them on posthaste to me. »
The governor did so and despatched them straight
To him and when they came to Yazid's gate
Permission was asked and given. With no delay
The Caliph welcomed them and bade each say
What he desired most and it should be done.
Two answered and were gratified, but one
Was silent and when asked he shook his head
And when the Caliph asked again he said,
« Commander of the Faithful, no, indeed
Believe me, there is nothing that I need ».
Yazid asked, « Is there really nothing, then,
That I can do to meet your wish ? » Again
The young man paused and then he said, « Well, yes,
Commander of the Faithful, but my guess
Is that you will not do it ». « Yet ask! for you

Must see I can do nothing unless you do ».
« And have I promise of security
Commander of the Faithful ? » « Yes, » said he,
« My promise with pleasure. » « Then if you think it right,
Command your slave - girl, So - and - so, to delight
And honour us by singing three songs of mine
And I shall pledge her in three cups of wine».
Then Yazid's face fell and he left his seat
And went in to the slave - girl to repeat
The youth's request. She sighed, « So he is here.
Do this thing, prince, for what have you to fear ? ».

So when it was morning he sent for the young man.
He was brought to the presence. Yazid began
To give his orders: first three chairs of gold
Were brought. He sat and the slave-girl was told
To take the next and the young man the third.
Then food was served according to his word
And they took breakfast. When the meal was done
And the three cups of wine poured one by one,
He called for fragrant herbs and perfumes there
And straight away all their odours filled the air
Then curning to the youth at last, the dread
Commander of the Faithful quietly said,
« Say what occurs to you; ask what you will ! »
He said, « Tell her to sing: Unless it kill,
Love so afflicts me that no peace I know.

I beg her only that she let me go
Or force this torment to the final pang.
So Yazid gave his order and she sang.

Then Yazid drank and after the young man
And after him the slave-girl raised hed can,
And when they had drained their cups, at Yazid's word
And three more measures of wine were brought and poured,
He said to the young man, « Now ask again ! »
He said, « Would you command her next to sing:
I asked from the Vale of Na'mani but one thing:
Aflower spray of the 'arak tree for Hind
But no-one to deliver it can I find.
You, my companions stumble and turn away
And Hind is absent; where, you will not say.

She sang it. Yazid drank; the young man too
Drank and the slave-girl, each in order due
And they sat silent. Until Yazid stirred
And three fresh cups of wine were brought and poured,
Then Yazid, calm, although his look was dire
Turned to the youth and said « Ask your desire »
The young man said his voice was faint and low
« Tell her, Commander of the Faithful, now
To sing a song she knows, for she has cause:
« Nearing on my part and withdrawing on yours...

There his voice broke, faltered and died away.
She took her lute then and began to play
And Yazid ordered her once more to sing.
Once more the exquisite pure voice took wing
But had not finished the second verse before
He fainted and Yazid said, « Stop! No more!
Go, see how he is ! » She went to him and said,
When she had shaken him, « Lo, he is dead ! »
And he said, « Weep for him! » But she said, « No,
Commander of the Faithful, for even so,
You are alive ». « Weep for him! I say,
For, by God, if he were alive, this day
He should not go without you! » With a grim
Gesture ha left her.
So she wept for him
And Yazid ordered a funeral and began
A fine tomb for that fortunate young man.

Abdul Qasum fell silent and on high
The silent stars swept on across the sky.

(From the 'iqd al Farid of Ibn 'abdi Rabbihi)

XIIL PERSONS WHO DIED OR FAINTED ON HEARING A SONG.

من قرع قلبه صوت فمات منه او اشرف :

حدث أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله المأمون في طريق الحج من العراق الى مكة قال : كانت بالمدينة قَيْنَة من احسن الناس وجها واكملهم عقلا وافضلهم أدبا قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية، فوقعت عند يزيد بن عبد الملك ، فأخذت بمجامع قلبه . فقال لها ذات يوم : ويحك اما لك قرابة أو أحد تحبين أن أصطنعه او اسدي اليه معروفا ؟ قالت : يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا . ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا أصدقاء لمولاتي كنت أحب ان ينالهم من خير ما صرت اليه ، فكتب الى عامله بالمدينة في إشخاصهم وان يعطى كل رجل منهم عشرة آلاف درهم وان يعجل بسراحهم اليه . ففعل عامل المدينة ذلك فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فأذن لهم واكرمهم وسألهم حوائجهم فاما الاثنان فذكرا حوائجهم فقضاها لهما ، وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال : يا أمير المؤمنين ما لي حاجة قال ويحك ولِمَ ألست أقدر على حوائجك ؟ قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي لا أحسبك تقضيها . قال ويحك فسلني فانك لا تسألني حاجة أقدر عليها الا قضيتها . قال ولي الامان يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم وكرامة . قال إن رأيت ان تأمر جاريتك فلانة التي أكرمتنا لها أن تغنيني ثلاثة أصوات أشرب عليها ثلاثة أرطال فافعل . قال فتغير وجه يزيد وقام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها . قالت وما عليك يا أمير المؤمنين افعل ذلك ، فلما كان من الغد أمر بالفتى فأحضر وأمر بثلاثة كراسي من ذهب فألقيت فقعد يزيد على احدها وقعد الجارية على الآخر وقعد الفتى على الثالث . ثم دعا بطعام فتغدوا جميعا ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت . ثم أمر بثلاثة أرطال فملئت . ثم قال للفتى قل ما بدا لك وسل حاجتك قال تأمرها تغني .

لا أستطيع سلوا عن مودتها
أو يصنع الحب بي فوق الذي صنعا
أدعو الى هجرها قلبي فيسعدني
حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها ففنت فشرب يزيد وشرب الفتى ثم شربت الجارية . ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها تغني .

تخيرت من نعمان عود أراكة
لهند ولكن من يبلغه هندا
ألا عرجا بي بارك الله فيكما
وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا

قال فغنت بها وشرب يزيد ثم الفتى ثم الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال الفتى سل حاجتك قال يا أمير المؤمنين مرها تغني .

منا الوصال ومنكم الهجر
حتى يفرق بيننا الدهر
والله ما أسلوكما أبدا
ما لاح نجم أو بدا فجر

قال فلم تأت على آخر الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه . فقال يزيد للجارية انظري ما حاله . فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت . فقال لها ابكيه قالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي . قال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك ، فبكته وأمر بالفتى فأحسن جهازه ودفنه (*) .

(*) من العقد الفريد لابن عبد ربه .

شجرة البرتقال

● جون . شو . نيلسون ● ترجمة : د . ابراهيم الشهابي

لقد لفت نظري عنوان هذه القصيدة لما لشجرة البرتقال من أثر في نفس كل ساحلي من بلاد المتوسط ، خصوصا أبناء الساحل الشرقي .

إن شجرة البرتقال ، كشجرة الزيتون ، تعد رمزا من رموز فلسطين .

قرات القصيدة فأحسست بالسعادة الغامرة ، وبالشعر الصوفي العميق الذي يحمل النفس الى آفاق بعيدة تسمو على مادية الارض وينقل المرء الى أجواء صافية من المحبة والاخاء الانساني تزينها زرقة السماء وأشعة الشمس المنعشة ، عندها يرى الانسان بشاعة ما ترتكبه بعض الجماعات العنصرية ، في حق الانسانية ، وفي حق شجرة البرتقال وأبنائها ، يعكرون صفاء زرقة السماء ، ويلوثون خضرة أوراق البرتقال ، ويفقأون عيون الاطفال الابرياء الذين تفاعلت نظراتهم مع قطرات الندى التي تزين زهر البرتقال .

حملتني القصيدة على جناحيها فوق بيارات البرتقال في حيفا ويافا وصور ؛ فرأيت الدموع تتقاطر من براعمها والحزن يلف أوراقها .

شجرة البرتقال

وقفت الفتاة بجانبي ، دون أن
أرى ما رأته عيناها
وقالت : « هناك نور ، ليس من السماء ،
يحل في مكان ما من شجرة البرتقال . »

* * *

فتساءلت : « أشرقية ام غربية ،
خفقة قلب الفتى النوراني
الذي لم تفصح أنغام قيثارته ذات الرجع
الا عن ظواهر فرحته ؟

وهل رفع الفتى الى السماء
هاربا ، بجنون ، من الربيع
قبل أن يودع ، بحنان ،
حبه الكامن في تفتح البراعم ؟ »

* * *

فقالت الفتاة : « اصغ ! !
لا يطرق مسامعي صوت إنسان ولا موسيقى ،
بل صوت هبط من السماء
على شجرة البرتقال هذا المساء . »

* * *

فقلـت : « وهـل يخشـى الربيـع
قبـل أن يصعـد النسـغ الابيض في العـروف ؟
وهـل يـرى في المسـاء الذهبـي
كـل أحـداث الزمـن الغابـر ؟

هـل هجرتـه خضـرة الربيـع ؟
هـل دفعـه النـدى
الى عالـم المجهـول ، ولكنـه
ظـل يتسـاءل بفطنـة ممتزجـا بجمـال السـماء ؟ »

* * *

فقـالت الفتـاة : « إصـغ ! !
إنـك ، بسـبب حديثـك البائـس ،
لـن تـرى نـورا ، ولا خطـوة ، ولـن تسـمع نـداء
حـل على شـجرة البرتقـال هـذا المسـاء . »

* * *

فقلـت : « هـل هـو حـب ضائـع
خالـد ، أبـد الدهـر ، في الالـم ،
يتحـرك كيمـامـة مـذعـورة
تحـت نـور الشمـس أو تحـت المطـر ؟

هـل هـو قلـب مرتعش تهـاوى
راغبـا ، فحلـت عليـه اللعنـة ؟
هـل هـي الكلمـة الاخـيرة
التـي يتلعثـم بهـا طفـل عنـد حافـة القبـر ؟ »

* * *

فقالــت الفتــاة : « صــه ! !
لِـمَ تتابــع الكــلام لانهــاكــي ؟
كُــفَّ عــن تعــذيبــي الآن ، لانـنــي
أصغــي كمــا تصغــي شــجرة البرتقــال . »

THE ORANGE TREE

By : John Shaw Neilson

The young girl stood beside me. I
Saw not what her eyes could see.
— A light, she said, not of the sky
Lives somewhere in the Orange Tree.

— Is, it, I said, of east or west ?
The heartbeat of a luminous boy
Who with his faltering flute confessed
Only the edges of his joy ?

Was he, I said, borne to the blue
In a mad escapade of Spring
E're he could make a fond adieu
To his love in the blossoming ?

— Listen ! The young girl said. There calls
No voice, no music beats on me ¬
But it is almost sound ; it falls
This evening on the Orange Tree.

— Does he, I said, so fear the Spring
Ere the white sap too far can climb ?
See in the full gold evening
All happenings of the older time ?

Is he so goaded by the green ?
Does the compulsion of the dew
Make him unknowable but keen
Asking with beauty of the blue ?

— Listen ! the young girl said. For all
your hapless talk yon fail to see
There is a light, a step, a call
This evening on the Orang Tree.

— Is it, I said, a waste of love
Imperishably old in pain,
Moving as an afrighted dove
Under the sunlight or the rain ?

Is it a fluttering heart that gave
Too willingly and was reviled ?
Is it the stammering at the grave,
The last word of a Little child ?

— Silence ! the young girl said. Oh,
Why will yon talk to weary me ?
Plague me no longer now, for I
Am listening like the Orange Tree.

ومضات شعرية من أستراليا (1)

● ترجمة: د. هاني الراهب

العربي الأزرق

جوديت رايت

الفحل الصفير الازرق العربي يرقص على التلة
مثل كسارة طائشة ، مثل عاصفة تعربد في السماء
وفي أذنيه القرميديتين تغني الرياح ، جوابة ومتجسسة ،
لكثبان الجزيرة العربية التي ما زال لها لون الاسد .

الفحل الصفير الازرق ينتصب كاله تنطوري ،
شابكاً الشمس في عرفه المنتشر كالبحر ، ناسيا
مهراته القويات الأبدان لاجل شبح يرمح حافيا ؛
ومبدلا تلته المخملية العالية بسراب وقاد .

---

(1) أرسلت لي آن فيريرن هذه الترجمات التي كتبها د. هاني الراهب في صنعاء ، وهي لثلاثة شعراء نشرنا لهم في مواضع مختلفة من هذا العدد ، ونامل أن يساعد نشر هذه الومضات على اكتمال الصورة .

رئيس التحرير

BLUE ARAB

The small blue Arab stallion dances on the hill
like a glansing breaker, like a sorm rearing in the sky.
In his prick-ears the wind, that wanderer and spy,
sings of the dunes of Arabia, lion-coloured, still.

The small blue stallion poses like a centaur-god,
netting the sun in his sea-spray mane, forgetting
his stalwart mares for a phantom galloping unshod;
changing for a heat-mirage his tall and velvet hill.

علـى مـدى نهـر

جـونشـو نيلسـون

اوراق خضـراء ــ رقعـة مـن عالـم على مـدى نهـر ،
والاسـمر والفضـي يكسـوان كـز الجـذاع ،
وطائـر الـر فـراف يكـاغـي وفي حلقـه رعشـة
متلهفـا لانشـودة صباحيـة يغنيهـا لنـا .

قـرب تلـك الاشـجار هناك تتعلـق صخـرة حمـراء شـعثاء
وصغـار البطـة السـوداء ــ أسـطول صغـير على بحـر ؛
وفي السماء البعيـدة يحـوم حقـا عـدد زنيـم :
سقسـاق ينـادي ــ والدعـوة لـي .

عبر الجدول ، ببطء وبانكماش زائد ،
يهبط وادعا كنفر صغير مليء العينين
نحو حافة الماء الازرق ... وأنا أراه ينهل ...
وهو وانا وكل أناسه أصدقاء .

ALONG A RIVER

Green leaves-a patch of world along a river,
The drab and silver draping every limb,
The cackling kingfisher with throat a quiver
Eager to sing for us a morning hymn.

By yonder trees the rough red rock hangs over
The black duck's brood - a little fleet at sea;
In the far sky a wicked foe doth hover :
A plover calls - it is a call for me.

Across the stream, slowly and with much shrinking
Softly a full - eyed wallaby descends
To the blue water's edge .... I see him drinking ...
And he and I and all his folk are friends.

(by John Shaw Neilson)

عقد على سور القصر

آن فيربيرن

فيما يتحرك القمر عبر الشمس
تزداد السماء قتامة وينتشر
غبش ذهبي على المدينة .
على درب المجموع يبترد الهواء ،
والطيور ، التي اضطربت بغسق غير متوقع
تخفق هنا وهناك باحثة عن اعشاشها

على مدى خاتمة القمر الحفراء
يهب هلال الشمس المتلاشي
صلاة مجوهرة
قبل ان يكتمل الخسوف . والآن ،
يطوق إشعاع مريش
القمر الاسود ، فوق اقاليم من الاشباح .

انكســـــار

آن فـيربـيرن

الريــح تقــــرع المعبـــد الهش
ويــدان مدهونتــــان ترغمــان ، تمتلكــان .
ومــن موشــور عنبــري يرقص الضــوء
في أعمــاق الهــوة السحيقــة ،
هنــاك ، وفي لحظــات ترجــع صــدى ،
تســوق غيظــا يعقــب الظــلال ،
ينــزلــق الضــوء نحــو ظــلام مجهــول .

REFRACTION

A wing beats at the fragile temple.
Two painted hands compel, possess.
From an amber prism light is dancing
Deep into the abyss,
Where, in echoing moments,
Drifting after - shadows tease
Their rainbow counterparts.
The light skips on towards unknown darkness.

Anne Fairbairn

أغنية لأستراليا

● شعر: عبد الكريم السبعاوي

قد يكون سماؤك اكبر
ونجومك اكثر
وسحابك اغزر
قد يكون ترابك مسك وعنبر
والحصي فيه تبر وجوهر .. والينابيع سكر
وغابات عينيك ابهى وأنضر
قد تكون صباياك فارعة كالصنوبر
بكفين عصفورتين وثغر منور
قد تكونين واحة هذا الزمان
وظللك يمتد حتى النهايات أخضر

* * *

قد اغير فيك مراح شبابي
وطراز ثيابي
وأطباق مائدتي وشرابي
قد اغير كل صحابي
صحفي التي قد تعودت
اغنيتي وكتابي
قد أغير حتى لساني ولون اهابي
واكثر .... واكثر
ولكنني لن اغير قلبي
فقلبي لا يتغير

* * *

تركت على باب غزة قلبي
طفلاً يتيماً معفر
إذا ناله الجوع يأكل خبزا وزعتر
وإن هدّه البرد نادى فلسطين
بالهدب من عينها يتدثر
يطارد دبابة بالحجارة
يرسم فوق جدار المدينة عبلة وعنتر
ويوماً فيوماً يشب ويكبر

قصّة

الأشجار تتكلّم

• آلان مارشال • ترجمة: محمود فلاحة

طَرْد آني جُونز

• هنري هاندل ريتشاردسون • ترجمة: توفيق الأسدي

الوليد الرّضيع

• كاترين سوزان برتشارد • ترجمة: حليمة سعد الدين

اهتزاز في الذّاكرة

○ مورين بوبل • ترجمة: شريف الطرح

أحلام أميركيّة

• بيتر كاري • ترجمة: أحمد س. نجم

الأشجار تتكلّم

• آلان مارشال • ترجمة: محمود فلاحة

سمعتُ وقع خطى ، فرفعت ناظري وتطلعت ، كان ثمة رجل يحمل قصعة منقبٍ عن الذهب ، وهو يهبط الى ضفة النهر .

وكان حارس المخزن في البلدة ، التي تبعد ثلاثة أميال ، قد اخبرني :

ـ « هذا الرجل لا يتكلم ابدا ، وقلة من الناس سمعته يقول كلمة واحدة مثل « هالو » أو ما يشابهها . وهو يعبر عن ذاته بهز رأسه أو الايماء به . »

(*) الان مارشال Alan Marshall كاتب استرالي ولد في مقاطعة فكتوريا سنة ١٩٠٢ ويعتبر احد أشهر الكتاب الاستراليين منذ لوسون Lawson وباترسون Paterson . وقد باع المجلد الأول من سيرته الذاتية الثلاثية ، استطيع القفز فوق برك الابواي Ican Jump Puddles ، ملايين النسخ في استراليا وانكلترا والولايات المتحدة وفي ترجمات الى عشرين لغة آسيوية واوروبية . كما أن له العديد من القصص القصيرة التي تتميز بسماتها الوصفية . كما تتميز رواياته واقاصيصه بخفة الروح التي تصل احيانا الى مستوى الهزل في بعض شخصياته ، وهو في هذه الناحية ، يتبع خطى الكاتب لوسون .

فســألته :

ـ « أيعاني من شيء ؟ أهو مخبول ؟ »

ـ « لا ، يستطيع الكلام اذا أراد ، انهم يدعونه جو الصامت » .

وحين وصل الرجل الى بقعة يتسع فيها الخور ويصبح بركة جلس القرفصاء وغرف شيئا من الماء بقصعته ، ثم وقف وانحنى فوق القصعة ، وأخذ يغسل الاوساخ التي فيها يهزها في حركة دائرية .

رفعتُ عكازتي من على الارض ، وسرت متمهلا على الحصى حتى وقفت قبالته على الطرف الآخر من البركـة .

وقلت :

ـ « يوم خـير ، يـوم عظيـم . »

فرفع رأسه ونظر اليّ ، كانت عيناه رماديتين رماد الغابة المخضّر . وفي نظراته لم يكن أي عداء ، انما التقصي والتفحص ليس الا . وعلى حين غرة غيرتا تعبيرهما وقالتا بوضوح كما لو أنه نطق :

ـ « نعـم » .

قعدت على الارض وراقبته ، صب المياه الموحلة في وشل مياه بيّن ، فسالت فوق القاع الرملي ، ثم تلوت وتحولت الى أشكال حلزونية ولفات قبل أن تذوي وتتلاشى في غمامة باهتة وتسير سريعة مع التيار . ثـم غسل فضالة الطين عدة مرات .

سرت من فوق هذا الوشل ، وانطلقت نحوه ، وقلت :

ـ « أعثرت على شيء ؟ »

امسك بقصعته وادارها نحوي ، ثم اشار الى ثلاث حبات ذهبية صغيرة على الطرف الخارجي لطبقة الرمل .

فقلت له :

ـ « ها ! انه ذهب ، ثلاث حبات صغيرة ، آه ! ان نصف مشاكل العالم تنجم عن تجميعات حبات كهذه » .

ابتسم ، ولكن استغرق بسط بسمته وقتا طويلا ، اذ تحركت هذه فوق وجهه تحركا بطيئا ، ودار في خلدي كما لو ان طائر مالك الحزين الكبير يطير ، وكما لو جناحاه يتحركان جيئة وذهابا .

نظر الي برقة ولطف ، ولوهلة رأيت هذه « الشجيرة » غير نائية ومثيرة للشفقة ، بل تومىء الي كصديق . لقد كان قريبا للاشجار ، وقد تكلمت من خلاله .

ودار في خلدي أنني كنت سأفهم الشجيرة لو كنت فقط استطيع فهمه ، ولكنه استدار ، ومثل الصموغ بات بعيدا ثانية عني ، وتوقف اتصاله بي عن طريق صمته الذي لم يكن صمت الحديث الغائب بل صمت الاشجار البليغ .

قلت له :

ـ « انني قادم معك » .

وسرنا معا جنبا الى جنب، واخذ يتفحص الدرب من اجل مساعدتي، فكان يزيح كل فروع الاشجار ، ويكسر اغصان الاسيجة المتدلية على الطريق والملتفة حول سفح الرابية .

ودخلنا في غابة أكثر كثافة ... كانت أشعة الشمس تخترق أعالي الاغصان ، وترصع اكتافنا بما يشبه أوراق الاشجار .. ومن بين الطحالب، التي تدوسها الاقدام ، ارتفع عبير الارض ورائحتها اللطيفة المعجونة بالاوراق المتساقطة . وانحدر الدرب ، انحدارا شديدا ، نحو اخدود ثم انتهى في بقعة خالية من الاشجار .

كانت الاعشاب ذات السيقان الرفيعة ، التي ناءت تحت ثقل ما تحمل من بذور ، تهتز وتتمايل يائسة في الفسحة التي تحيط بها الاشجار . وفي وسط هذه الفسحة انتصبت كومة من الصلصال الاصفر على حافة المنجم . وكان مرفاع منصوب على قمة الكومة يمتد كالجسر فوق الفوهة، ويتدلى من بكرته دلو حديدي ثقيل .

قلت له :

ـ « اذن ، هذا هو منجمك » .

فأومأ برأسه ناظرا اليه بسرور .

تسلقت أعلى الكومة ، وحدقت في ظلام المنجم ، فارتفعت من داخله نسمة ممزوجة برطوبة الصخور والصلصال ولامست وجهي .. القيت حجرا صغيرا من فوق الحافة فيه ، فاختفى دون صوت مسرعا في عمود ضيق من الظلام ، ثم ارتطم بالارض في مكان عميق داخل المنجم .

وقلت متعجبا :

ــ « آوه .. انه عميق » .

كان يقف الى جانبي ، يملأ السرور جوانحه لانني انفعلت وتأثرت .

سألتـــه :

ــ « هل تنزل على ذلك السلم ؟ »

واشرت الى سلم من جذوع الشجيرات الصغيرة المربوطة المثبتة الى سطح عارضة خشبية .

فأومأ براسهموافقـــا .

وتمتمت متعجبا كيف أستطيع النزول عليه :

ــ « استطيع تسلق السلالم ، ولكن ليس هذا السلم » .

فنظر الي مستفهما ، وقد ارتسم على وجهه اهتمام متعاطف .

فأوضحت له ما أريد قائلا :

ــ « شلل الاطفال .. انه لشيء بغيض أحيانا ، اتظن انك تستطيع انزالي في هذا الدلو ؟ أريد أن أرى العرق المعـــدني الذي تحصل منـــه على الذهب » .

وتوقعته أن يعترض أو يتردد ، فهذا سيكون رد فعله الطبيعي . كما توقعته أن يهز رأسه ليعبر عما يتضمنه ذلك من خطر .

ولكنه لم يتردد ، بل اجتاز فوهة المنجم وسحب الدلو الى حافته . وضعت عكازي على الارض ، وامتطيت الدلو جاعلا ساقي تتدليان علـــى جانبيه بينما جعلت مقبضه بين ركبتي ، ثم أمسكت بالحبل وقلت له :

ــ « تمام ... » .

فأومأ براسه ، واضفت :

ــ « هل ستنزل على السلم ؟ » .

فأومأ براسه ، وأمسك بمقبض الدلو ورفعه ، واخذت اتدلى فوق المنجم . ودار الدلو دورانا بطيئا ثم توقف ، وتحرك حركة عكسية . أمسك هو بالمرفاع ، وازال ساندته ، ورايته يستجمع قواه ويقاوم ضغط الوزن ، فكانت ذراعاه القويتان تعملان ببطء مثل الذراع القلابة ، وهبطت في ذلك الجو البارد ذي رائحة الضفادع .

وقلت في نفسي :

ــ « يا للجحيم ، لم نزلت الى هنا ؟ ما افعله جنون مطبق » .

ودار الدلو دورانا بطيئا ، ومرت أمام عيني سلسلة لولبية متتابعة من الصخور الناتئة وطبقات الصلصال . وفجأة ارتطمت بأحد الجوانب . كان المنجم قد أخذ ينعطف ، واستمر هابطا بزاوية اخفت فوهته ، وبت وحيدا .

ابعدت نفسي عن الجوانب كي انقذ ساقي من الارتطام بالصخور . وواصل الدلو هبوطه مرسلا فتاتا من الصلصال امامه ، ثم توقف .

خيم ظلام دامس علي .. كنت قد وصلت ولمست قاع المنجم ، فانزلقت من على الدلو ، وقعدت على الأرض بجانبه .

وخلال فترة قصيرة سمعت صرير السلم ، وتساقطت الى جانبي الحصى والحجارة الصغيرة ، وادركت ان ثمة شخصا الى جانبي في الظلام ثم لمع عود ثقاب وأشعل هو شمعة ، فارتفع لهبها الاصفر نحو وجهه ، ثم ارتد الى ذبالتها ، فسترها بيده الى أن أخذ الشمع يذوب ، وانتقلت الظلال الى نفق يتفرع من قاع المنجم .

قلت :

ـ « انني أحمق ، فانا لم أحضر عكازتي » .

فتطلع الي متفحصا ، بينما كانت ظلال الشمعة تتلاعب فوق وجهه كأنها الفراشات الصفيرات ، ثم تغيرت ملامح وجهــه ، واتخذت سيماء الحــزم ، فرددت على مقصده الذي لم يفصــح عنه . كما لو انــه قاله بالكلمات لي :

ـ « أشكرك شكرا جزيلا ، فأنا لست ثقيل الجسم » .

انحنى علي ورفعني ووضعني على ظهــره ، وكنت أحس ، تحت قميصه الازرق حائل اللون ، بعضلات كتفه وهي تنتفخ ثم تنبسط في حركتهــا .

كان يسير محني الجسم كي لا يصطدم راسي بالصخور الناتئة من سقف النفق ، وكنت ارتفع وانزل مع كل خطوة راسخة يخطوها ، امــا ضوء الشمعة فكان يتحرك أمامنا مبددا ظلمة النفق .

واخيرا توقف وانزلني برفق على الارض ، ثم امسك بالشمعة وقربها من السطح واشار بأصبع كبير الى العرق الضيق الذي شكل ندبة مائلة عبر الصخرة .

وصرخت :

ـ « اذن ، فهذا هو » .

وحاولت ان اسحب قطعة منه بأصابعي ، ولكنه رفع قضيبا صغيرا من على الارض ، ودسه في العرق . فالتقطت بعض القطع المتساقطة ، وتفحصتها في ضوء الشمعة ... احنى رأسه الى جانب رأسي ، واخذ يرقب الحجر الذي كنت أقلبه بين اصابعي . وفجأة مد يده واخذه مني،

ثم لحسه وابتسم وقربه مني ، وبابهامه اشار الى فتيتة من الذهب ملتصقة بسطحه .

أثارني ما وجدناه ووجهت اليه بضع اسئلة ، فجلس محتبيا وقد شبك ذراعيه حول ساقيه ، وأجاب بتعبيرات بليغة وبهزات من راسه .

وبدأ لهب الشمعة يتراقص في عقبها الذائب .

وقلت :

ـ « أعتقد أن الوقت قد حان لنذهب » .

فنهض ، وأعادني الى قاع المنجم ، فربطت ركبتي معا بخيط ووضعت ساقي ، هذه المرة ، في الدلو ، اذ لم أكن استطيع التحكم بساقي اليمنى التي تهوي عاجزة الى جانبي ان لم تربط بجارتها الاقوى . ـثم جلست على حافة الدلو ، وتمسكت بحبل مقبضه وانتظرت . وشعت الشمعة في لمعان مفاجيء ثم ارتعش ضوؤها وخمد . وكنت اسمع صرير السلم المعذب ، واخيرا ساد الصمت .

لقد كنت الحي الوحيد بين كل ما يحيط بي ، وكان للظلام خاصيته ووزنه وكأنه دثار أسود ، ولم يكن في الصمت اي شيء مأمول .

وجلست كئيبا أتأمل وقد خلوت من كل أغنية وشعاع شمس ، وكان عالم الطيور والاشجار والضحك نائيا عني نأي النجوم .

وفجأة ، وبدون سبب وبلا اية غاية ، بدات أحلق كفقاعة صابون ، وتأرجحت في فراغ ، وتحركت في خواء ، تحكمني شرائع كواكبية ليست لي أية سلطة عليها .

ثم ارتطمت بأحد جوانب الفوهة ، ومالت حافة الدلو حين علقت بأطراف الحجارة المدببة ، وارتفعت أرضيته ثم هوت ثقيلة حين انفصلت الحافة عنه .

دفعت نفسي الى الخلف ، ثم تدافعت نحو الاعلى الى ان خلصت من حلكة الظلام الى الضوء المتنامي ، وفوق رأسي ازدادت فوهـة المنجـم اتساعـا .

وفجأة اندفعت الى ضوء الشمس الذي يعشي البصر ، وامتدت يد .. امسكت بمقبض الدلو ، وارتفع ، ثم أحسست بصلابة الارض تحتي. انه لامر حسن أن تقف على شيء لا يتحرك ، وأن تحس بضوء الشمس في وجهـك .

وقف يرقبني ، وكانت يده الممدودة تلامس شجرة بقس رماديـة بدت غريبة مثله .

فشكرته ، ثم جلست على ركام حجارة ، ورويت له شيئا عن نفسي وعن الاناس الذين قابلتهم . فأصغى الي دون حراك ، بيد انني شعـرت بقوة اهتمامه وهي تسحب الكلمات من فمي كما تمتص التربـة الجافة الميـاه .

وأخيرا ، وقبل أن اتركه قلت له :

ـ « وداعـا » .

ثم صافحته ، ومضيت في سبيلي . ولكني استدرت قبل ان اصل الى الاشجار ولوحت له بيدي . كان لا يزال واقفا مستندا الى شجيرة البقس الرمادية وكأنهما قريبان ، ولكنه استقام سريعا ولوح لي بدوره .

وصرخ :

ـ « وداعـا » .

وبدا كما لو أن شجرة قد تكلمت .

* * *

طَـرْد آيني جُـونز

● هنري هاندل ريتشاردسون ● ترجمة: توفيق الأسدي

هنري هاندل ريتشاردسون Henry Handel Richardson (١٨٧٠ - ١٩٤٦) هو الاسم المستعار للكاتبة اثيل فلورنس روبرنسون Ethel Florence Robertson التي جعلت منها ثلاثيتها « مصاير رتشارد ما هوني » The Fortunes of Richard Mahony (١٩١٧ - ١٩٢٩) أعظم روائية في استراليا . والقطعة التالية ليست قصة قصيرة ، بالمعنى الدقيق للكلمة ، (رغم أنها في حد ذاتها جيدة)، بل هي مقتطف من روايتها الثانية « الوصول الى الحكمة » . وهذه الرواية ، المبنية على تجارب الكاتبة في الكلية البريسبيتارية للبنات في ملبورن ، هي ، بكلمات السيدة ريتشاردسون نفسها ، « سرد جيد لافعالي وافعال من كنت على اتصال بهم » رغم انها « مرئية من خلال عيني فتاة صغيرة جدا ، ومحكوم عليها وفقا لذلك » .

* * *

قد ترتبين رداءك الخارجي ، حتى آخر زر فيه ، على خير ما هو متوقع منك ، وقد تخفين العيوب الصغيرة أو تتخلصين من الاخطاء الكبيرة في حياتك المنزلية ، والتي تدمر قدرك في عيون رفاقك . وباختصار ، ربما تسيرين وفق اشد النظم صرامة على امتداد الطريق العتيق الذي وضعه لك اولئك المشرعون الشبان حتى تواكبيهم خير مواكبة في المكان والزمان ، ولكن ما فائدة آلامك جميعها اذا لم تستطيعي أن تنظمي أفكارك ومشاعرك، وهي أكثر أجزائك واقعية ، مع من تعيشين معهم ؟ .. واذا ظلت هذه الافكار والمشاعر تتهرب من سيطرتك عليها ؟. كان هذا هو السؤال الذي اخذ يلح آنذاك ، على ذهن لورا .

لقد تشكل هذا السؤال ، للمرة الاولى ، يوم أن أطلت الآنسة بلاونت ، أمينة السر ، برأسها من الباب واعلنت .

— في الثالثة والنصف ، ليذهب الصف الثاني الى القاعة رقم ١ .

كان الصف الثاني يتلقى درسا في الخطابة والالقاء ، أي أن السيد ريبتون ، الاستاذ الزائر المختص في هذا الفرع من الدراسة ، كان يقرأ بصوت مرتفع جهوري فصلا من هاندي آندي Handy Andy . فكان يشدد على النقاط الرئيسية ، وكانت سامعاته ، وهن الفتيات الواعيات الخجولات عاطفيا من سكان المستعمرات ، يشعرن ببعض المتعة وببعض التفوق تجاه هذا العرض المسرحي المتكلف . كن متكئات مسترخيات في أوضاع غير لائقة بينما كان هو يقرأ ، وتستند الواحدة منهن على الاخرى أو يتمددن فوق المقاعد ورؤسهن على أذرعتهن . كانت تلك هي الساعة الاولى بعد طعام الغداء ، حين تكون أفكار المرء ناعسة خدرة ، ولم يكن السيد ريبتون نظاميا نموذجيا ، ولكن كان لهذا التراخي العام سبب آخر،

اذ كانت له علاقة بشكل ساقي المعلم ، فهاتان كانتا موضـع الاعجـاب الحماسي ، وتعتبران أجمل ساقين في المدرسة ، وكانت أكثر الفتيات حظا هن اللواتي يستطعن نيل خير منظر لهما من تحت المقعد . وبضـاف الى ذلك ان شائعة سرت بأن السيد ريبتون كان ذات يوم ممثلا ، ولا ريب ان شعره الاجعد دعم مثل هذا الكلام ، وكان الصف الثاني مغرما بتصور هاتين الساقين الجميلتين في سروال ضيق كالذي ارتداه هاملت أو عطيل. واخترعت له الاشاعة ، بالطبع ايضا ، حياة مثيرة خارج جدران الكلية ، رغم انه وزوجته الجميلة كانا يجلسان في الكنيسة ، صبـاح كل احـد ، مقابل طالبات القسم الداخلي ، مجسدا بذلك الشيء الفاضل المألوف . وكانت الفتيات يعتقدن أن لديه دافعا خفيا كلما نظر الى تلميذة أو كلمـا أبدى اهتماما خاصا بواحدة منهن ، فتفسر كلماته تفسيرا لم يكن هـو يعنيه ، وهكذا كثيرا ما كان هذا الرجل المسكين يرتبك ، ويحيره ماتستقبل به مفاتحاته الودية . لقد كانت تلك هي المساهمة الشابة للصف الثاني في رومانس الحياة المدرسية .

على أن الكلمة الوجيزة المفاجئة لاعلان أمينة السر في ذلك اليوم ، بان تتجمع المدرسة كلها ، بدل الانصراف في الثالثة والنصف ، أصابت هذا الصف بصدمة ، فبدات نظرات الخوف الممتزج بالاثارة تـذرع ارجاء الغرفة ، وتناقلت العيون رسائل قوية ، ولم يتبق سوى اهتمام قليـل بالساقين الجميلتين أو بغرائب هاندي اندي تحت سرير امه .

ولكن حين أزفت الساعة ، واخذت الصفوف جميعهـا تتحرك في الاتجاه نفسه وتحولت الشرفات والممرات الى جمع مضطرب من الفتيات، كانت الاثارة هي التي سيطرت ، اذ أن أية استراحة أو تغييرات في تماثل

الايام كانت مرغوبة ومرحبا بها ، والتوتر العصبي الذي باتت الفتيات جميعهن يشعرن به لم يعد الان الاشد ازعاجا وبغضا ، في الواقع ، من ذلك الذعر الذي كان يحس به قديما أولئك الذاهبون لحضور عمليـة شنـق .

لقد حدث ، خلال الاسابيع الماضية ، عدد من السرقات الصغيرة ، فالدارسات النهاريات ، اللواتي كن يتركن مبالغ صغـيرة من النقود في جيوب أرديتهن ، كن يجدن لدى عودتهن الى غرفة المعاطف أن هذه النقود قد سرقت ، ولفترة من الزمن كن يتحملن هذه الخسائر بصمت ، وذلك بسبب الاحجام المتأصل في الفتيات الصغيرات عن احداث أية جلبـة او هرج ومرج . ولكن حين بدأت الشلنات تختفي بهذه الطريقة نفسها ، بل فقد مرة نصف كراون كامل ، أدرك انه لا بد من وضع حد لذلك ، فقدمت الشكوى احدى الفتيات ، وكانت أكثر جرأة من الاخريات وتتمتع بحس أكبر منهن بضرورة الحفاظ على الفضيلة العامـة . فأجري تحقيـق ، ونصب فخ ، واكتشفت اللصة . وقـد اجتمعت المدرسة الآن لتـرى العدل يأخذ مجراه .

كانت القاعة الكبرى أكثر امتلاء حتى عند الصلاة الصباحية ، ففيها تتأخر دائما أقلية عند الحضور . وكانت هنالك فئة كبيرة من الفتيات ، لم تستطع ايجاد مكان للجلوس ، تتجمع عند طرف القاعة . وكما في الصلاة وقف المعلمون ، الزائرون منهم والمقيمون ، في صف واحد ، وظهورهم الى النوافذ العالية . وكانوا مصطفين حسب أقدميتهم ، وعلى رأسهـم الدكتور بوغسون الذي وقف قريبا من مقعد السيد ستراشي . وكـانت وجوه الجميع صارمة شاحبة .

وفي أحد صفوف مقاعد الدراسة ، التي يتسع الواحد منها لطالبتين ، وهي جميعها مسودة ملطخة بالحبر وفي كل منها دواة حبر دائمة الجفاف . جلست لورا وتيلي ، وخلفهما جلست اينيز وبيرثا ، وكانت وجناتهن محمرة . وبينما راحت الاخريات يتهامسن ويتساءلن كانت لورا متلهفة لتعرف . . . ، لم تكن قادرة على أن تتنفس تنفسا صحيحا ، وكانت يداها وقدماها باردة . اخذت تلوي أصابعها ، وتبلل شفتيها بلسانها . أوه . . متى ستبدأ المحاكمة .

كانت تلك الدقائق القليلة ، التي سبقت المحاكمة ، هي الاشد والاصعب ، اذ حين دخل ستراشي ، باندفاعة تنذر بالشر ، وخطا نحو مقعده هدأت لورا فجأة ، وباتت قادرة على ملاحظة كل ما يجري .

رفع المدير يده ليفرض صمتا كان من قبل مطبقا ، وقال :

ـ هل للآنسة جونز أن تقف .

وحين سمعت بيرثا هذه الكلمات التي لفظت بلهجة خفيفة مؤثرة انفجرت بالبكاء ، وأخفت وجهها في منديلها ، والتفتت مئات العيون نحو المتهمة البائسة وهي تنهض ، لتتجه بعد ذلك الى الأرض وتبقى مثبتة عليها . . .

وقفت الفتاة شاحبة سخيفة المظهر ، وحدقت الى السيد ستراشي تحديق أرنب مذعور الى الحية التي توشك ان تلتهمه . كانت فتاة شديدة القبح في الرابعة عشرة من عمرها ذات وجه شاحب وشعر سبط يصل الى كتفيها . كان فمها قد تدلى نصف مفتوح من الخوف ، ولم تغلقه قط طيلة الوقت الذي كانت فيه محط الانظار .

لم تستطع لورا ان تبعد عينيها عن المشهد ، لقد تنقلتا وهما تتحرقان فضولا ما بين آني جونز الى السيد ستراشي ثم ثانية الى اللصة البائسة . وحين انتقل المدير ، بعد ملاحظات تمهيدية قليلة حول الجريمة عموما ، الى القضية الحالية ووصفها تفصيلا ، اخذت لورا ببلاغته ، وحدقت اليه وتفرست كليا به . لقد صور أمامها كل شيء على نحو حي وبكل حيوية ، فتعلقت نظرتها بشفتيه ، مقدرة النقاط الرئيسية التي اخذ يثيرها ، والاسلوب البارع الذي راح يصوغ به صوره المراجية المتصاعدة . ولكن لورا كانت تعرف ، هي نفسها أيضا ، معنى ان يكون المرء فقيرا كما كانت آني جونز ... وكانت تفهم معنى الا يكون لدى الفتاة أجرة ركوب الترام في صباح يوم ماطر ، وكان هذا هو الدافع المحرك للسرقة في رأي السيد ستراشي لان دكان الحلويات مد أذرعته الاخطبوطية مطاردا اياك . لقد استطاعت أن تتخيل ايضا ، ولكن مع قشعريرة سرت في بدنها كم يكون سهلا اختفاء البنسات الاولى دون أن يكشف ذلك احد ، ثم الانتقال الى قطع الثلاثة بنسات ثم الى الستة بنسات ، وبخاصة حين كانت هذه النقود تؤخذ ، دون استثناء ، من جيوب مليئة بالنقود . وتأكدت لورا أن السبب لم يكن تجنب آني اكتشاف أمرها ، كما افترض السيد ستراشي ، بل لان ضياع بضعة بنسات لن يهم اولئك اللواتي يملكن الكثير . وتساءلت ان كان كل شخص يوافق على هذا الرأي ، وما هو شعور المعلمين والمعلمات ؟ ثم مرت بعينيها على صف المعلمين والمعلمات لتعرف آراءهم من وجوههم . ولكن هذه الوجوه كانت صارمة جدا كما هي دائما ، وكان السيد تشابمان ، العجوز الطيب ، هو الوحيد الذي بدا عليه بعض الاسف والحزن ، وكانت الآنسة زيلنسكي ، اجل ... الآنسة زيلنسكي ، تبكي . وقد أثار هذا الاكتشاف لورا وأمتعها كما قد

يزيد بكاء متفرج في المسرح من استمتاع جاره . ولكن حين ترك السيد ستراشي ميدان السرد الشخصي وانتقل الى المظاهر الاخلاقية للمسألة لم تعد لورا مأخوذة به ، والتفتت مجددا لتدرس الوجه العنيد الشاحب للمتهمة رغم أنه كان عليها ان تمد رقبتها لتفعل ذلك . وأمام قناع متحجر كهذا أكرهت على أن تتخيل ما كان يجري خلفه . وبينما كانت مستغرقة في ذلك أحست بذراعها يقرص ، كانت تلك هي تيلي .

ـ أنت متوحشة حتى تحدقي هكذا .

ـ أنا لا أحدق .

حولت بصرها بعيدا على الفور ، وهي لا تكاد تصدق كلمانها نفسها ؛ ثم حاولت ، للحظات ، ان نفعل ما كان متوقعا منها : اي ان تحس بلا ـ اكتراث لائق . ولكن خلفها استمر نشيج بيرثا . فتساءلت : لم كانت تبكي ؟ من المؤكد أنها لم تسمع كلمة مما قاله السيد ستراشي . تململت لورا في مقعدها ، ثم اختلست نظرة جانبية نحو الشكل الجانبي لوجه تيلي . وبالفعل ، لم تقدر ان تفوت آخر المشاهد حين أخذ المدير ، بأسلوب حاذق جدا ، يجمع الخيوط معا . وهكذا ، رفعت عينيها بحذر مرة أخرى وهي تشعر أنها تقوم بدور « البصباص » ، واستطاعت هذه المرة ان تستخدمهما دون أن تلتفت براسها .

كانت العيون الاخرى جميعها لا تزال مثبتة على الارض برفق واشفاق ، بينما أخذ عدد من الفتيات الآن يبكي ولكن بصمت .

وحين اقتربت اللحظات الاخيرة الرهيبة ، وصمتت حتى بيرثا ، لم تجرؤ واحدة من مئات الحناجر على أن تسعل ، وبدا قلب لورا يخفق ، فقد أحست باقتراب ذروة النهاية ، اذ أن توقفات السيد ستراشي أصبحت أبطأ وأكبر .

وحين نهض المدير بعد دفقة بلاغية ، احست الطفلة معها انها تناسب مطرانا ، ومد ذراعه وهدر قائلا : « آنسة آني جونز ! انني ، علنا ، اطردك من المدرسة ! غادريها الآن وفي هذه اللحظة ولا تقتربي من أبوابها مـرة اخرى فتلطخيها بالسواد » .. حين حدث ذلك أحست لورا بقشعريرة ممتزجة بالنشوة لم تعرفها في حياتها من قبل سوى مرة واحدة ، وكانت حين سقط هاملت الجميل ذهبي الشعر الذي خلب ألباب النظارة طيلة المساء ، ... سقط ميتا بسيف لايرتيس وسـط حماسـة الجمهـور وتصفيقه . ثم راحت تراقب ، مبهورة الانفاس وببصر حاد ، حركة آني جونز ، راقبتها وهي تحمل كتبها وتخرج من مقعدها وتمشي الهوينا بين صفوف المقاعد ، وراقبت مشيتها نحو الباب بخطوات قصيرة ملتوية ، ثم تصعد الدرجتين المؤديتين اليه ، وتعبث بالأكرة ، تديرها ، ثم تختفي عن الانظار . وحين انتهى كل شيء ، ولم يعد ثمة ما يرى ، استرخت لورا في مقعدها بتنهيدة مسموعة .

بعد هذا كله كان الوقت قد فات على التسكع في خط متعرج فـي شوارع ملبورن الشرقية ومتنزهاتها ، فقد كانت هـذه هي الرياضـة اليومية لطالبات القسم الداخلي ، ولذا أرسلن ليروحـن عن انفسهـن ويسترخين في الحديقة . وهنا ، وبينما كن يتمشين حول المروج وملاعب التنس ناقشن الحدث الرئيسي لعصر ذلك اليوم ، وكن اكثر صخبـا من المعتاد بقليل في محاولة للتخلص من ذكرى نصف الساعة الكريهة .

ـ اراهن، يا ساندي ، انك استمعت الى حد ما بطرد تلك اللصة .

ـ هل رأيتن جزمة « بوغي » ثانية ؟ يا بنات ! عليـه ان يشتري عشرات منها .

ـ وذلك الدهن المزمن على منديل « زيلي » ! لقد كان منديلها قذرا جـدا . . .

لكزت بيرثا ، التي جفت دموعها بسرعة جفاف الرذاذ المتناثر من البحر ، لورا في ضلوعها ، وقالت :

ـ ما بك أيتها التوأم العجوز ؟ تبدين كئيبة كالبومة .

ـ لا ، لست كذلك .

قالت تيلي :

ـ اعتقد أن لورا تشعر بالاسى على تلك الخنزيرة .

فقالت لورا غاضبة :

ـ لا ، في الحقيقة لست كذلك .

ـ اتأسين على لصة ؟ .

ـ قلت لك لا ،

لقد كان هذا صحيحا ، فبين المشاعر المتباينة التي احست بها لورا ذلك اليوم لم تكن الشفقة واحدا منها .

ـ اذا أردت أن تكوني رفيقة لمثل هذه البهيمة الجرباء فالاجـدر بك أن تذهبي الى مدرسة السجن .

وقالت ابنة قسيس من بريسبين :

ـ لا أدري ما الذي سيقوله والـدي لو عرف انني كنت في صف واحد مع نشالة ، اظن أنه ما كان ليبقيني هنا اسبوعا واحدا .

فقالت لورا وهي تحاول ان تبزها :

ـ ان أمي ما كانت لتبقيني يوما واحدا .

ضحكت الفتيات القريبات منها ، وقالت فتاة من الريفبرينا :

ــ اوه ! طبعا لا .

لقد قالتها بلهجة أجفلت لورا ، وجعلتها تندم على تسرعها .

وقبل موعد الشاي كان على لورا ان تتدرب على عزف البيانو الموضوع في غرفة صف خارجية حيث لا يستطيع أحد أن يسمع العزف سواء اكانت تعزف باتقان أو لا ، ولكنها سرعان ما تخلت عن العزف وذهبت الى النافذة . وهنا ، وبعد ان مسحت الغبار عن حافتها ، اتكأت بذقنها على راحتيها واخذت تحدّق الى الحديقة التي لوّحتها الشمس . لقد كانت هذه خاوية الآن ، وجد ساكنة . كما كانت الشوارع الممتدة خلف السياج العالي مهجورة الى ذلك الحد الذي يبعث على النعاس. كان الصوت الوحيد المسموع هو صوت جرس رقيق يدعو الى صلاة المساء في معهد لاهوتي كاثوليكي مجاور . وتابعت اورا ، بشكل متقطع ، التأمل في الافكار التي تولدت في ذهنها عصر ذلك اليوم وهي تستند على مرفقيها وتوازن نفسها على كعبيها تارة وعلى رؤوس أصابعها تارة أخرى . وأخذت تتساءل عن مكان آني جونز الان ، وماذا تفعل ، وكيف واجهت امها ، وماذا قال لها ابوها . لقد عادت بقية الطالبات الى حياتهن اليومية ، بيد أن آني جونز ستبقى ضائعة وعلى غير هدى ، فماذا سيحدث لها ؟ وهل ستطرد من المنزل ؟ ... الى الشوارع ؟ كان في ذهن لورا صورة حية للمخلوقة المذنبة ، وهي في ملابس رثة ممزقة تتسكّع قرب الجدران وتنام تحت الجسور ، تلاحقها دائما شرطة لندن القساة (كان معرفتها الوحيدة بالفقر المدقع مستمدة من حكاية « لو الصغير » الحزينة) وأخذت تفكر أن بداية ذلك كله كانت الحاجة الى أجرة ترام تافهة . لكم كانت الفتيات

الاخريات آمنات ! فلا عجب أن سمحن لانفسهن أن تشعر بالصدمة والفضب ، اذ لم تكن اي منهن تعرف ما معنى الا يكون في جيبها ثلاثة بنسات ، بينما هي ، لورا . . . أجل ، تعرف ذلك، ولا بد أن هذه المعرفة الشخصية بالفقر ، التي تورط في ارتكاب جريمة ، هي التي جعلتها تحس نحو آني جونز احساساً مختلفا ، فمشاعرها كانت مختلفة ولا نكران لذلك. واذا استعادت الآن النصف ساعة التي قضتها في القاعة رقم واحد ، وحاولت أن تصارح نفسها لكان عليها أن تقر ان اشمئزاز رفيقاتها وسخطهن الشديد على الجريمة لم تشاركهن فيهما ، ناهيك عن لا مبالاتهن المقبولة تجاه المجرمة . وبصراحة ، كانت مهتمة ، اهتماما عميقا ، بالمسألة كلها ، بل لقد استطاعت أن تستمد قدرا غير لائق من المتعة منها . وبالطبع، ما كان لهذا أن يحدث ، ويقع الذنب جزئيا على السيد ستراشي لانه جعلها على هذا القدر من الدراماتيكية . ومع ذلك فقد احتقرت نفسها فعلا لان لها باطنا عجيبـا .

وهمهمت بصوت خفيض :

ـ خنزيرة ! خنزيرة ! خنزيرة ! ثم لوت انفها في تكشيرة .

وافترضت أن السبب الحقيقي لاستغراقها المتع هو انها فهمت دافع آني جونز خيرا من أية فتاة اخرى . حسنا ! ليست مهمتها أن تفهم ، فهذه هي خلاصة الامر . لقد كانت الفتيات طاهرات الذهن يجدن مثل هذا الامر مستحيلا ، ويشحن عنه دون فضول . وسرعان مـا أدركت رفيقاتها اختلاف موقفها ، والا لما تجرأن على اتهامها بالتعاطف مع اللصة أو يشككن باصرارها الفوري هازئات ، فبالنسبة اليهن لم تكن الهوة واسعة جدا بين الفهم والفعل ، وكن مؤكدا مصيبات وعلى حق . أوه ! لقـد

كانت آخر امنياتها في هذه الدنيا أن تضع نفسها الى جانب المذنبة ، وتاقت ان تتفق ، اتفاقا تاما ، مع رفيقاتها ، وتمنت لو انها تعرف ، فقط ، كيف تفعل ذلك ، اذ ليس معروفاالى اين سيؤدي بك الامر لو انك اصررت على حمل تلك الافكار العجيبة الشاذة ، وقد ينتهي بك الي ان تصبحي ، انت نفسك ، شريرة . فلتأخذي ، في الوقت المناسب ، درسا من المصير الذي آلت اليه « آني » . فهذه الفتاة بدات ربما بأفكار لا تشابه أفكار رفيقاتها بقدر ما تشابه افكار لورا ، وها قد تحولت الآن الى لصة ومنبوذة ، ولم تكن مشاعر الطفلة الآن ، وهي تقف عند النافذة ، بعيدة جدا عن الصلاة والدعاء . ولو وجدت هذه المشاعر الكلمات المناسبة لاتخذت شكل توسل أن تبقى بعيدة عن الافكار التي تختلف عن أفكار الناس الآخرين وأن تشعر كما يجب أن تشعر ، وذلك بأسلوب السيدات المهذبات الصحيح ، وبخاصة انها ترى رفيقة لها تدان بالجريمة .

وتحت هذا كله ، وفي اعماق لا شعورها ، بدا كأن عرق خوف قد أصيب فيها ايضا ... الخوف من الوجوه المتحجرة والاهداب المدلاة والاصابع الممدودة المشيرة . وفي تلك الليلة صحت فجأة من النوم وهي تصرخ ، اذ كانت تحلم انها هي التي طردت وليس آني جونز ، وأن هناك جيشا من السبابات الاشبه بالرماح يسير باتجاهها ، وانها على الرغم مما بذلته من جهد لم تستطع أن تجعل ساقيها الثقيلتين المرهقتين تحملانها الى باب غرفة الصف .

وكثيرا ما كان هذا الحلم يعاودها .

(مراجعة : محمود فلاحة)

* * *

الوليد الرّضيع

● كاترين سوزانا برتشارد ● ترجمة: حليمة سعد الدين

كاترين سوزانا بريشارد (١٨٨٤ ـ ١٩٦٩) واحدة من أكبر الكتاب الاستراليين . كانت روائية قبل كل شيء لكنها كانت أيضا كاتبة مسرحية ، وكاتبة مذكرات وقصص قصيرة .

كتبت احدى رواياتها المفضلة في استراليا الغربية ، حيث أمضت أكثر من نصف حياتها . كانت واحدة من أوائل الكتاب الاستراليين الذين كتبوا عن أبناء البلاد الاصليين بصفتهم شعبا وأفرادا ، أكثر مما هم رموز .

وتقدم قصتها (الرضيع) ، وروايتها (كوناردو) ، ومسرحيتها (برومبي اينيز) التي مثلت في ملبورن للمرة الاولى عام ١٩٧٢ ، صورة مثيرة ووجدانية للسكان الاصليين في غرب استراليا الرازحين تحت نير الرجال البيض .

انها كاتبة ذات معتقدات سياسية واجتماعية قوية .

أغنت كاترين سوزانا بريشارد عملها بنفحات غنائية ثرة .

لقد كانوا محتشدين طبلة النهار في السهول الواسعة في محطة (موروندو) ، فوق الارض الحمراء التي سودتها الحجارة الصلبة عبر غابة النباتات الاستوائية . وفي الجانب الآخر التلال التي تشكل جدارا أزرق على طول الافق ، وقد غطى نور الشروق الوردي الزاهي السهول ، والهضاب ، والمواشي المتحركة ، والرجال ، والخيل .

من خلال الغبار الاحمر خارت الثيران . قطيع متوحش في التلال ، لا يزال متعبا ومذعورا . من خلفه (جون غراي) مع (آرا) الفتى الذي كان ظله . وعن يمينه (ونقانا) مع امرأته الاسترالية (روز) . وعن يساره (فرانك) النصف هندوسي مع (ميني) .

فرّ أحد العجول من القطيع ، استدارت (روز) محاولة تتبع اثره ، تبعتها انة باكية خافتة عندما عدا حصانها ، وسحق برجله أحد المخلوقات الصغيرة . لكن العجل قد فرّ ، بينما أخذ (آرا) يطارده ، ثم عاد وقد مد جسمه فوق رقبة حصانه ، وطوق العجل وجرّه الى القطيع ، وكان يثرثر متجهما .

ترنح القطيع ، لقد انفرط عقده ثلاث مرات في ذاك اليوم ، الا أنه استقر أخيرا على الطريق .

صاح « جون غراي » : « نيدا » ! انت حمقاء ملعونة يا روزي : كفى ! .

انتبهت المرأة الاسترالية المتطية ظهر فرسها النحيلة الخشنة الشعر ، وقال (جون غراي) : « أخبري ميتشي ! ثلاثون ميلا غدا » . « ميا ! .. قمر جديد » .

أبعدت روز حصانها عن قطيع الرجال والماشية . رافقها ذاك النحيب الحاد القاسي كوتر مشدود .

« ميني » !

توجه (جون غراي) برأسه نحو (روز) وحفزت ميني بطن حصانها بكعبيها العاريين ،

وبحركة دائرية من يدها أبعدت حصانها عن القطيع ، ثم استدارت وانحنت الى الامام ، وحركت الركاب ، ولحقت بروز . بدت النسوة أشكالا متفرقة سوداء فوق خيولهن النحيلة المحلية . وركبهن باتجاه الهضاب الغارقة في أشعة الغروب ، وقد تمزقت السراويل الزرقاء الباهتة الوسخة الملتفة حول أرجلهن وتشعثت شعورهن الشقراء القصيرة بفعل الريح ، واستمر التألق والاضطراب في عيني روز . وبـدت (ميـنـي) بعيدة عنهـن .

وعلى مسافة قصيرة ، وبينما كان الرجال والماشية يتحركون كغيمة من الغبـار الاحمر ، كان غضب روز قد تفجر خلفهم .

مـــاء ! !

كان تعليقها السابق ساخرا متحديا ، وبدا عنيفا كصوت صقر طائر . قهقهات بعيدة تردد صداها خلفهن في البرية . سوف يشعرن بالخوف عندما يكنّ وحدهن وتسدل الظلمة أستارها خلفهن ، وهي تتأرجح قربهن مخبئة نفسها ما بين المنخفض والاشجار الملتفة والاغصان ، خائفة مـن الاوراح الشريرة التي تطوف عبر السهول والتلال الحجرية عندما ينسحب ضوء النهار . لكنهن معا ! لن يكن خائفات الى هذا الحد . على بعد عشرين ميلا ، وفوق ذلك المكان في بطن غور في التلال حيث صنعت (ثيدي كرك)

لنفسها فراشا رمليا بين اشجار الصمغ ذات الجذوع البيضاء كانت مزرعة (موروندو) ومساكن الافراد العاملين فيها .

لم يكن هناك اثر ، وفي بواكير الظلمة التي ستغدو كثيفة كالصوف بعد ان يبهت توهج نور الشمس ، عندها بغرائزهن فقط سوف يتوجهن نحو منازلهن وزرائبهن المحاطة بألواح صدئة من القصدير والاغصان الميتـة .

كل من روز وميني كانت زوجة لـ (ونقانا) . (روز) ، طويلة ، نحيلة ، ومستبدة . (ميني) ، أصغر منها ، بدينة ومرحة . كانت (روز) في يومها رجلا حقيقيا يعتمد عليه ، بل انها من أفضلهم . لكن (ميني) لم تكن تركب أو تسابق تقريبا كما كانت (روز) .

وبعد .. وبينما ركبت النسوة طوال الطريق ، كانت (ميني) تثرثر برضى كيف ادت عملها على أتم وجه في ذاك اليـوم ، كيف قطعت هـذا الطريق وذاك متصدية للعجول الشاردة عن القطيع ، مندفعة خلفها معيـدة اياها الى القطيـع ببراعة فائقة ، الى حـد ان جون قد قـال : « (ميني) ، رجل جيد ! » . كان هناك ثور أبيض قد اندفع قرب الزرائب. هل رأت (روز) الفرس الشقراء تعثر في حفرة وتقذف (آرا) بعيدا ؟ لكن (ميني) ، طاردت الثور الابيض ، طاردته مسافة ميلين ، وأعادته الى الزرائب . لا شك بأنه سيكون لها صيت وثناء جيد عندما يعود الرجال من منتداهـم .

سحبت الغليون من حزامها ، ألقت الرماد بعيدا ، وارخت الرسن على ذراع واحدة وحشت حجر الغليون بالتبغ من علبة مربوطة الى زنارها .

انحنت الى الاسفل ، ضربت عود الكبريت بركاب السرج الحديدي ، واشعلت الغليون الموضوع بين أسنانها البيضاء القصيرة ، ودخنت برضى .

العبوس يعلو وجه (روز) الذي أظلم ومال الى السواد ، وذاك البكاء المتبرم المضطرب يأتي من صدرها .

حلت الحبل البالي الذي كان يشد طفلها الى جسدها ، وأعطته صدرا متدليا الى الاسفل ليرضع ، وقد حملته بذراع واحدة . وركبت حصانها بهدوء ، متلمسا طريقه عبر الارض الحجرية الوعرة .

كان يوما صعبا . كانت النساء الاستراليات مجتمعات مع الرجال عند شروق الشمس . وقد عسكرن عند نبع (نيدي) في الليلة السابقة ، ليحصلن على على بداية جيدة . لقد واصلن الركوب طوال الصباح عبر التلال المكسوة بالجذوع ، وقد أحطن بالابقار المتوحشة وصغار العجول ، وسقنها الى الزرائب في (نيدي) حيث يفرز جون غراي الابقار السمان تاركا جيمي العجوز واثنين من الفتيان ليسموا العجول ، ليعيدوها بعد ذلك مع الابقار الى التلة . بينما ينصرف هو مع القطيع الى السوق في (ميكا تارا) . كانت الثيران متوحشة كالطيور ، واحتاجت لمراقبة طيلة اليوم . وتلك الحزمة الصغيرة الباكية المدلاة من عنق روز قد عرقلت تحركاتها كل الوقت .

لم تكن النسوة تفضل شيئا اكثر من الاجتماع ، والركوب خلف المواشي . وقد استطعن الركوب وكن في تحركاتهن اشد سرعة واكثر نشاطا من الرجال ، واعظم حيلة في تقصي الاثر ، لم تعد النسوة تذهب كثيرا للمنتدى في هذه الايام ، أصبح لديهن اعمال يقمن بها في المزرعة . فمنذ ان تزوج (جون غراي) ، وصارت هناك امراة في (موروندو) ، وجدت

للنسوة اعمالا يمارسنها من غسل وجلي وكنس ، وهي لا تدعهن دائما يذهبن خلف الماشية .

اما (جون غراي) فقد كان يعاني من ضيق ذات اليد . وقال انه يجب أن تجتمع (روز) و (ميني) في (نيدي) . أثار بكاء الطفل غضب (روز) كل النهار . لقد بكى الرضيع وبكى ، بينما ركبت حصانها وهو مربوط الى جسدها .

كان الرضيع مسؤولا عن الاخطاء والحماقات التي ارتكبتها (روز) طيلة اليوم ، بدت غاضبة . وقد غضب الرجال منها . (ونقانا) ، رجلها، وبخها قبل أي انسان ونعتها بأنها الدجاجة التي لا تعرف اين وضعت بيضها ! (جون غراي) وبعبارته المتكررة : يندا . انت حمقاء ملعونة يا روزي ، « كفى ! » ، ارسلها لبيتها كطفل تافه .

والآن ... والى هنا كانت (ميني) تثرثر حول التبغ الذي سوف تحصل عليه ، والسمعة الجديدة التي ستنالها . سيكون (ونقانا) مسرورا برفقتها . والرضيع ما زال يبكي ويبكي ، وهو يلقم صدر روز الفارغ ، متلويا باتجاهها ، يبكي ويمضغ صدرا خاويا .

صرخت (روز) بألم ونفاذ صبر . اجتاحتها ثورة مجنونة ، اجتاحتها كمياه اندفعت خلال حجارة جدول عطشى بعد مطر غزير . نزعت (روز) الرضيع عن صدرها والقته بعيداعنها الى الارض . سمعت طقطقة كما لو أن أغصانا كانت تتكسر .

لمحت (ميني) ما حدث وصاحت : واه ! لهثت بأعين باكية . لكن (روز) ركبت حصانها ، سارحة ببصرها عبر السهول المتوهجة المشرقة ، والجدار المظلم للتلال ، المتلون من الازرق الى الارجواني والنيلي .

عندما وصلت النسوة الى مطبخ المزرعة ، كانت الارض والهضاب والاشجار مظلمة . وقد اثقلت السماء بالنجوم . سلمت (ميني) الرسالة لزوجة (جون) . وهي أن زوجهـا سيكون في البيت عندما يظهر قمـر جديد ، أي في حوالي أسبوعين .

لم تستطع (ميتشي) أن تكتشف لماذا كانت النسوة ثابتات وهادئات، بينما كان القوم ينادون السيد (جون غراي) ، لماذا مشت روز ببطء عابسة ، كأنها خيال متجهم بعيون ناظرة فحسب ، ولبعيد مرة اخرى ؟ أرادت (ميتشي) أن تسأل عن الارضاع ، ما الاوضاع التي كانت عليهـا الثيران ؟ كم كان منها في الطريق ؟ هل وسمت العجول في (نيدي) ؟ لكنها كانت تعرف جيداً بأن عليها ان لا تسألهن عندما يظهرن كذلك .

وعندما كانت تعطيهن الخبز وعلبة المربى ، وتقطع لهن لحم البقر المملح ، وتملأ اكوابهن بالشاي القوي الاسود ، وتضع السكر في علبهن ، وكـن ينطلقن الى الخلاء ، عندها فقط دهشت لرؤية (روز) دون طفلها . سألت متعجبة : لماذا ؟ (روز) ! اين الرضيع ؟

تسللت (روز) الى قلب الظلام . نظرت (ميني) الى الخلف بعيون فزعة ، وتبعت (روز) . تساءلت (ميتشي) عمن مات في المعسكر بجانب النهر ! عندما طارت صرخة مؤلمة قاسية عبر الهواء الطلق في الوادي ، عندها ، تذكرت كيف بدت (روز) في الليلة الماضية ! وأين هو الرضيع ؟

لقد علمت بعد ذلك بأن (روز) كانت تنوح في الفجر من أجل وليدها لقد قطعت نفسها بالحجارة حتى نزف جسمها . واخذت تصرخ بثورة من الهياج والاسى .

* * *

العنـوان الاصلـي : — The Cooboo.

Katherine susannah Prichard

اهتزاز في الذاكرة

○ مورين بوبل ● ترجمة : شريف الطرح

« ان مجرد منظره يؤكد أن كلامه لا يقبل التحدي أبدا »

مورين بوبل

بينما كانت تسترد عافيتها بعد مرض ألم بها في عام ١٩٧٦ ، بدأت مورين بوبل تكتب القصص القصيرة . ومنذ ذلك الحين وهي تنال الجوائز على كتاباتها ، فقد حصلت على جائزة القصة القصيرة لعام ١٩٧٦ من كانبيرا تايمز ، وعلى جائزة هنري لوسون للنثر عام ١٩٧٨ ، وجائزة من مهرجان القصة القصيرة من ملبورن صن عام ١٩٧٨ وكذلك على جائزة مهرجان ماري بورو لنفس العام . ونشرت قصتها « يوم واحد من حياة السيدة ريلي » في العدد ٢٧ من مجلة « القصة القصيرة العالمية » . وهي تكتب أيضا روايات وتمثيليات للمسرح والراديو والتلفزيون .مور ين بوبل متزوجة من مهندس ، وعندهما بنتان .

لقـد أمضى شيلا زمنا طويلا على ضفاف جـون بارسونز يتلقط الفتيـات .

كان أول ما سمعته صوت الدراجة النارية ينساب عبر حديقـة المنزل ، ثم يأت شيلا منحنيا على خزان الوقود ، وفتاتـه لذلك اليـوم منحنية خلفـه .

انك تستطيع أن تقول شيئا واحدا لصالح شيلا : انه عادل في لعبته . فقد سنحت الفرصة لكل فتاة في البلدة بلغت سن الرشد أن توافق على الخروج مع شيلا . وركبت كل منهن معه فرحة على دراجته نحو قـدر يفضل الموت كثيرا .

ينعطف الطريق الى اليمين بعد قن الدجاج مباشرة ، وهنا يميل شيلا والفتاة ، ومن ثم ينتصبان معا من جديد . انه لمنظر جميل ، كأنـك تراقب شخصين يتزلجان .

لقد كان يأخذهن الى المكان نفسه دائما حيث يترجلان ، ثم يوقف دراجته بعناية كبيرة كأنما هي جدته المريضة وقد خرج معها في نزهـة . « هيا يا جدتي ! تمتعي بالمنظر الجميل من هنا » . وآنذاك تتبختر الفتاة في المكان وهي متلهفة لان تبدأ بجمع براعم الورد . فيبصق شيلا من فوق كتفه ثم يختفيان وراء ستار من أوراق أشجار الصفصاف .

وقد جمعت هي أيضا براعم الورد ايضا في يومها . والله يعلم أن الفتيات يستطعن الاهتمام بأنفسهن الآن . ولكن ما يزعجها ان شيلا لـم يكـن جيـدا .

بعد ظهر كل يـوم ، وعندما تطلق صافرة المعمل ، يتجمع شـاب البلدة في الشارع أمام المخزن العام ، فهناك مربط للخيول ، ولكن لم ير

احد حصانا في المدينة منذ بضع سنين ، فأصبح المربط نقطة التجمع اليومي للشبان . وعندما تغلق المخازن والمكاتب تتوافد الفتيات كي يتمشين أمام المخزن العام ومربط الخيول ويتحدثن بحيوية ظاهرة ؛ ويستمعن وهن مستفرقات وحالمات ، ويلقين نظرات على خيالهن في زجاج واجهات المحلات ، وكأنهن لا يلاحظن وجود الشبان قط .

وترتفع أصوات الشبان وتزداد عمقا وهم يتدافعون وسط غبار الطريق ، ويبدو أنهم لا يلاحظون الفتيات عند مرورهن بجانبهم . ولكن بين الحين والآخر يترك أحدهم الجماعة ويسير في الشارع واضعا يديه في جيبيه .

وعلى حين غرة تفقد احدى الفتيات اهتمامها بحديث صديقاتها فتتركهن وتمشي على مهل . وهكذا يصبحان زوجا يفصل بينهما الرصيف أول الامر ، فلا يتحادثان حتى يبتعدا تماما ولا يسمعا الاصوات القادمة من مربط الخيول .

وكان شيلا يتخطى هذا العالم الصغير وكأنه تمثال ضخم ، وفي ذلك، فاق كل الشبان في طيشه وسوء تهذيبه ، فكان صاحب المخزن العام يلقبه بالكذاب الكبير (لكنه لم يواجهه بذلك) ويتمنى لو أنه يبتعد عن مخزنه (لكنه لم يقترح ذلك عليه قط) . فقد كان شيلا قاسيا جدا ، لو كان في جون بارسونز فرع لعصابة ملائكة الجحيم ، فلا شك أنه سيكون زعيما له لتسلسل المراتب في عصابة الدراجات . ولكن لم يكن في البلدة سوى عدد صغير من الدراجات ، كما لم يكن شيلا بحاجة الى عصابة تشد أزره . فمجرد منظره يكفي ليؤكد أن كلامه لا يقبل التحدي أبدا . فشعر أسود « مزيت » ، ووجهه أسمر « مزيت » أيضا تكسوه تعابير تتراوح بين الاحتقار الصامت وبين الاحتقار الهائج ، ولم يكن هناك أي تعبير آخر .

وكان يبصق كثيرا ، وغالبا ما يستخدمه شبان البلدة ستارا لاخفاء عيوبهم الاجتماعية . ويخيل للمرء أنه قادر على الكلام ولكن قلما شوهد وهو يتكلم . والله وحده يعلم كيف يغوي الفتيات ليركبن سرج دراجته ، وربما كن يستجبن لنداء وحشي لا تسمعه بقية البلدة .

لقد كان معظم الشبان يعمل في المنشرة ، وكان بعضهم يساعد في ادارة مزارع عائلية . أما الذين يعملون في المدينة فغير محسوبين في عداد جماعة مربط الخيول لأن عملهم يعطيهم الفرصة لترتيب حياتهم الغرامية خلال ساعات العمل . وكانت هذه احدى النقاط التي يحسد عليها العاملون من أصحاب الياقات البيضاء .

أما شيلا فلم يكن له عمل منتظم ، فقد كان عاملا مؤقتا يكثر الطلب عليه ، ففي موسم الحصاد يقوم بتفريغ القمح في محطة القطار ، فينقل الاكياس الثقيلة على كتفه من سيارات المزارعين الى عربات القطار . وهو مستعد لاداء أعمال مختلفة كقيادة بلدوزر أو تراكتور ، وكان يعمل لسد حاجته فقط ، فلم يكن عبدا لاحد وانما يعمل عندما يروق له ذلك ، أو عندما تحتاج دراجته الى تصليح .

وعندما يقف عند مربط الخيول تبدو ثيابه متميز وغريبة ، على الاقل في جون بارسونز : بنطال أسود لماع وضيق ، وسترة من الجلد يلبسها في الصيف والشتاء وفي الخريف والربيع ، وجزمة طويلة مهترئة ؛ وهذا أفضل يا سيدتي اذا ما رُفستِ بها .

هكذا ينظر الكبار في البلدة الى شيلا ، ولهذا كانت المرأة في المزرعة تستدير لتزم شفتيها وتهز رأسها بعد مرور دراجته من هناك .

وفي أحد أيام الصيف كان في المزرعة عمل كثير وكان زوج تلك الامرأة بحاجة الى مساعدة ، فذهب الى البلدة بسيارته القديمة وعاد ليقول لها انه اتفق مع عامل جيد ليقول بالعمل وانه قادم في الغد .

ـ انه ذلك الشاب ، تشارلي بيتس الذي ينادونه شيلا .

ـ لماذا هو بالذات ؟

ـ انه الوحيد الذي عثرت عليه ، يا حبيبتي ، ويقولون انه عامـل جيـد .

ـ لكنني لا أريده أن يدخل هذا البيت . هذا كل ما في الامر . انـه سافل . نعم ، انه حثالة .

وفي اليوم التالي ، وصل على دراجته في الوقت المحدد ، وبدا شـكل الدراجة غريبا وهي تميل الى اليسار بدلا من اليمين باتجاه الجدول ، كما بدا شيلا غريب الشكل وهو في ثياب العمل . وكانت هي تراقبه مـن الشرفة وهو يوقف دراجته بطريقته المعتادة تحت شجرة الفلفل الكبيرة . وخطر في بالها « انه شاب عادي مثل باقي الشبان . بنطال خاكي قصـير وقميص عمل نظيف » . لكن وجهه القاسي أعاد لها قناعتها « انه حثالة » . استدارت ونادت زوجها : « أنه هنا ، لقد أعددت لك طعام الغداء لتأخذه معـك » .

انطلقا معا بالسيارة بمحاذاة سياج الحديقة ثم أشجار الصفصاف المنتصبة على ضفاف الجون ثم غابا عن ناظريها . لقد سرها أن أعدت لهما طعام الغداء ليأخذاه معهما ، فقد اعطاها ذلك فرصة لتقوم ببعض أعمال البيت ولتجلس في الشرفة بعد ذلك .

لم يكن هناك ما يسترعي النظر ؛ فالماشية ساكنة عند سياج الحديقة جعلها الحر لا تتحرك ؛ لم يكن هناك ما يتحرك سوى الغربان التي تدور وتنعق حزينة ، كئيبـة .

وتساءلت كيف يمكن أن يتعامل زوجها مع هذا الولـد الغريب . وتمنت مرة أخرى لو يتوفر عامل عادي للقيام بالعمل . يبدو انه قوي

جدا ومناسب للعمل ، كما انه يستطيع ضربك وسرقة كل ما تملك . وهكذا يبدو بقوته . ولكن شكرا لله ، لقد عادت السيارة ، وها هي ذي تسـير على الطريق باتجاه البيت .

ونزل شيلا مـن السيارة ووقف بجانبها ومشى زوجهـا نحو باب البيـت .

ـ لقد طلبت من تشارلي أن يتناول الطعام معنـا ، يا عزيزتي . ما رايـك ؟

هزت رأسها متذمرة ، فقد كرهت منه تسرعه في مصادقته هذه ، ولقد قالت له انها لا تريد ذلك الولد في بيتها ، وها هي ذي الآن مضطرة لان تقدم له الطعام .

فتركت الكرسـي الهزاز يزقزق معبرا عـن احتجاج لم تجرؤ على اعلانه ، وذهبت الى المطبخ لتعد وجبة الطعـام .

وتمتت من فوق كتفها بضيق : « سيكون الطعام جاهزا خلال نصف سـاعة » .

زادت من اشتعال الزيت في الموقد القديم ، وربطت مئزرها القطني المقلم . بينما مشى زوجها متثاقلا الى غرفة الحمام .

هدر صوت دراجة شيلا ، فقالت :

ـ الى أيـن يذهب ؟

ـ لا أدرك ، قلت اننا سنشرب البيرة ، فربما ذهب الى البار ليحضر زجاجة ، سوف يعود .

ودخل المطبخ وكان وجهه مشرقا ومحمرا من الدلك ، وبعلوه شعره صابون جاف . « شاب غريب ، لا يتكلم كثيرا ... لكنه عامل جيد . هل تريدين بيرة ؟ » .

ـ «كلا ، شكرا» ، يمكنه الاحتفاظ بزجاجته ، انت تدعو مثل هؤلاء الناس لتناول الطعام . « انه لن يعود ، لقـد ذهب ليلتقـط فتـاة . هذا ما فعله » .

أغلقت القدر القديم بقوة فأصدر صوتا . ودار بخلدها ، « اني احب أن أشرب البيرة ، فالبيرة باردة وطيبة ، وسآخذ واحدة إن عرضها علي ثانية ، ولكنها تعرف أنه لن يعرضها . ولن تطلبها . لا ، لن تطلبها وإن كانت ستموت عطشا . انه سرعان ما يدعو الشبان السفلة والمجرمين الى بيته ، وأما زوجته فقد يغمى عليها من حر المطبخ ولا يلاحظ ذلك .

لم يكن الزوج يدري بالحرب الباردة المشؤومـة التي تتأجج مـن حوله ، فجلس يشرب البيرة ويقرأ الجريدة المحلية .

ـ تقول الجريدة انه سيفتح مستودع جديد للحبوب هذا العام .

ـ الطعام جاهـز .

ـ انتظري قليـلا .

ـ هل قال انه يريد أن يأكل هنا ؟

ـ نعم ، لقد خنف بذلك ، وبدا عليه انه يريد ذلك .

اذن سيبرد الطعام ، وهي تكره تقديم الطعام مسخنا ثانية . لقـد بدأ المرق يبرد وبدأت تتشكل قشرة على سطحه . جلست أمام الطاولة وراحت تزيل بقعة عالقة على مئزرها . وسمعت صوت دراجة ، لم يبتعد الصوت باتجاه السياج ، انه آت نحو البيت .

ـ أخيرا . ها هو ذا هنا ، لكن الطعام برد .

توقفت الدراجة ، وسمعت وقع اقدام ثقيلة تضرب الارض وتقطع الشرفة ، وفتح الباب المنخل ، ووقف شيلا عند الباب . بنطال اسود

لماع ضيق ، جزمة طويلة مهترئة وسترة مـن الجلد . شعره يلمع مـن الزيت . لقد ملأ الغرفة بعطر غريب ، عطر ازهار متفسخة .

قامت المرأة ببطء لتقف على قدميها .

ـ اجلس هنا يا تشارلي ، فالطعام ليس جاهزا تماما ، سـأعود في الحـال .

واتجهت الى غرفة نومها ويداهـا تبحثان عن العقـدة التي تربط مئزرها . قذفت الشحاطة وانحنت تبحث تحت السرير عن حذاء الخروج. وكان على طاولة الزينة علبة بودرة خاصة بعيد الميلاد ، فوضعت منهـا قليلا على أنفها ، وخلخلت ما بين شعرها ، وعادت الى المطبـخ تتهادى كالبجعة .

ـ أعتقد أني سأشرب البيرة الآن ، يا تيد . وبعدها أسكب لكمـا الطعـام .

انه حثالة ، لا بأس ، شرير ونكد ويجب أن يخاف المرء منه ، لكنها أدركت أصوات موسيقى ناعمة تتردد في ذاكرتها . لقد قدم لها أجمـل إطراء يعرفه : كان شيلا سيزور سيدة فذهب الى بيته ليغير ثيابه ويرتدي الثياب الخاصة بتلقط الفتيـات .

العنـوان الاصلـي :

— A Vibration in the Memory.
— Maureen Porle.
— Short Sfory International.

أحلام أميركية

● بيتر كاري ● ترجمة: أحمد س. نجم

ليس في وسع أحد ، الى يومنا هذا ، أن يتذكر ما الذي فعلناه فتسبب في ايذاء مشاعره . فالقصاب داير يتذكر يوما أعطاه فيه لحما غير الذي أوصى عليه ، وآخر عندما قدّم عليه بالخطأ أحد الزبائن . وفي معظم المرت التي يسكر فيها داير يتذكر ذلك اليوم فيلعن نفسه على حماقته ، غير أن أحدا منا لا يعتقد بأنه هو الذي أغاظه .

غ يرأن أحدنا فعل شيئا ، فقد ازدرينا بفظاظه ذلك المتواضع الحليم . بنظارتيه غير المؤطرتين ، وبزته الانيقة . ازدرينا الرجل الذي ابتسم لنا جميعا ، بتهذيب شديد . لقد اعتقدنا ، كما أظن ، أن به مسا من جنون ، فقد كان في أوقات كثيرة يميل الى العزلة والكآبة ، مما أنسانا أنه موجود بيننا أصلا .

اذكر انني كثيرا ما سرقت التفاح ، وانا طفل صغير ، من أشجار منزله الواقع في زقاق ماسون ، ولطالما رآني . بل الاصح أن أقول لطالما أحسست أنه يراني . كنت أحسه يحدق بي من خلف ستائر منزله المخرمة .

لقد حضر الكثيرون منـا . زرافات ووحدانا ، لسـرقة تفاحه . والارجح انه اختار الثمن الدقيق لتفاحاته بطريقته الخاصة . ومع ذلـك فأنا متأكد أن الامر لم يكن أمر تفاحات . وما حدث اننا جميعنا ، الثمانمئة منا ، قد أتينا لنستذكر آثامنا الصغيرة بحق السيد جليسون الذي عاش يومـا بيننـا .

فوالدي الذي لم يحقد في حياته على أي كائن حي ما يزال يؤمـن ان جليسون قد أراد بذلك خيرنا ، وأنه أحب البلدة أكثر من أي واحد منا . إن والدي يصر على أن ضمائرنا لم تحمل للبلدة الا كل ما هو سيء ، وأننا لم نر في هذا الوادي الصغير اكثر من محطة انتظار ، مكانا في الطريق الى مكانا آخر . حتى أولئك الذين مضت سنوات طويلة على وجودهم فيها . فانهم لم يأخذوها على محمل الجد . أجل فالمكان جميل ، والتلال خضر ، والغابات متشابكة ، والجدول يفيض سمكا ، بيد أنها ليست المكان الذي نود لو نعيش فيه :

لقد شاهدنا ولسنوات الافلام في سينما روكسي ، وحلمنا إن لم يكن بأمريكا ، فعلى الاقل بعاصمتنا . أما بالنسبة لبلدتنا فلم نحمل لها ، كما يقول والـدي ـ غير الكراهية . عاملناها بسـوء كعاهرة . لقد قطعنا الاشجار العملاقـة المظللة من شـارعنا الرئيسي كي نصنع ابوابا لبنـاء المدرسـة ، ومقاعد للعب كرة القدم . خلفنا في اراضيها حفرا كبيرة استخرجنا منها الفحم البني . ولم نعطهـا شيئا . لقـد اهتم التجار المتجولون ، الذيـن يشترون البطاطا والسمك المقلي مـن دكان جـورج اليوناني ـ بأوضاعنا بأكثر مما اهتممنا بها . والسبب أننا جميعا نحلـم بالمدينة الكبيرة وبالثروة ، والبيوت العصرية ، وبالسيارات الفارهة ، أي بأحلام امريكية كما كان والدي يدعوها .

ورغم أن والدي كان يدير محطة للوقود الا انه كان مخترعا أيضا . فقد كان يجلس طوال النهار في مكتبه يرسم على ظهر دفتر الطلبيات أجزاء معدات غريبة . كانت كل قطعة ورق زائدة في بيتنا مغطاة بتلك الرسوم الضئيلة ، وكان من عادة أمي أن تظهر حرصا بالغا عندما يتعلق الامر بالقاء قطعة ورق مهما صغرت . كانت تفحص كلا جانبي الورقة بحذر ، وتحتفظ على الدوام بأية قطعة ظهر عليها أثر لقلم رصاص .

اعتقد أن ذلك هو ما دفع والدي للاحساس بأنه فهم جليسون . لم يقل ذلك صراحة . غير انه ألمح بأنه فهم جليسون لانه هو الآخر كانت تشغله متاعب مماثلة ، وكان والدي منهمكا في خطط لاختراع كسارة بحص عملاقة غير أنه كان يجد نفسه ، بين الفينة والاخرى ، وقد انصرف الى شيء آخر .

فمثلا عندما اشترى القصاب داير دراجته ذات الغيارات ظل والدي ولفترة طويلة من الزمن ولا حديث له الا الغيارات ، وكثيرا ما كنت أراه مقعياً في الطرف الآخر من الشارع قرب دراجة داير كما لو أنه يحادثها . كلنا ركبنا الدراجات لانه لم يكن لدينا المال الكافي لما هو أفضل منها . والدي كان يملك سيارة شحن قديمة من طراز شفرلية ، بيد انه لم يكن يستخدمها الا فيما ندر . ويخطر لي الآن أن ذلك ربما كان عائدا الى خلل ميكانيكي كان متعذرا اصلاحه ، أو ربما كان الامر مجرد حفاظ عليها ، وعدم رغبة في أن يراها وهي تبلى في الحال . كان ، في العادة ، يذهب الى اي مكان على دراجته ، وعندما كنت أصغر سنا كان يحملني عليها . وكنا نترجل عنها كي نجتاز وقد انهكنا التعب التلال ، التي تقود الى الشارع الرئيسي ، والتي نصعد منها اليها . كان مألوفا في بلدتنا رؤية الرجال يدفعون دراجاتهم ، التي كانت أعباء بقدر ما كانت وسائط تقلهم !

كان لجليسون دراجته أيضا . وكان يجرها ويقودها ساعة الغداء من مكتب البلدية الى بيته في زقاق ماسون . كان عليه أن يقودها ثلاثة اميال ، وقد علق الناس على ذهابه للبيت لتناول غدائه بأنه كان نيفا ، فلم يكن ليستسيغ السندويشات التي تعدها زوجته ، لا ولا الوجبات الساخنة التي يوفرها مقهى السيدة ليسنج . ومع ذلك فقد كانت الامور تسير سيرا طبيعيا عندما كان جليسون يجر ويقود دراجته من مكتب البلدية واليه ، ولم تنحدر الا عندما تقاعد .

عندها راح يبني جدارا حول قطعة ارض من آكرين على التلة الجرداء . اشترى الارض بثمن باهظ من جوني ويكس الذي يعتقد الآن، كما أؤكد ، أن الحكاية بأكملها كانت نتيجة لخطئه : أولا لانه خدع جليسون، وثانيا لانه باعه الارض أصلا . استأجر جليسون بعض الصينيين وراح يبني جداره ، وعندها فقط عرفنا أننا كنا قد اهناه يوما . ذهب والدي بدراجته الى التلة الجرداء وحاول أن يثني جليسون عن عزمه . قال له بأن لا حاجة بنا لبناء جدران . فلا احد يرغب في التجسس على السيد جليسون ولا على الاشياء التي ينوي صنعها على التلة الجرداء ، وقال بأن جليسون لا يهم احدا البتة !

مسح جليسون . الذي بدا انيقا بسترته الرياضية ، نظاريته ثم ابتسم بغموض . فكر والدي وهو عائد بأنه ذهب بعيدا في حق جليسون . فنحن بالطبع نهتم به . فعاد ثانية اليه وطلب منه أن يشاركنا في حفلة رقص تقام يوم الجمعة القادم . غير أن السيد جليسون قال بأنه لا يجيد الرقص . فقال والدي :

« حسن . انزل الينا . في أي وقت تشاء » .

عاد السيد جليسون يشرف على اسرته من العمال الصينيين الذين يبنون جداره .

كانت التلة الجرداء تشرف على البلدة . ويمكن للناظر من محطة الوقود التي يمتلكها والدي ان يرقب الجدار وهو يرتفع . كان مشهدا مثيرا ، رحت أرقبه على مدى عامين ، وانا أنتظر زبائننا النادرين . كان لدي الوقت بطوله بعد الدوام المدرسي وأيام السبت كي أرقب التقدم المضني لجدار السيد جليسون . كان عملا مؤلما ، وكنت أرى العمال الصينيين ، وهم ينقلون ، أحيانا ، بعدوهم الوئيد القرميد على الواح خشبية طويلة . كانت التلة عارية ، وفوق ذلك العراء كان السيد جليسون يبني حائطا لسبب أو لآخر .

اعتقد الناس في باديء الامر أن من الغرابة ان يبني انسان ما حائطا على التلة الجرداء ، وهي التي تحمد للمشهد البديع الذي توفره للبلدة ، وكان السيد جليسون يبني حائطا يحرم البلدة منظرها ذاك . كانت القشرة الترابية في أعلاها رقيقة . وفي اماكن منها احتوت على الطفل الخالص . فهي أرض لا تنبت شيئا البتة ، مما دفع الجميع الى الذهاب بأن الامر وما فيه أن جليسون قد أصابه مس من جنون . وبعد اهتمام اولي بجليسون ومشروعه عادوا فقنعوا بجنونه كما قنعوا بحائطه ، وكما قنعوا بالتلة الجرداء نفسها .

في بعض الاحيان يصدف أن يأتي الى محطتنا شخص يرغب في تعبئة سيارته بالوقود فيسأل والدي عن الحائط فيهز والدي كتفيه ، فأرى مرة أخرى غرابة الامر .

ويسأل الغريب « بيت ؟ . . على تلك التلة ؟ » .

فيجيبه والدي « لا . إن رجلا يدعى جليسون يبني جدارا » .

وتتملك الغرباء رغبة في معرفة السبب ، فيهز والدي كتفيه وينظر الى التلة الجرداء ثانية وهو يقول : « ملعونٌ إن كنتُ أعرف » .

ظ ل جليسون يسكن في منزله القديم الواقع في زقاق ماسون . كان منزلا خشبيا متواضعا امامه حديقة زهور وعلى جانبه بستان خضار ، ووراءه بستان فواكه . في المساءات كنا ، نحن الاطفال . نصعد بدراجاتنا الى التلة الجرداء . كان عملا مجهد يؤلم عضلات أرجلنا ، وأسوأ ما في الامر ذلك الطريق الترابي الشاهق الذي نضطر معه لى دفع دراجاتنا واوصالنا تتهدج . نصل فلا نجد سوى جدران . لقد كسرنا ذات مرة بعض القرميد المبني ، واخر ىالقينا حجارة على الخيم التي ينام فيها الصينيون . هكذا كنا نعبر عن نفاذ صبرنا من ذلك الشيء الذي استغلق علينا .

لا ريب في أن العمل في الجدار قد انتهى في يوم سبق عيد ميلادي الثاني عشر . اتذكر ذهابنا في نزهة لاقامة حفلة عيد الميلاد عند جدول ايلقين مايل ، حيث أوقدنا نارا وشوينا شرائح عند منعطف من النهر مكننا من رؤية الجدران على التلة الجرداء . اتذكر أنني وقفت وبيدي شريحة ساخنة ، واحد رفاقنا يقول : « انظروا . انهم يرحلون ! » .

وقفنا على ضفة الجدول وراقبنا العمال الصينيين وهم يهبطون التلة بدراجاتهم . قال احدنا انهم ذاهبون لبناء مدخنة لاحد المناجم . وبما ان لذلك المنجم الآن مدخنة من الآجر فانني اعتقد انهم هم الذين بنوها . عندما انتشر الخبر في ارجاء البلدة أن بناء الجدران قد انتهى صعد معظم السكان لرؤيتها . طافوا حول الجدران الاربعة التي كانت جذابة كأية جدران قرميدية اخرى . وقفوا أمام الابواب الخشبية الكبيرة ، وحدقوا

فيما يمكن ان يكون خلفها ، بيد أن كل ما استطاعوا رؤيته كان حائطـا اصم ، بني كما هو واضح لهذا الفرض وحسب . اما الجدران نفسها فقد كانت بارتفاع عشـرة أقدام وقد علتها الاسلاك الشائكة وقطع الزجاج المكسر . وعندما غدا جليا أننا لن نخرج بطائل إن نحن حاولنا معرفة مـا بداخلها ، عدنا الى بيوتنا وقد أسلمنا أنفسنا لليأس .

مضى زمن طويل منذ أن كف السيد جليسون عن المجيء الى البلدة . كانت زوجته تأتي بدلا عنه تدفع عربتها هابطة من زقاق ماسون باتجـاه الشارع الرئيسي . هناك حيث نتزود باللحم ولوازم المنزل (لم يكونا ليشتريا الخضار فقد كان يزرعان ما يحتاجانه) لتعود بعدها الى زقاق ماسون . كانت ترى في بعض الاحيان وهي تقف بعربتها في منتصف شارع جل كي تلتقط أنفاسها . لم يكن أحد ليسألها عن الجدار ، فالكل يعرف أنها غير مسؤولة عنه . وكان الجميع يشعرون بالاسى تجاهها لما تتحمله من مشاق دفع العربة وجنون زوجها ، حتى أن أحداً لم يسألها ، عندما راحت تزور دكان دكسون الخردوات لتشتري الجص الباريسي ، وعلب الدهان والمركبات المانعة لرشح الماء . كانت لها طريقتها في تحويل نظراتها مما أوحى بخوفها من الاسئلة . كان العجوز ديكسون ينقل الجص الباريسي وعلب الدهان الى عربتها ، ويقول وقد راحت تدفع العربة بعيدا عن دكانه :

« مسكينة . . ما اشد بؤسها » .

ومن محطة الوقود وحيث كنت أجلس في الشمس وأنا أحلم ، او في المكتب المغلق وانا أحدق في الامطار بحزن كنت أراه بين حين وآخر داخلا أو خارجا من مبناه الجدراني ، شبحا ضئيلا على التلة الجرداء . وكنت أفكر به كـ « جليسون » لا أكثر من ذلك ولا أقل .

كان بعض الغرباء يصعدون أحيانا لرؤية ما كان يجري هناك ، يدفعهم الى ذلك احاديث أهل البلدة عن معبد صيني ، وشيء اخرق يُبنى هناك . وذات مرة قام فريق من الايطاليين بنزهة حول الجدران ، والتقطوا لانفسهم صورا وهم يقفون أمام الباب المغلق . ولا أحد غير الله يعرف اين ذهبت أفكارهم بصدده .

لم يكن في جدران جليسون ما يبعث على الاهتمام في السنوات الخمس التي انقضت ما بين عيد ميلادي الثاني عشر والسابع عشر . واكاد لا اذكر الآن شيئا عن تلك السنوات ، لكأنني لم اعشها . ما اذكره فقط انني احببت سوزي ماركن فكنت اتبعها على دراجتي من بركة السباحة ، واجلس وراءها في السينما ، واطوف حول بيتها ، قبل أن يرحل والدها الى بلدة اخرى فأجلس في الشمس منتظرا عودتها .

لقد جرفنا في تلك السنوات تيار العصرنة . فما أن توفرت الدهانات بألوانها المتنوعة حتى راح الناس يتسابقون على شرائها ، وبين عشية وضحاها شعت البيوت بألوان بهيجة . بيد أنها سرعان ما بهتت وتقشرت لانها لم تكن من الصنف الجيد ، فانقلبت البلدة الى حديقة أزهار ميتة ! الشيء الحقيقي الوحيد الذي اتذكره وانا أستعيد تلك السنوات هو صرير اطارات الدراجات على الشارع الرئيسي . أفكر بها الآن فأجدها وادعة تماما ، بيد انني أتذكر أن صريرها كان يبعث فيّ آنذاك شعورا بالسوداوية، شعورا يختلط بالحزن الذي تخلفه في نفوس أهل البلدة الآصال التي ترحل مبكرة خلف التلة الجرداء ، حيث تغدو البلدة كئيبة كآبة قاعات الرقص بعد ظهر ايام السبت .

ثم . وفي سنتي السابعة عشر تلك ، مات السيد جليسون . عرفنا ذلك عندما رأينا عربة السيدة جليسون تقف أمام الحانوتي فونسي جوي .

كانت العربة تقف حزينة على شارع تذروه الرياح . حضرنا ونظرنا العربة فشعرنا بالاسى للسيدة جليسون ، التي لم يعد أمامها الكثير لتعيشه :

نقل فونسي جوي جثمان العجوز جليسون الى التربة المجاورة لمحطة باروان للقطارات ، وتبعته السيدة جليسون مستقلة سيارة أجرة . راقب الناس الجثمان وهو يمضي بعيدا ، وفكروا بجليسون ، الذي عهدوه ، لا بجليسون الذي سيتجلى لهم عما قريب .

ذلك أنه وبعد أقل من شهر على دفنه في مقبرة نائية قرب محطة باروان للقطارات عاد العمال الصينيون ثانية. رأيناهم يدفعون دراجاتهم نحو راس التلة . وقفت أنا ووالدي وفونسي جوي ورحنا نحزر ما الذي يجري هناك . بعدها بقليل رايت السيدة جليسون تصعد التلة بشق الانفاس . لم أكد أتميزها لانها لم تكن تدفع عربتها . كانت تحمل مظلة سوداء وتصعد التلة الجرداء ببطء ، ولم أميزها الا عندما توقفت لتلتقط انفاسها ، ثم لتنحني الامام ، فصحت :

ـ انها السيدة جليسون مع العمال الصينيين !

غير أنه كان علينا أن ننتظر حتى صبيحة اليوم التالي لنعرف ما الذي كان يجري . وكما يحدث في مأتم كبير تجمع الناس في الشارع الرئيسي ، وبدلا من أن يحدقوا الى زواية شارع غرانت راحوا يحدقون في التلة الجرداء . طيلة ذلك اليوم واليوم الذي تلاه تجمع الناس ليشهدوا تحطيم الجدران . رأوا العمال الصينيين يرمحون جيئة وذهابا ، ولم نعرف أن شيئا ما داخل الجدران الى أن هدموا جزءا كبيرا من الحائط المواجه للبلدة . ثمة شيء بيد أن من المستحيل رؤيته . وقف الناس . تساءلوا ، أشاروا الى السيدة جليسون وهي تروح وتجيء مشرفة على العمل .

أخيرا صعدت البلدة الى التلة الجرداء ، فرادى وجماعات ، على الدراجات وسيرا على الاقدام . اغلق السيد داير ملحمته ، واخرج والدي شاحنته وصعدنا الى التلة وفي شاحنتنا عشرون ركبا ، تكدسوا في صندوقها الخلفي وتعلقوا على عتبتي بابيها . قادها والدي متجها وسط حشد من الدراجات ، ثم أوقفها . حيث يبدأ الطريق الترابي بالارتفاع . صعدنا ما تبقى من الطريق الشاهق دون أن نحزر ، ولو للحظة واحدة . ما الذي سيواجهنا هناك .

كان الهدوء مخيما على قمة التلة ، وقد راح العمال الصينيون يهدمون بدأب الجدارين الثالث والرابع ، وينظفون القرميد الذي يجمعونه في أكوام متناسقة كبيرة . لم تفه السيدة جليسون بشيء . كانت تقف في الزواية الوحيدة التي تبقت من الجدران تنظر بتحد الى سكان البلدة الذين وقفوا في زاوية أخرى فاغري الافواه .

كان ينتصب بيننا وبين السيدة جليسون اجمل واغرب ما رأيته في حياتي . في اللحظات الاولى لم أميزه . وقفت فاغر الفم ، وأنا اتملى جماله الاخاذ ، الى أن أدركت أن ما أراه كان بلدتنا . كانت الابنية بارتفاع قدمين ، فظة بعض الشيء غير أنها دقيقة تماما . رأيت السيد داير يلكز والدي هامسا أن جليسون كان قد كتب قاف القصاب الموضوعة على واجهة المحل بحرف باهت .

اعتقد أن شعور البهجة الخالصة قد تملك الجميع في تلك اللحظات . ولم اذكر أنه قد سبق لي أن شعرت بالفخار والسعادة كما احسست آنذاك . ربما كانت عاطفة طفولية لكنني نظرت الى والدي فرأيت ابتسامة عارمة تغمر وجهه ، فعرفت أن شعورا مماثلا قد طغى عليه . وفيما بعد

اخبرني أنه يعتقد بأن جليسون كان قد بنى نموذجا لبلدتنا من أجل تلك اللحظات ، كي يدعنا نرى جمالها ، وليجعلنا نفخر بأنفسنا فنكف عن الاحلام الامريكية التي عششت في عقولنا . أما بالنسبة لما حدث بعد ذلك فانه لم يكن في خطة جليسون ، الذي ما كان له أن يتنبأ بالامور التي ستحدث لاحقا . بيد أنني بت أعتقد أن وجهة نظر والدي تلك كانت عاطفية بل وربما مهينة لجليسون . فأنا شخصيا أعتقد أنه كان يعرف ما سيحدث ، وقد تأتي الايام ببرهان على ما أقول . لقد خلف ، بكل تأكيد ، بعض الاوراق الشخصية وأعتقد جازما أن تلك الاوراق ستظهر بكل جلاء أن جليسون كان يعرف ما سيحدث .

بهرنا نموذج بلدتنا ، في بادىء الامر ، حتى أننا لم تلحظ ابرز ما تضمنه . فالسيد جليسون لم يبدع بيوتا ودكاكين بل أسكنها أيضا . وكنا ونحن نسير على رؤوس أصابعنا في بلدتنا نصادف انفسنا فجأة . قلت لداير :

« انظر . . فذاك هو أنت ! »

كان واقفا بمئزره ، أمام دكانه . وعندما انحنيت مدققا النظر أذهلني التمثال . كانت صياغته فجة ، ودهانه غير متقن ، واكتسى الوجه ببياض شديد ، غير ان تعابيره كانت في غاية الكمال . شفتان مغضنتان ساخرتان ، وحاجبان مرفوعان . كان تمثال داير ولم يكن تمثال أحد سواه . أما بجواره فقد اقعى والدي يحدق بفتنة الى مسننات دراجة داير وقد بان على وجهه شحم ورجاء !

كنت خلفهما منحنيا على مضخة محطة الوقود ، في لقطة أمريكية أحادث برايان سبارو الذي كان يسليني ببهلوانياته الغريبة . فونس جوي

كان يقف الى جوار عربة الدفن ، والسيد ديكسون يجلس في مخزن خرداواته كل الذين أعرفهم كانوا هناك في تلك البلدة المنمنمة ، فان لم يكونوا في الشوارع أو الساحات الخلفية لمنازلهم ، فانهم داخل بيوتهم . ولم يتطلب الامر كثير وقت لنكتشف بأن باستطاعتنا أن نرفع سقوف المنازل ونحدق بداخلها .

مشينا في الشوارع بحذر . نتلصص على نوافذ البعض . نرفع سقوف بعضنا البعض . نبدي اعجابنا بحدائق بعضنا البعض ونحن في غمرة من ذلك انحدرت السيدة جليسون ببطء هابطة الى منزلها في زقاق ماسون . لم تكلم أحدا ، ولم يكلمها أحد .

اعترف أنني أنا الذي رفعت السقف عن منزل كاڤانا . لذلك فقد كنت أول من رآها تنام مع الشاب كريجي إيڤانز في سرير واحد . وقفت أمامهما طويلا ، وبالكاد أدركت ما تراه عيناي . حدقت فيهما طويلا ، طويلا . وعندما أدركت أخيرا ما كنت أراه اجتاحني مزيج من الغيرة والذنب والحيرة بحيث لم أعد أعرف ما الذي عليّ أن أفعله بالسقف .

اخيرا جاء فونسي جوي ليتناول السقف من يديّ ويغطي به البيت بحذر كما لو كان ، كما قادتني تخيلاتي ، يضع الغطاء فوق تابوت . في تلك الاثناء كان الكثيرون قد رأوا ما رأيت ، وهكذا سرعان ما انتشر الخبر .

بعد ذلك تحلقنا في مجموعات صغيرة نراقب القرية النموذج بما لاح أنه شعور بالخوف . فان كان جليسون قد عرف أمر السيدة كاڤانا وكريجي إيڤانز (وهو امر لم يعرفه أحد سواه) ، فما أكثر الاشياء التي يعرفها اذن . لقد اعترت الذين لم يعثروا على أنفسهم بعد عصبية

واضحة . ولم يعرفوا ما اذا كان عليهم مواصلة البحث أم لا . وحدقنا بصمت في السقوف ، وقد اجتاحتنا مشاعر الاثم والريبة . ثم انحدرنا من التلة بهدوء كمن ينصرف من مأتم . لا نسمع الا وقع الحصى تحت أقدامنا ، أما النسوة فقد رحن يعانين المتاعب من أحذيتهن ذات الكعوب العاليــة .

في اليوم التالي اقر اجتماع خاص لمجلس البلدية اقتراحا يطلب من السيدة جليسون أن تدمر البلدة النموذج وتسويها بالارض لانها تنتهك قوانين البناء . غير ان سوء الطالع شاء أن لا ينفذ ذلـك الامر قبـل ان تكتشف صحافة المدينة حقيقة الامر . وقبل أن تغرب شمس نهار آخـر فتغدو الحكومة سيدة الموقف .

جاء وزير السياحة بسيارته العريضة السوداء ، وخطب فينا في ملعب كرة القدم قائلا : أن البلدة ـ النموذج وسكانها ـ النماذج ينبغـي الحفاظ عليهم . جلسنا في المدرجات العليا لمنصة الجلوس نأكل البطاطا المقلية ونصغي الى الوزير الذي خطب وهو يقف قبالة السياج . لم يكـن بمقدورنا سماع كلماته جيدا ، غير أننا سمعنا ما فيه الكفاية . لقد دعـا البلدة النموذج عملا من أعمال الفن الخالص ، فنظرنا اليه بتجهم ، ثـم تابع بأنها ستكون مكانا لا يثمن لاجتذاب السياح . سيأتي السياح ـ كما قال ـ من كل مكان لرؤية البلدة النموذج ، وسنغدو شهيرين ، فتزدهر أعمالنا ، وتتوفر فرص عمـل لادلاء ، ومترجمين ، ووكلاء ، وسـائقي سيارات ، وبائعي البوظة والمرطبات . سيأتي ، قال الوزير ـ السياح الامريكيون لزيارة بلدتنا بالباصات والسيارات والقطارات . سيلتقطون صـورا ، وسيحضرون محافظ جيب تنتفـخ بالدولارات . الدولارات الامريكيــة .

حدقنا نحو الوزير بارتياب . أيعرف شيئا عن السيدة كاڤانا أم لا . لقد رأى ذلك المشهد دون ريب ، والا لما قال إن بعض المشاهد التي تثير المشاكل والتي ينبغي ازالتها قد تمت ازالتها . بدلنا مقاعدنا كما يحدث لنا عندما نراقب فيلما وصل الى ذروته . بعدها ارتحنا من جديد ، ونحن نصغي الى الوزير ، وقد رحنا ، ثانية ، نحلم أحلاما أمريكية .

تخيلنا سياراتنا الامريكية الناعمة تجوب المدن بأضوائها الساطعة . دخلنا بارات ليلية مكلفة ورقصنا فيها حتى الفجر . نمنا مع نساء مثل كيم نوڤاك ورجال مثل روك هدسون . شربنا الكوكتيل وحدقنا بكسل في براداتنا العامرة بالطعام . جهزنا لانفسنا عشاءات خفيفة مترفةتناولناها ونحن نشاهد التلفازات الكبيرة التي نستطيع عبرها رؤية الافلام الامريكية الى الابد ودونما مقابل . وكواحد من شخوص أحلامنا الامريكية استقل الوزير سيارته الضخمة السوداء ومضى خارجا من ملعبنا المتواضع . وصل الصحفيون بدفاترهم وآلات تصويرهم واحتشدوا عند المنصة ؛ وراحوا يلتقطون صورا لنا وللنموذج . وفي اليوم التالي كنا على صفحات الجرائد . الاناس النماذج جنبا الى جنب مع الاناس الحقيقيين ، وتحت صورنا ظهرت الاسماء والاعمار والمهن بالابيض ولاسود .

قابلوا السيدة لكنها لم تقل شيئا ذا بال . قالت بأن هواية زوجها كانت صنع البلدة النموذج .

سادت بيننا مشاعر طيبة ، وسررنا غاية السرور ونحن نرى صورنا على صفحات الجرائد . ومرة أخرى اختلفت نظرتنا الى السيدة جليسون . عقد المجلس البلدي اجتماعا آخر أطلق فيه اسم « شارع جليسون » على الطريق الترابي الصاعد الى التلة . بعد ذلك توجهنا الى بيوتنا ننتظر الامريكيين الذين وعدنا بهم .

لم يمض كبير وقت حتى اتوا ، رغم أننا حينها حسبنا أن دهرا قد مضى ، وطوال شهور ستة لم نقم بأكثر من انتظارهم . حسن . لقد جاؤوا . ولأقل لكم كيف جرت الامور معنا .

يصل الامريكيون يوميا بالباصات والسيارات ، وفي بعض الاحيان يأتي الاصفر سنا بالقطارات وهناك الآن مهبط صغير قرب مقبرة باراوان يصلون اليه أيضا بطائرات صغيرة . يقودهم فونسي جوي الى المقبرة لالقاء نظرة على ضريح جليسون ، يصعد بعدها الى التلة الجرداء ثم يهبط منها الى البلدة . إن فونسي يغدو من رجالات البلدة الكبار ، وقد ضمّ الى المجلس البلدي .

كان على التلة الجرداء نصف دزينة من التلسكوبات يتجسس الامريكيون من خلالها على البلدة ويتأكدون بأنفسهم أن البلدة التي تمت هي نفسها التي على التلة الجرداء . « هيرب غرافني » كان أيضا من الذين انتعشت أحوالهم . فهو يبيعهم البوظة والمرطبات وافلاما اضافية لآلات تصويرهم . لقد اشترى البلدة النموذج بأكملها من السيدة جليسون وراح يأخذ خمسة دولارات عن كل داخل . لقد غدا عضوا في المجلس . ويجمع ثروة كبيرة لنفسه . انه يبيعهم الافلام التي تساعدهم على التقاط الصور للبيوت ولأناس النموذج بحيث يصبح في مقدورهم ان يهبطوا الى القرية مسلحين بخرائطهم الخاصة ، وهم يفتشون عن الناس الحقيقيين .

اذا أردتم الحقيقة فسأقول بأننا سئمنا اللعبة . فهم يأتون الى والدي يطلبون منه أن يحدق في غيارات دراجة داير . اراقب والدي وهو يعبر الطريق نفسه ورأسه الى الارض . لم يعد يحيي الامريكيين . لم يعد يسألهم عن التلفازات الملونة ولا عن واشنطن . انه ينحني على الرصيف امام دراجة داير ، وهم يتحلقون حوله . وكثيرا ما تغيب الصورة الحقيقية

للنموذج من أذهانهم فيطلبون من والدي وقفة خاطئة . كان في البدء يجادلهم أما الآن فقد كف عن ذلك . انه يفعل ما يؤمر به . يدفعونه في هذا الاتجاه أو ذاك ويقلقون من تعابير وجهه التي لم تعد كما كانت عليه أصلا .

أعرف أنهم سيبحثون عني ، فأنا الثاني في الخارطة . وقد اكتسبت شهرة لسبب ما . انهم يأتون للتفتيش عني في محطة الوقود كما يفعلون منذ اربع سنوات وحتى الآن . لا أنتظرهم بشغف ، فأنا أعرف وقبل أن يصلوا الي ، أنني سأخيب آمالهم .

« لكنه ليس نفس الصبي » .

فيجيبهم فونسي . « بلى . انه الصبي بعينه » . ويطلب مني أن أريهم أوراقي الثبوتية .

يفحصونها متشككين ، يتحسسونها خشية أن تكون من أعمال التزوير الذكي ، ثم يقولون (والامريكيون دائما واثقون بأنفسهم) : لا . . لا (ويهزون رؤوسهم) انه ليس الولد الحقيقي . الولد الحقيقي أصغر من هذا » .

« لقد كبر الآن . وقد كان صغيرا من قبل » يقول فونسي وهو ينظر اليهم بضجر . فهو يقوى على النظر بضجر . يحدق الامريكيون في وجهي بامعان ويقولون : « انه صبي آخر » . لكنهم أخيرا يجردون آلات تصويرهم . أقف مقطبا وأنا أحاول أن أكون مسرورا كذاك الذي كنته يوما . لقد رآني جليسون مسرورا . غير أنني لم أعد أعرف طعم ذلك الاحساس . كنت انظر الى برايان سبارو . لكن برايان تعب هو الآخر . فهو يجد صعوبة في القيام بألاعيبه البهلوانية التي لم تكن مما يبعث السرور في الامريكيين . انهم يفضلون النموذج . أراقبه بحزن ، وأرثي لحاله لان عليه أن يمارس ألعابه أمام نظارة غير ودودين .

يدفع الامريكيون دولارا واحدا مقابل حق التقاط كل صورة يلتقطونها لنا . وبما انهم ينفقون أموالا فقد كانوا يخشون الخديعة . انهم يمضون الوقت من خيبة الى اخرى وانا أمضي وقتي شاعرا بعقدة الذنب لانني وعلى نحو ما قد خذلتهم عندما كبرت وغدوت اكثر حزنا .

* * *

المؤلف :

(*) نشـا بيتر كـاري في باكـس مارش في مقاطعـة فيكتوريا باسـتراليا ، ويعيشـ الان في مدينـة سـدني . أول مجموعاتـه القصصيـة وافضلهـا مبيعـا مجمـوعـة « The Fat manin History » . تلتهـا مجمـوعـة « War Crimes » التي فازت بجائزة رئيس وزراء مقاطعة نيوساوث ويلز في استراليا لعام ١٩٨٠ . كما حازت روايته (Bliss) على نفس الجائزة عام ١٩٨٢ ، وعلى جائزتي مايلز فرانكلين ومجلس الكتاب الوطني ، وفاز الفلم المصور عن تلك الرواية بثلاث جوائز من معهد الفلم الاسترالي عام ١٩٨٥ بما فيها جائزة افضل فلم روائي . صدر له عام ١٩٨٥ رواية (Illywhacker) عن جامعة كونفر لاند باستراليا ، واعيد طبعها ثلاث مرات حتى الان ، وقد وصفها سلمان رشدي الروائي الباكستاني المقيم في لندن في مراجعة لها في احد اعداد الغارديان بانها اعظم الاعمال الروائية التي صدرت مؤخرا في الانكليزية . وقصة احلام امريكية ماخوذة من المصدر التالي :

Carey, Peter :

Exotic Pleasures.

Picador 1981, London.

• مسرح

أتيتُ بشأن الإغتيال

• توني مورفت • ترجمة: حكمت لميا

أتيت بشأن الإغتيال

• توني مورفت • ترجمة: حكمت لميا

الشـخصيات :

- امـرأة عجـوز .
- شـاب (يحتمل ان يكون ابنهـا) .
- شـخ (يحتمل ان يكون زوج المرأة ، لكن يحتمل الا يكون والـد الشـاب) .

الـزمـــان : اي يوم خميس .

المكان أي مكان : غرفة . فيها نافذة . الغرفة والنافذة في الطابق الثـاني من عمارة . النافذة تطل على شارع . يمكن أن يكون في الشارع أصوات إن كان ثمة حاجة لذلك . المرأة تجلس في كرسي وهي تدندن ، مع نغم احيانا وبلا نغم احيانا اخرى ، لكن مع نفسها دائما : دعه يبني ، دعه يبني ويبني ويبني . تسمع عند اقدام النظارة نقرة عنيفة . تتابع العجوز الدندنة لنفسها . الشخص الذي يطرق هو الشاب، لذا سنستغني عن تسميته صوتا ثم ننتقل.

الشـاب : أنا الطـارق .

العجـوز : سمعتك !

الشـاب : حسن . دعيني أدخـل .

العجـوز : مـن أنـت ؟

الشـاب : أنـا !

العجـوز : مـاذا يهمنـي مـن أنـت .

الشـاب : أتيت بشـأن الاغتيـال .

العجـوز : أوه . هل هو يوم الخميس ؟

الشـاب : طبعا ، أنا هنا بشأن الاغتيال . اليس كذلك ؟

العجـوز : حقـا ؟

الشـاب : على الارجح . بقدر ما أعلم .

العجـوز : لمَ لا تبتعد ؟ دعني وشـأني !

الشـاب : لا أستطيع . اليوم الخميس .

العجـوز : ثمـة أيام خميس كثـيرة .

الشـاب : لو كان الاربعاء لكنت في مكان آخـر .

العجـوز : أيام الخميس أكثر من غيرها .

الشـاب : عـلامَ تهذيـن ؟

العجـوز : هناك أيام خميس أكثر من غيرها من الايام .

الشـاب : فقط أيـام الخميس .

العجـوز : أكثـر الايـام أوقـات .

الشـاب : أيام الاربعاء أكثرها أربعاء .

العجـوز : دعني وحدي مع أيام الاربعاء .

الشـاب : اسمحي لي بالدخـول .

العجـوز : مـن أنـت ؟

الشـاب : لقد اتيت بشـأن الاغتيـال .

العجـوز : أجل . أجل ، طبعا اليوم الخميس **(تنهض وتمشي نحو الباب)** بامكاني أن أعمل من غير أيام الخميس . لا أعلم لماذا لا تفعل الحكومة شيئا . **(تفتح الباب)** . **(يندفع الشاب الى الداخل حاملا بندقية صيد ذات منظار تيلسكوبي ، ودون أن يعيرها اهتماما يندفع الى النافـذة ، يرفع البندقية ، يرجـع الى الوراء ، ويصوب البندقية نحو الشارع)** .

الشـاب : دي ، دي . دي دي . **(يضحك)** . اليوم ساقتله . سأقتله اليوم . **(تعود المرأة الى كرسيها)** .

العجـوز : هذا ما قلته الخميس الماضي .

الشـاب : كان النور سيئا جدا . لم يكن ثمة مكان مناسب للتسديد .

العجـوز : والخميس الاسبق .

الشـاب : دي ! دي .

العجـوز : قلت « الخميس الاسبق » .

الشـاب : كانت شعبيته عالية . كان ذلك هو الاسبوع الذي الغى فيه ضريبة البيرة . كان من المحتمل ان يشعر شخص بالحزن لو انـه مـات .

العجوز : كان ذلك منذ أسبوعين فقط .

الشاب : والى متى تعتقدين ان الناس يتذكرون مثل هذه الامور ؟ اذا بقيت في أذهانهم فكرة بين الافطار والعشاء فانك محظوظة . دي دي ! سأقتله اليوم .

العجوز : انه رجل عظيم .

الشاب : هذا موضوع آخر تماما . لقد خان ثورة الشعب .

العجوز : رجل عظيم . لا فائدة منه في الفراش ، لكنه رجل عظيم .

الشاب : لا تدافعي عنه . انه عدو الشعب .

العجوز : هذا ما قلته الخميس قبل الماضي .

الشاب : في ذلك الاسبوع كنت اعتقد أن الذخيرة قد تكون سيئة . لا أستطيع ان أحسب كل شيء . انت تعرفين الاوضاع . خنازير من العمال غير الاكفاء في المعامل . أنت رأيت التآكل ، خبرتيه في اليوم التالي . جيد وجديد . أولاد حرام ماكرون . سأقتله اليوم اذا . دي دي ! هكذا سيتعلم . تبا لايام الخميس . لعنة المسيح عليّ إن لم يكن لدي ضمير اجتماعي . دي ! أمضي أيام الخميس على هذا النحو . نعم للشعب العمال أولاد الحرام . أفعل هذا من أجلهم . أقتل الطاغية الملطخة يداه بالدم .

العجوز : لقد الغى عقوبة الاعدام .

الشاب : فقط العام الماضي . هل يمكنك القول « لقد توقفت عن أن اكون قاتل الجماهير منذ العام الماضي ، لذا لا تستطيع ان تعاقبني » ؟ هل يمكنك القول معه : « لقد اصدرت قرارا في

العام الحالي لوقف الآبار المسممة وكل شيء على ما يرام » ؟
هـل يمكنك القول « أنا مريض ومرهق مـن تقطيع أوصال العاهرات ، وأن الصباب يسبب لذا فأنا أعلق خنجري وسوف أهاجر ؟ » هل تظن أنهم سيدعونك تفلت بذلك ؟ خاصة وأنك بعـد أن نظفت الحكومة من المحتالين فانه لم يعـد بامكان العاهرات الميتات أن يدفعن ؟ هل تظنهم أنهم سيفلتونك ؟ اذا كنت قد اكتفيت بالعدد الذي شنقته من الناس ثم قلت : « صحيح تعال ياميكالماس حواء (*) ، سوف الغي طقس القتل ، لقد قررت أنه خطأ اخلاقي ، وعليك أن تهنئني على موقفي الاخلاقي الرفيع » ؟ هل تتصور أنهم لن يوقفوك ؟ الساعة الثامنة لك نزهة يا ولد . السجين تناول إفطار طيبا . املأ الثقب بالكلس اذا . لا . انه طاغية لطخت يداه بالدم ، أختم كلامي . وسأقتل ابن الحرام العجوز . دي دي .

العجـوز : وهكذا ستتلطخ يداك بالدم ايضا .

الشـاب : من أجل قضية نبيلة . إعطِ الطلقة العاشرة مـن طلقاتـك للديكتاتور الذي يحتاجها . في عيـد الميلاد هذا جهـز مكانا فارغا للطاغية واطلق النار على المكان حتى يمتلىء بالثقوب ، أيها الاخوة في الانسانية . نعم للعمال . أولاد الحرام الجهلة . انهم سيجنون كـل المكتسبات . انت تعلمين . الحريـة ، التحرر ، العلم ، حرية الكلام حين لا يكون ضروريا . اجتماعات حين لا تكون ضرورية . دين بلا ممارسة . التحرر من الجوع عندما يكون مرغوبا من الناحية الاقتصادية . حرية الانتقال ،

(*) ميكالماس حـواء : اسـم الشـاب .

حرية الحركة : حرية أمماء جديدة للمسالك الطبيعيـة . الحرية أن يرفعوا رؤوسهم عاليا في الاخوة الانسانية . تسلق العمال الدائم للمناصب نحو الحكومة حيث يستطيع العامـل أن يرفع رأسه باسم الاخوة . ذاك ما سيجنيه العمال .

العجـوز :سوف يكون لهم ديكتاتور جديـد .

الشــاب : هذه مشكلة أيضا . أولاد الحرام لن يعرفوا كيف يحكمون انفسهم بأي شـكل .

العجـوز : والحكومـات ؟

الشــاب : انـت متشـائمة .

العجـوز : انا امـراة مسـنة .

الشــاب : بل ماذا ساكسب انا ؟ المـوت . الشهادة . الموت تحت نـار الرشاش من طراز اللؤلؤة الذي يحمله حارسه الشخصي . ماذا أكسب ؟ ربما تمثالا من النظام الجديد .

العجـوز : ليس له حارس شخصي .

الشــاب : ابن الحرام الماكر . انه عميق . عميق جدا .

العجـوز : اذآ كيف سيقتلونك ؟

الشــاب : هل تعتقدين انني ساحصل على تمثال ؟ بعد أن أسقط تحت وابل مهلك من رصاص رشـاشه ؟

العجـوز : لماذا لا تتركني وشـاني ؟

(يبـدا بحمـل بندقيتـه) .

الشــاب : يجب أن أسـتعد . انت لا تستطيعين ان تكـوني مستعدة تمامـا .

العجـوز : هذا ما قلته في كل أيام الخميس الماضية التي اشغلتها .

الشـاب : لم تكـن الفلطة غلطتي . أليس كذلك . هل كانت غلطتـي عندما جاء الرجل من أجل الفاز في أول خميس .

العجـوز : ما كان يجب أن تأذن له بالدخول .

الشـاب : هل كان ذلك لائقا ؟ أتركه يطرق وحسب ؟ أنا أفعل ذلـك من أجل العمال ، أليس كذلك ؟ كيف لي أن أترك ذلك العامل على الباب ليدق فقط ؟ أتركه ينصرف ؟ هكذا يمكنني أن أحس بالمتعة في القتل الـ ..... ليست متعة ! واجب . هكـذا يمكنني أن أقوم بواجب قتـل الطاغية ذي الايدي الملطخـة بالدمـاء .

العجـوز : لقد الغى عقوبة الاعـدام .

الشـاب : ابن الحرام . كان خائفا أن يلقى عليه القبض هو نفســه . كيف يمكنك أن تستمتع بالحياة ما لم تستطع مواجهة الموت ؟ البعض يفضلون الموت ، لكن ثمة شيء يجب أن يقال حـول الغيرية في جعل بعضهم يواجه موته غرضا . سيجارة ، ـ يا أعمى لا أريد واحدة . لعنة الله عليك . هذا ما استطعت أن أصرخ به على انباب في وجه بائع الفاز . صرخت « لا أريد سيجارة اللعنة عليك . ولعله اعتقد أنني كنت مع خليلتي . ربما فر" بعيدا . كان يمكن أن تطلق عليه النار . هذا ما يحصل دائما . لعل لديه أطفالا ، كيف يمكنني أن اسمح باطلاق النار على هذا الزوج والاب الطيب ، لانني أريد أن انقذهم جميعا من أن يكونوا أرضا تحت الاعقاب الحديدية للطاغية ؟

العجـوز : ربما لا يزال عازبا .

الشـاب : لا يمكنني أن أعرف ، أليس كذلك ؟

العجـوز يمكن أن تسـأل .

الشـاب : كيف لي أن أعلـم ما اذا كان يقول الحقيقة ؟ لعلـه يلاحق خليلتـي .

العجـوز : جاء من أجل الغاز .

الشـاب : لماذا لم يتركني وحدي . كان بوسعي أن أنجز ذلك وحدي ؟ كان بوسعي أن أنجز ذلك من المرة الاولى . لكن بعد ذلك . كل شيء بـدا . . . .

العجـوز : وفي الاسبوع التالي كان الطرد البريدي المسجل .

الشـاب : كان بوسعي أن أقول : « لا أريد منك غـازا . كان هـذا أسبوعي لكي أقول « نعم » للحيـاة » .

العجـوز : والاسبوع الذي تلاه كان اسبوع الرجل صاحب الموسوعة .

الشـاب : وعلى أي حال ما الخطأ الذي حصل ، ايه ؟ لماذا لم يستطع هؤلاء العمال أن يعملوا أي شيء للعمل البتة ؟ ألا يستطيعون صنع مدفأة غاز جيدة . أنت تحشر أنفك في الامور فقط . وتهاجم . ثم تشعر بالالم في ركبتيك . ورحت تتساءل ما اذا كان يجب أن تخلع حذاءك لان نعل الحذاء سيترك أثراً على المشمع في أرض الغرفة .

العجـوز : والخميس الذي تلاه لم تستطع أن تضمن سلامة البندقية .

الشـاب : وأنت كنت قد بدأت تشمين رائحة الغاز جيدا ، وتشعرين بالسرور لانك لا تتحسسين منه .

العجوز : والاسبوع الذي جاء بعده ، كنت تعتقد أن شعبيته في الحضيض لانه رفع ضرائب البيرة .

الشاب : وانت لا تعبأين اذا كنت فد تركت المكواة تعمل أم لا . . .

العجوز : وبعد ذلك جاءت صفحة التنجيم . . . .

الشاب : بدات أنت تستمتعين بذلك ، وابن الحرام يهاجمك .

العجوز : والاسبوع الذي تلاه ، كنت تعاني من الم الاسنان .

الشاب : وما علاقتك بذلك ؟

العجوز : أيام الخميس أيامي . وانت لا تتركيني وحدي . والنافذة نافذتي .

الشاب : ما النافذة ؟ مجرد مساحة من الهواء في الجدار ؟ لماذا ؟ لعل ذلك الهواء سيكون في جداري يوما من الايام .

العجوز : لماذا لا تستعمل نافذتك اذن ؟

الشاب : نافذتي في الجدار المعاكس . جدارك يمنعك من رؤية الشارع الذي يمر فيه موكبه يوم الخميس . أما جداري فانه يمنعني فقط من رؤية شارع لا يمر موكبه فيه .

العجوز : كلا الجدارين يمنعانك من رؤيته .

الشاب : انا لا أعبأ بالجدران . زخة واحدة وتتهاوى كل الجدران . انها النوافذ . نظامه هو نظام الجدران . أما نظامي فسيكون نظام النوافذ .

العجوز : سوف تكون ميتا .

الشاب : سيكون التمثال هو المفكر .

العجوز : هل سيرغب في نظام نوافذ ؟

الشاب : بدأت تعطين للتمثال قيمة . يجب أن تفكري بالتمثال . الاجيال القادمة . يجب أن تفكري بها .

العجوز : ليست التماثيل هي الاجيال القادمة .

الشاب : من انت كي تحكمي ؟ التمثال سيكون تمثالي . انه ذريتي .

العجوز : قد لا تحصل على تمثال .

الشاب : أموت بلا قضية ؟

العجوز : بقضية أو بلا قضية ، سوف تكون ميتا .

الشاب : ليست تلك المسألة .

العجوز : هذه المسألة وحسب !

الشاب : ماذا تقصدين بقولك « رجل عظيم ، لكن ليس صالحا تماما في الفراش ؟ »

العجوز : كنت أفكر عندما كان في طريقه الى ذلك .

الشاب : الرجل الذي يواجه الموت كل خميس ليس لديه اهتمام بالامور المبتذلة .

العجوز : لقد واجهت الموت مرة واحدة فقط . وفي كل المرات الاخرى كنت تواجه نفسك ؟

الشاب : وما المقصود من ذلك ؟

العجوز : يفترض انه يعني أنك لم تواجه الموت سوى مرة واحدة . اما في المرات الاخرى جميعا فقد كنت تواجه نفسك .

الشاب : كنت أعتقد أن كل عظماء الرجال كانوا جيدين في الفراش .

العجـوز : لا . الجيـدون في الفراش هم وحدهم الجيدون .

الشـاب : يا الهـي .

العجـوز : حتى الآن لم تتمكن من التاكد من ذلك .

الشـاب : هذا لن يكون ذا شأن . هذا الخميس سأجهز عليه . دي . دي . دي دي .

العجـوز : ليس ثمـة ضمانات .

الشـاب : ثم أن هناك حارسه الشخصي المخبول المتعصب .

العجـوز : أو بالاحرى ربمالا توجد أية ضمانات .

الشـاب : ولا أيام خميس .

العجـوز : ماذا سيكون اليوم ؟

الشـاب : ولا بقية من أيام الخميس .

العجـوز : عـذرا . مـاذا سيكون ؟

الشـاب : أعلم أنك نمت معه . كفي عن قذف دماغي بذلك ، ممكن ؟

العجـوز : رجـل" عظيم . سياسي . ليس كالرجل الذي تزوجت .

الشـاب : اعلم أنك نمت معه أيضا . كفي عن رمي رأسي بذلك .

العجـوز : لم أقل أنني نمت مع الرجل الذي تزوجت منه البتة .

الشـاب : لا تريدين أن تقولي . بوسعي أن اراك تفكرين بذلك . طوال الوقت . فكري . فكري . فكري . مضاجعة قبل الزواج ذلك سبب المشكلة برمتها . يجب أن يكون هناك قانون . على الحكومة أن تفعل شيئا . كـل إثنين متزوجان يتناسـلان وحسب . فلة أدب . ليحاول شخص واحد على الاقل الا

ينجب اطفالا . لماذا لم تأخذي حبة مانع . آه ، لمـاذا لـم تأخذينهـا .

العجـوز : لم يكن لدي حبـة .

الشـاب : كان بوسعك أن تنتظري ، لماذا لم تنتظري . عند ذلك مـا كنت لتحتاجينها ، إن تعدي من الواحد الى المئة وتأخذي دشا من الماء البارد فسينتهي الامر . هذا لا ينفع ، حتما . حسني طريقتك في الحساب اذن . هل تريدين قائمة ؟ قائمة بأسماء الذين تلاشوا بسبب المضاجعة قبل الزواج . هتلر ، واحد . الدكتور كريبن . لا تقولي لي سيخوتزر . كم عروسا انعش في الحمام من قبل آه ؟ جوداس ابن زواج شرعي حقيقي، انا اراهن . لا تقولي لي القديس فرانسيس قديس اسيسي يا سيدتي . تكلم مع الطير ، اليس كذلك ؟ انا أتساءل ما اذا كانت الطيور قد حكت له قط عن الاطفال الذين يموتون في الزوايا من مرض الجدري ؟ أما كان عليه أن يخرج محاولا ان ينجب من أجل إدوارد جينر ؟ لا لم يكن عليه عمل ذلك ، لو سمحت قول هذه العبارة :، كان له طرف العصا تمامـا . يختار من بين كل الاعمال . إدوارد جينر . جينكيز خان . كل ذلك يحدث في الظلام ، كيف له أن يعلم ؟ تلدين إنسانين وكل ما تحصلين عليه هو إنسان واحد . لقد جربنا ذلك . وجربنا أحيانا شيئا آخـر .

العجـوز : جميل ، ومع ذلك أليس جميلا ؟

الشـاب : كيف لك أن تعرفي وانت مسنة جدا ؟

العجـوز : قد يكون وبشكل احصائي انني استمتعت برعشـة الجماع أكثر من د. هـ. لورانس ورودولف فالينتينو مجتمعين .

الشـاب : ما هذه الفكرة الثورية ؟

العجـوز : لا ثورية ولا غير ثورية . انه مجرد احتمال احصائي .

الشـاب : إذاً احتمال إحصائي ثوري .

(طـرق على البـاب . يحدق كل منهما بالباب ، لا أحـد يتحرك . توقف)

الشـاب : كنت أعلم ان هذا سيحصل ؟

العجـوز : مـاذا ؟

الشـاب : هـذا .

العجـوز : مـاذا .

الشـاب : هذا الطرق **(يصبح الطرق الآن مدويا)**

العجـوز : هناك طرق ، أليس كذلك ؟

الشـاب : كنت أعلم أنه سيحصل .

العجـوز : مـاذا سيحصل ؟

الشـاب : اقصد ، التوقف عن الاغتيـال .

الشـيخ : اسمحا لي بالدخـول .

العجـوز : مـن هـذا ؟

الشـاب : زوجك . على الارجح .

العجـوز : اسـأله .

الشــاب : هل من المرجح ان تكون زوجها ؟

الشـيخ : لا احب السؤال على هذا النحو .

الشــاب : لا يجيب .

العجـوز : انه زوجي . انه دائما لا يجيب على السؤال بهذه الطريقــة . حبــذا لو تدخلــه .

(يمشي نحو الباب ويدخل الشيخ . مع الرجل حزمة ورق . يقوم الورق بدور سيء باخفائه في الداخل بندقية ذات مناظير تيلسكوبية .)

الشــاب : طاب يومــك يا والــدي .

الشـيخ : طــاب يومــك يا بنــي .

العجـوز : يقول إنه سيرمي والده بالرصاص .

الشـيخ : يقول ذلــك كل خميس .

العجـوز : يقول إنه جاد هذه المرة . يصاب بالمرض من رؤية والديــه أيام الخميس . لذا سيقتل والده . لا يريد أن يرانا ابدا .

الشـيخ : آه . حسـن . نعم الخلاص .

الشــاب : مــاذا معك في هذه الرزمة يا والــدي .

الشـيخ : آه . بندقية . سأقتل والــدك .

الشــاب : لا تستطيع ، فأنا ســأقتله .

الشـيخ : كان عليك أن تفعل ذلك عندما أتيحت لك الفرصة يا بني . الآن دور الشيخ .

الشاب : لكن لا تستطيع ذلك . زناد بندقيتي جاهز . ما الذي سأفعله بها اذا قتلته أنت ؟

الشيخ : هل ترهنها مقابل بعض الجنيهات . بارودة جميلة .

الشاب : لكن لا اريد ان أرهنها . ليست المسألة مسألة نقود . انها مسألة مبادىء .

الشيخ : حسن . احتفظ بها . اقتل الديكتاتور التالي .

الشاب : لكنني لا أريد الديكتاتور التالي . أريد هذا الديكتاتور .

الشيخ : آه . كلهم سواء . لن تجني من الديكتاتور التالي أكثر مما جنيت من هذا .

الشاب : لا . لا . لا . ليس الامر واحدا . اقصد أن التالي لن يكون والدي ، اليس كذلك ؟

الشيخ : كيف تعرف ؟

الشاب : حسن ، ذلك غير ممكن ، اقصد هذا الديكتاتور هو .

الشيخ : ليس لدينا حول هذا الموضوع سوى كلام والدتك .

العجوز : لا أريد كلاما بذيئا في هذا البيت . أي كلمة . فلتقتلاه كلاكما في هذا الشارع .

الشيخ : إن لدي مبررات لقتله ، وعلى اي حال ، فان والدتك تريد ان تعود للاستمتاع بأيام خميس هادئة .

الشاب : ما هي مبرراتك ؟

الشيخ : حسن . لقد اغتصب والدتك .

العجوز : هه ! اغتصبها !

الشيـخ : كنت احاول الآن ان اتحاشى إيذاء شعور الجميع يا عزيزتي . لم اكن أتمنى لهـذا الشاب أن يعتقد أنـه ولد بأي شـكل الا بمصادفـة مشـؤومة .

الشـاب : لكن لا تستطيع يا والدي أن تقتله لانه أغتصب امي . هـذا مجرد شأن شخصي . ستصبح جريمة مبتذلة وحتى تكـون اغتيالا فيجب أن تنفذ على أساس مبادىء أخلاقية تماما مثل الحـرب .

الشيـخ : حسن . اذا كنت تريد قتله من أجل مبادىء أخلاقية يا بني فسأقتله لانه خان الثورة .

الشـاب : من أجل هذا سأقتله أنا . ماذا تعرف عن الثورة ؟

الشيـخ : ناضلت فيهـا .

الشـاب : هذا ما اقصده بالضبط . أما انا فقد درستها . ولا شـك أنني فخور جدا بأن اسمك في الكتب يا والدي . رغم أنـك لا تعرف الشيء الكثير عنها . أنا اعرف . وأعرف لمـاذا أقتله .

الشيـخ : وهذا ما افعله أنا . لقد خان الثورة .

الشـاب : ذلك ليس سببا . ذلك شـعار . أنا أعرف ما يبرر قتله .

الشيـخ : حسن . لماذا لم تنفذ الخميس الماضي ؟

الشـاب : كان النور ضعيفا .

الشيـخ : حسن . هل تنوي أن تنفذ اليوم ؟

الشـاب : أجـل .

الشيـخ : لمـاذا ؟

الشـاب : لقد خان الثورة .

العجـوز : رجل عظيم .

الشـاب : والدي ، هل تسمح ان ارى بندقيتك الجديدة ؟

الشيـخ : أجل . الم تكن مهمتي ان اجلبها ؟ ليس من اليسير شراءبنادق ذات مناظير تيلسكوبية أيام الموكب في هذه الاوقات .

الشـاب : كم كنت بارعا . أحضرت بندقيتي يوم الاربعاء .

العجـوز : محتمـل .

(يكشف الشاب عن البندقية ، يصوبها خارج النافذة)

الشيـخ : الحذر ! قد تؤذي . . أحدا .

الشـاب : دي . دي‌دي .

الشيـخ : عنيف . كل عمرك عنيف . كلكـم عنيفون يا أولاد . كـل ما عندكم جنس سهل وسيارات وضجيج وعنف ، جنس سهل . . وعنف . تريد قتله لانك سوف تتلذذ بذلك . لانك عنيف .

(يتمايل الشاب في الغرفة ، ببرود في البداية ، ينخر ، لكنه يزداد غضبا ، ثم تفتر عزيمته) .

الشـاب : عنيفون ؟ نحن عنيفون ؟ قل لي ماذا بدا منا ايضا يا والدي ؟ ماذا راينا ايضـا ، ايه ؟ المراهقـون اعطوا الاوامر بقصف هيروشيما آه ؟ « جميعكم أولاد » . « كلكم هكذا عنيفون » لقد كنت ولدا عنيفا ، اليس كذلك يا والدي ؟ خلال الحرب في الثورة كنتم تذبحون الشخص من الوريد الى الوريد . من الذي قال لكم أن تقطعوا اعناق الناس يا والدي ؟ هل هـم المراهقون ؟ أو ابن حرام عجوز له شاربان وهو على حافـة

قبره ؟ قل يا والدي ؟ نعم ، تكلم ؟ من الــذي كان مفتونا بقصف المناطق في المانيا ؟ من اكتشف القنابل الطائرة اتقصف انكلترا ؟ من الذي قال ان مقابل كل قنبلة تسقط على اطفالنا سنسقط عشرا علىاط فالهم ؟ هل كان مراهقا حقيرا ساذج الوجه ؟ قل يا والدي قل ؟ أنت تعلم لماذا قلت اننا عنيفون. لان بعضنا قد استيقظ من سباته عليكم ؟ لن أضرب ذبابـة من اجلك ولا من أجل انسان في سنك ؟ لكنني ، اذا كنت مضطرا للدفاع عن نفسي فانني سأقطع رقبة الآلهة. انا لا أقتل اكراما الشيوخ في البرلمان . انا أقتل من أجل نفسي . وهــل تعلم لماذا يا والدي ؟ انكم جميعا من أعلى الخط بدءا بالرجل ذي العصا الذي يقتل بناء على زعم الطبيبة العرافة مرورا بأولاد الحرام الفقراء العجزة الذين يبصقـون الحـراب في ما يسميه مطران متحمس حربا عادلة ، نزولا الى أسفل الخط. كان هناك اولاد يقتلون . هذه هي المسألة وحسب . بسبب تلك القنبلة . اذا أخفقنا بذلك ، فان ... هذا ... الجيل الذي ... يلتقط ... الـ ... شيك ، هــذا ما يجعلني لا أصغى لشخص الا لنفسي . وانا لا أقتــل الا من أجــل نفسي . انني سأقتل ذلك الرجـل في السيـارة . اذا كان النور جيدا ولم يأت بائع الغاز .

(يناول البندقية الى الشيخ ، يركع الى جانب العجوز . ويضع رأسه في حضنها . يأخذ الشيخ بالتصفير ويحمـل البندقيـة) .

أمي انا أحبك كثيرا جدا .

العجـوز : انه لا يجيبني .

الشيـخ : لم يجب البتـة .

الشـاب : هل صحيح انك استمتعت برعشات تفوق د. هـ لورانس وفالنتينو معا ؟

الشيـخ : دي. دي. ديدي اليوم سأقتله . أقتل ابن الحرام .

الشـاب : جاءت فرصتك .

الشيـخ : وجاءتك فرصتك أيضا .

الشـاب : لا أستطيع تحمل مسؤولية ذلك .

الشيـخ : من يتحدث عن المسؤولية ؟ أنا اتحدث عن العدالة .

الشـاب : لا تستطيع أن تتحدث عن العدالة عندما تريد أن تقتله بسبب علاقته بوالدتي .

العجـوز : أنت مثله . ألا تعلم ؟.

الشيـخ : الامر ليس مجرد امر أمرأة . اريد الا تفكر كذلك . ثمة أشياء أخـرى .

العجـوز : شعرك مثل شعره . عندما كان له شعر .

الشيـخ : أعرفه منذ كان طفلا . كنا نركض معا في التلال ... كانت دائما مشمسة .

الشـاب : الطغاة لم يكونوا أطفالا قط .

العجـوز : شيء مضحك وماذا عن الشعر . بعضهم نجح في ان يحتفظ به

الشـاب : لقد ولدوا ولكل منهم أوسمة وذقنان .

العجـوز : بعضهم يحتال ، هو لم يفعل ذلك .

الشيـخ : في التلال . كان يشم رائحة الاشجار كلها . كان صيادا ماهرا . جميلا بالبندقية . أرسلوه الى الجامعة . لكنني لا زلت أتذكره .

الشـاب : وذراعان صلبان مستقيمان وقبعات عريضة .

العجـوز : كانت لديه سابقا طبعا . لكن كان في شعره شيب .

الشيـخ : اجتماعات الحزب ، أنت تعرف . لازلت أتذكره .

الشـاب : انها تتحول الى رمز لخضوع الشعبة ، والرمز يلتهم الشباب. لم يكن لدى الشاب فرصة البتة فكانت الغلبة للرمز .

الشيـخ : هكذا كان والدك يتكلم في الاجتماعات الحزبية .

العجـوز : لم يكن له اية فائدة .

الشـاب : ربما كان كذلك سابقا . كان يؤمن بالشعب سابقا .

العجـوز : في الفراش .

الشيـخ : ما هكذا يحكم على الرجل . كان رجلا عظيما . أتذكر اليوم الذي قادنا فيه عبر التلال . كان رجلا عظيما . تكلم الينا ، كان يعرف كيف يتكلم الينا عندئذ ، وقال اشياء عظيمة : كيف يجب أن يقتل الطاغية الملطخة يداه بالدم ، كيف على الشعب ، على العمال أن يجدوا مكانهم في العالم الذي كنا سنخلقه . والسنوات في الجبال . كان أقوى من أي واحد فينا . يقطع مسافات طويلة دون طعام . كانت طلقته لا تخطىء كان يحارب بقوة ويؤمن بقوة . ولعل ايمانه كان أقوى بكثير ايضا . السنوات بين الجبال . يا لها من سنوات طيبة . السنوات التي كنا فيها وحدنا فقط . والتلال ورائحة

الاشجار ، وكنا نستيقظ وأفواهنا نظيفة والحديث . الحديث الطيب . السنوات الطاهرة عندما كنا نتبادل الآراء ، الثورة التي ستضيع . الثورة دائما أولا ، والطريقة التي كان يتحدث بها . كم كان ذلك جميلا في المعسكر . بين كل روائح الاشجار حيث كنا نذهب عندما كنا اطفالا . ويوم الخميس رفعنـا العلم ، وسرنا . والخميس الذي حصل فيه القتال. والخميس الذي قتلنا فيه الطاغية الملطخة يداه بالدماء . واليوم ذاته الذي فيه صنعنا منه ديكتاتورا . حتى الدستور . والذكرى الاولى عندما خان ال ... خان السنوات الطاهرة . عنـدما اجرى ذلك الاقتراع . هو . قائدنا. يستجدي الناس اصواتهم ويتقبلهم . وهكذا كانت جميع الانتخابات منذ ذلك الوقت . كان رجلا عظيما لكنه خان الثورة . السنوات الطاهرة . لكنه كان رجلا عظيما ، أما انت فلا تستطيعين الحكم على عظمـاء الرجال من خلال ما يفعلون في الفراش .

العجـوز : انا أفعل ذلك .

الشـاب : أحبك يا أمي .

الشيـخ : هو لا يحببني .

الشـاب : هل تحببني يا أمي ؟ هل تحببني ؟

العجـوز : ماذا تحب أنت ؟

الشيـخ : الشباب لا يحبون شيئا .

الشـاب : الشباب لا يحبون شيئا .

العجـوز : هو لا يحببني . انا احب والدك . لم يكن فيه عيب . كـان يتكلم طوال الوقت . لا شيء . انا احبه .

الشيــخ : أنا أحبه . كان يتكلم طوال الوقت ، طوال تلك السنــوات الطاهرة . كنا جميعا نؤمن ونحب عندئذ . ماذا تحب انت ؟ بماذا تؤمن ؟ لماذا لم تصعد الى الجبال ، وتحب ، وتؤمن ، ثم اقتله . تصرف بشكل لائق .

الشــاب : لقد شرحت ذلك . انا افعل ذلك من أجل نفســي ، علي أن أقتله اليوم . الخميس القادم ربما بائع الغاز . . . .

الشيــخ : لكن لماذا لم تبدأ ثورة أصيلة ؟ قم بها بشكل لائق تصعد الى هناك لتقتله بنفسك . انه لامر رهيب مثل الاستمناء . انك لا تفعل ذلك من أجل أي شيء . انك مجرد قاتــل .

الشــاب : (ينهض) لقد أوضحت . من أجلي . من أجل الشعب . دي دي . من أجل العمال .

الشيــخ : كيف لنا أن نعرف ذلك ؟ كيف لنا أن نعرف أنك تقتله مــن أجل العمال ؟ هل تنتمي الى حزب ؟ هل لديك منهج ؟ هــل تؤمن بأي شــيء ؟

الشــاب : أوضحت . أنا . العمال .

الشيــخ : ارني بطاقتــك اذن .

الشــاب : أنا لســت منتميا .

الشيــخ : ارني بطاقتــك .

الشــاب : ليس لدي بطاقــة .

الشيــخ : بلا بطاقة ؟ كلمة السر اذن ؟ كان لدينا كلمة سر في الجبال . قل لي كلمة الســر .

الشــاب : ليس لدي شــيء .

الشيخ : تلك ليست كلمة السر . لا بطاقة ، لا كلمة سر . من هو زعيم حزبك ؟ أعدم ، نائبه ، ممر النجاة ، الشيفرة ، الاتصال . ألتقي بك في كهف القط الاسود الساعة الواحدة وسبع دقائق وقد أحمل لك معي شيئا . إحضر اثنين نوع بيرنود ، وقرنفلة بيضاء في عروة سترتك ، خذ الاوراق عبر الحدود الى بوريس عند الساعة السابعة عشرة ، والا فان عددا من خيرة الرجال لن يروا شروق الشمس في الساعة العشرين . أقسم بأنك تؤيد الحزب ، القضية فوق النفس . الموت للطاغية . نعم للشعب .

الشاب : ليس لدي شيء .

الشيخ : قد يكون الانضمام الى حزب سياسي مصدر قلق . هل هي المشكلة ؟ غير واع سياسيا ؟ هل هذه المشكلة ؟ اذا لم تنضم الى حزب سياسي فان عليك الا تلوم سوى نفسك هذا اذا كان الجهاز السياسي للحزب مما لا يروق لك .

الشاب : انه ليس كما أشاء .

الشيخ : حسن . شكل حزبا . اعقد اجتماعا لحزب لتتخلص من جهاز الحزب . انها الطريقة الوحيدة التي يصفون اليك بها .

الشاب : من سيصفى ؟

الشيخ : الاحزاب .

الشاب : رشقة رصاص واحدة ، عندئذ يصفي الجميع .

الشيخ : الى قاتل ؟

الشاب : سفاك .

الشـيخ : أرني بطاقتك الحزبية . رأني أسرع .

الشـاب : أنت تعلم انه ليس لدي بطاقـة .

الشـيخ : أعلم أن ليس لديك واحدة . لكن كيف تعلم انني أعرف أن ليس لديـك بطاقة ؟ أرني !

الشـاب : ليس لـدي .

الشـيخ : هكذا تقول . حسن ، قد لا يكون لديك بطاقة . وربما لا يعني ذلك سوى انك أتلفتها . هل ثمة شيء أسوأ من إتلاف شهادة المعمودية ، أتفهم ، انها لا تلغي تعميدك . . .

العجـوز : دعني وشـأني .

الشـيخ : أو إتلاف شـهادة الميلاد ، انك لا تعـود الى الرحم بهـذه الطريقـة . . .

الشـاب : أتفهم ، والدتي تقول دعني وشأني .

العجـوز : هي تقول ان تتركها هي وشأنها .

الشـيخ : لعلك تنتمي الى حزب سياسي دون أن تـدري . لعـل كل الناس مثلك . هذا صحيح تماما .

العجـوز : كـلا كمـا .

الشـاب : لا أدري .

الشـيخ : لكن اذا كنت من قبيل المصادفة لا تنتمي الى حزب فانـك لا تستطيع أن تغتالـه .

الشـاب : لمـاذا ؟

الشـيخ : الانسان الذي لا ينتمي الى حزب لا يمكنه أن يحمل أفكارا سياسية . الحزب يضمن المبرر . واذا لم يكن لديـك آراء سياسية فلن تكون العملية سوى مجرد جريمة .

الشـــاب : لكـن لـدي ....

الشـيخ : الحزب مثل الجيش . إن لم تكن تابعا للجيش يصبح القتل جريمـة .

الشـــاب : لدي فعلا آراء في السياسة .

الشـيخ : أقصد أن الاساقفة لا يستطيعون ايجاد وجه لتأييد عدالـة أي نوع من القتل .

الشـــاب : ولكنني لا أدري لماذا يجب أن أكون في حزب سباسي ليكون لدي أفكـار سياسية .

الشـيخ : لان الحزب هو الذي يضع العقيـدة السياسية والعقيـدة توجد فقط مع وجود الحزب .

العجـوز : هل تقول إن الناس في الاحزاب السياسية لديهم آراء .

الشـيخ : ربما لا .

العجـوز : حسـن .

الشـيخ : لكنـه ليس عضوا في حـزب .

العجـوز : آه .

الشـيخ : لماذا لا تنضم الى الثورة يا بني ؟

الشـــاب : لـن أنضـم .

الشـيخ : تابـع ، لـم لا ؟

الشـاب : لا .

الشـيخ : الثـورة خـير .

الشـاب : لا .

الشـيخ : هناك حية مليئة بالمغامرة تنتظرك أنت في الثورة الجديـدة يا بني . أسلوب الثورة الجديد آلي تماما ، وتقدم لك حياة في الهواء الطلق مع الكثير من فرص التقدم ، تتعلم مهنة ، ترى أماكن جديدة ، تتعرف على أصدقاء جدد . لماذا لا تناقش الامر مع صديقك قائد الخلية المجاورة هذه الليلة ؟

الشـاب : هو لا يجيبني يا أمـي .

العجـوز : هو لم يجب ابدا .

الشـاب : هو لا يفهمني . انضـم انت الى حـزب سياسي . اغتـل الديكتاتور . علامَ حصلت ؟ ديكتاتورٍ آخـر . اذا لم تنضم الآن الى حزب سياسي فانك تقتل الديكتاتور اغتيالا . علامَ تحصـل ؟

العجـوز : ديكتاتور آخـر .

الشـاب : المـوت تحت وابل مـن رصاص رشـاش . نعم للشعب . العمـال . التمثـال .

العجـوز : من الدكتاتور التالي .

الشـاب : الا يمكن التعبير .

العجـوز : أجل . ستغدو الامور أكثر سوءا .

الشـاب : معقـول ؟

العجـوز : ربما . هكذا كانت على الدوام . مرة كان يحكم دبكتاتور وكنت في السابعة عشرة من العمر . كانت الاحوال جيدة وقتها . وما كنت لأموت في ذلك الحين . وجاء الديكتاتور التالي ، وفي غضون ذلك كان يمكن أن أموت في يوم من الايام . لقـد خفض الضرائب لكنني لا زلت أذكر أنني كنت أود أن أموت يوما ما . وسارت الامور من سيء الى أسوأ . الديكتاتـور التالي كان والدك . الامور تتجه دوما نحو الأسوأ .

الشـاب : الديكتاتور السابق خفض الضرائب ؟

العجـوز : خفض أو رفع لا فرق .

الشـاب : لماذا قتلته حينذاك يا والدي ؟

الشـيخ : كان عـدوا للثـورة .

الشـاب : خفض الضرائب .

الشـيخ : خفض أو رفع لا فرق . القضية لم تكن قضية مال . قضية مبدأ . لم نكن مرتزقة . كنا ننشـد العدالـة ، الحريـة ، المسـاواة .

العجـوز : أعطاكم كل ذلك حتى النهاية ، العدالة ، الحرية ، المساواة ، حتى اتخمنا بهـا .

الشـيخ : فقط لأنه كان مكرها على ذلك . كان يخاف منا ، هناك عاليا كان الوطنيون في التلال . كان خائفا . لكن المواطنين لم يكونوا ليشـنروا . . . .

العجـوز : الناس لم يكونوا مبالين . كانوا يريدون أن يتركوا وشأنهم . كان لا ينفك يتحدث عن العدالة . أما الناس فكانوا يريدون ان يتركوا وشـأنهم .

الشـيخ : لم يكونوا ليشتروا . كان الجبـان يخشانا . طاهرون وفي التلال . حاول أن يشتري الشعب باسم العدالة والحريـة والمساواة . لكنهم رفضوا أن يبيعوا أنفسهم الى جبان ، كان يعطي الناس كلمات ليكسب ودهم . أي صنف من الرجال كان هذا الزعيم ؟ كيف يمكنك أن تحترم رجلا من هذا القبيل ؟

العجـوز : لم يكونوا يفكرون به . كانوا يريدون أن يتركوا وشأنهم .

الشـيخ : هو ، الذي حارب من أجل الثـورة .

الشـاب : مـن ؟

العجـوز : الذي كان قبل والدك .

الشـاب : الثـورة .... ؟

العجـوز : الديكتاتـور .

الشـيخ : الطاغية الملطخة يداه بالدماء . لذلك قطعنا رقبته . خليلته قطعنـا رقبتهـا أيضـا .

الشـاب : خليلته . هل كانت شـابة ؟

الشـيخ : كان يبدو ان هذا افضل شيء في ذلك الوقت .

الشـاب : لم ترد في كتب التاريـخ .

الشـيخ : كانت الفوضى تسود كل شيء تقريبا ، حكومة إقليمية . زمر الاعـلام رميا بالرصاص . صراخ ، صخب كـل شيء كـان مضطربـا .

العجـوز : يقصد انهم لم يكونوا متأكدين ما اذا كانت هي خليلته أم لا .

الشـيخ : انت تعرفين كيف كانت الامور .... لا . لم يكن ذلك عادلا تماما . ليس عادلا أبدا . نحن كنا .... ، كان بعضنا لطيفا حتما .... انت تعلم الوضع ، حكومات محلية .... لكن كان هناك مبررا معقولا للشك . كان يمكن لها بسهولة ، انت تعرف . لم يكن هناك أدنى دليل يوحي بأنها كانت خليلتـه .

الشـاب : هل كانت شـابة ؟

الشـيخ : شابة صغيرة ، على ما أعتقد . صغيرة .

العجـوز : كانت في السادسة عشرة .

الشـيخ : هذا ما جعل الامر يبدو وحشيا الى حد ما . إن له طعمـا مرا في الفم . لم يكن الامر مقبولا بهذا الشكل أبدا . ربمـا كانت خليلتـه ومـن الممكن أنها لم تكن . ومن المؤكد أنهـا اعتبرت خليلته حين قتلت . وهذا لا يعيب فتاة فلاحة في السادسـة عشـرة من عمرها . لا يعيبها أن تعتبر خليلـة لرئيس الدولـة .

الشـاب : لكن ثمـة احتمالا انها لم تكن كذلك .

الشـيخ : حتما . ربما لم تكن . لكن الا تلاحظ انه ليس تمة اي غرض في الدوران حول القول « نحن قطعنا رقبـة فتاة فلاحـة في السادسة عشرة قد لا تكون خليلة الديكتاتور » . ربما يكـون ما تقوله هو الحقيقة ، لكن في الثورة وفي ذروة الزخم المجيد ، اليس من الافضل القول « إن دم الديكتاتور وعاهرته الاجنبية قد عمد تحطيم الاصفاد » ؟ أو شيئا من هذا القبيل ؟ أنـا أقصد ، وفي وقت من الاوقات بدت الامور معقولة اكثر .

الشـاب : هل كانت أجنبيـة ؟

الشـيخ : كان يمكن أن تكون كذلك بسـهولة بالفـة .

الشـاب : بل ربما كانت بريئة .

العجـوز : محتمـل .

الشـاب : بريئـة !

الشـيخ : هو لا يجينـي أبـدا .

العجـوز : لم يجب قط .

الشـاب : أترى الآن لماذا لن انضم الى حزبك ؟ هل ترى الآن ؟ الاحزاب تنشر الآثام ، ولا تعبأ بما يحدث . يمكنك أن تقتـل الفتيات دون أن تبـالي .

الشـيخ : قتلنا فتـاة لكننا انقذنا شـعبا .

الشـاب : هو لا يجيبنـي .

الشـيخ : ماذا كان لنا أن نفعل بها غير ذلك ؟

الشـاب : كان بوسعي أن أجد شيئا . ثمة شيء دائما لفتاة في السادسة عشـرة . . .

العجـوز : لو عاشت لكانت عجوزا الآن .

الشـاب : هذا غير مهم .

العجـوز : بل هذا هو الاهم .

الشـاب : لكن أنا ، سأحمل إثمي بنفسي . لقد تركته يعيش ، هـذا الاب ، لذا فان الإثم إثمي . لهذا السبب سأقتله . وسأتحمل وزر ذلك أيضا . إطلاق نار من رشاش . صراخ . نار حامية

من رشاش الحارس المتعصب ، والسقوط اخيرا . طلقة طائرة نستقر تماما حيث سيضعون الصفيحة النحاسية ليظهر حيث سقطت والنظرة الاخيرة والهمسة « من أجل الشعب » سماع أول صيحات الثورة . التمثال . ستكونان فخورين بي . التمثال متى .... لقد تركت صورة لـذا سيمكنهم صنعه بشكل صحيح . على هذا الشكل ....

(يقف وساقاه متباعدتان وقد قذف ذراعين منفرجين الى اعلى . البندقية في يد واحدة . وجهه الى السماء .)

الشيخ : سيبدو مضحكا بالمعطف الرياضي .

الشاب : **(بلا حركة)** في الكنزة ذات العنق لرقصة البولو .

العجوز : ليس لديك كنزة عنق لرقصة البولو .

الشاب : استعرت واحدة . صغيرة قليلا . بلغيهم أن يجعلوها اكبر في التمثال .

العجوز : لم يسبق أن لبست كنزة البولو .

الشاب : **(ينزل يديه)** . انا رابط الجاش هذه المرة .

الشيخ : امك تقصد أن اصدقاءك لن يعرفوك .

العجوز : انا قصدت ما قلت وهو أنه على الارجح لم يرتدِ كنزة البولو إلا عندما اخذت له تلك الصورة .

الشاب : والدي ، سوف تكون هناك علامة مع الاسم .

الشيخ : اعتقد أن الشبه اذا كان شديدا ....

الشاب : تأكد من التمثال ، يا والدي .. الاحزاب لن تفعل ذلك لانني لم انضم اليها قطعا .

الشيـخ : كان ينبغي ان تنضم الى حزب يا بنـي .

الشـاب : لا . هو والدي . أريد أن أستأثر بقتلـه ، لم أكسب منـه شيئا أبدا . اليوم سوف أكسب قتله . من أجل الشعب .

الشيخ : حسن . يفضل أن تفعل ذلك اليوم يا بني . أو سأنفذ أنا . سأمنحك هـذه الفرصة الاخيرة . لكن اقتلـه البوم . وإلا فالخميس القادم . . . .

(يشـير بابهامـه نحو صـدره .)

الشـاب : اليوم . سأقتله اليوم . **(يتجـه نحو النافـذة ويشير الى البندقية)** دي . دي دي . هذا هو اليوم المنشود . الشعب . نعم للشعب .

الشيـخ : أو الخميس القادم . **(يشير بابهامه الى صدره)** .

العجـوز : الخميس . كل خميس . كما لو أن أيام الخميس تنمو على الاشجار . كل هذه الثرثرة حول اب وحسب . لا يتكلم عن امه . أمه لا تستحق الاغتيال . مجرد نافذة يوم الخميس . لا تستحق حتى أن تترك لوحدها .

الشـاب : دي ! دي دي ! سـأقتله اليوم .

العجـوز : أرجـوك .

الشيـخ : او الخميس القادم . . . . **(يشـير بابهامـه الى صـدره)**

العجـوز : اتركاني وحدي وكفى .

(صوت هتاف في الخارج . يتيبس الشاب . يغدو يقظـا تقترب الهتافات . تغدو اقرب . يرفع البندقية . ينزلها . مرة . مرتين ، ثلاث مرات . ثم يبتعد ويمشـي نحو جانب الغرفـة الآخـر .)

الشيخ : ماذا حصل ؟

الشاب : يبدو مسرورا . مسرورا جدا . لا اريد له ان يموت مسرورا .

الشيخ : أعطني تلك الـ . . . .

(يحاول الامساك بالبندقية . يتعاركان عليها . يتشتت الانتباه حين تلتقط المراة بندقية الشيخ وتطلق النار من النافذة . تطلق ثانية . ثم ثالثة . تتوقف الهتافات فجاة .)

الشاب : امي .

العجوز : كنت أريد ان تكون أيام الاحد مثل بقية الايام .

الشاب : لكنه كان عشيقك .

العجوز : لقد أتى الزمن على ذلك . لا أستطيع أن أتذكر .

الشاب : أمي . اذن هل لديك . . . هل . . . هل لديك مانع من يكون لي تمثال . ربما كان من السهل علي ان اقتله منذ الخميس الاول لولا بائع الفاز .

العجوز : خذ الامر على عاتقك .

الشيخ : لكنه شاب ، وانت عجوز .

العجوز : انا حية ، وهو لم يكن حيا قط .

الشيخ : ليس الامر كذلك .

الشاب : شكرا يا امي . **(يمشي نحو الباب)** . تخيم حالة من الوقار الغريب . يلتفت إليهما . قولا لهم إنني مت بشجاعة . قولا لهم إنني آمنت بالشعب . قولا لهم إنني قاتلت من أجل الحرية ، البقية ستكون . . . . تاريخا ؟ **(يخرج من الباب ، يقفله خلفه)** .

(يسود صمت طويل . ثم رشقة واحدة من رشاش .)

الشـيخ : إذن كان هناك حارس . لقد كان على صواب .

العجـوز : مـن ؟

الشـيخ : بخصوص الحارس .

العجـوز : مـا اليـوم ؟

الشـيخ : الخميس .

العجـوز : سوف يدرك الاغتيال حالا .

الشـيخ : مـن ؟

العجـوز : ما أجمل أن يعود الخميس من جديد .

الشـيخ : ذلـك الشـاب ، تقصديـن ؟

العجـوز : ذهب ليصبح تمثالا .

الشـيخ : هـذا جميـل .

العجـوز : فلتعد أيام الخميس من جديد .

(يجلس . تجلس . يترنحان ، مع مـرور الوقت . تبـدأ بالدندنـة بسـرور .)

النهـايـــة

العنـوان الاصلـي للمسـرحية :

I've Come about the Assasination.

المصـــدر :

6 One - act Plays.

BY

Tony Morphett.

• المرصد الأدبي

كتب أدبيّة أستراليّة

• ترجمة: رفيق جويجاتي

كتب أدبيّة أستراليّة

● ترجمة : رفيق جويجاتي

اولاً : ثلاث مجموعات شعرية :

مما ميز الانتاج الادبي في استراليا في السنة الفائتة ، وكان حديث الساعة في الاوساط الادبية ، ومادة شيقة لدى النقاد ، ظهور مجموعات شعرية جديدة ، من خير ما ابتدع الادب النسوي لا في أستراليا وحدها ، بل في المجال الانساني الاعم : مجموعتان لشاعرتين عرفهما المجتمع الادبي الاسترالي من قبل ، ومجموعة لشاعرة يطلع على نتاجها للمرة الاولى ، فتستوقف اهتمامه ، ويصح فيها ما قاله رود ريغ الفتى وهو يطلب الثأر لأبيه من دون غورماس المعتمد بقوته وجسامته ووجاهته وذلك في رواية لوسيد الشهيرة للأديب الفرنسي كورني :

« حقا ، ما أنا الا فتى
ولكن قيمة النفوس الأصيلة
لا تتوقف البتة عند عدد السنين »

* * *

الشاعرة الاولى ـ كيت لولين ومجموعتها « ترف » ١٠٩ صفحات .
Kate Llewellyr - Luxury - Radress Press. 109 P.

لم تأت لولين بابتكار يصح أن يلدرج مقطوعاتها في مدوسة « الشعر الجديد » الذي يجهد الادب الاسترالي في تثبيت ملامح مميزة له ، ولكنها لامراء جددت في الشكل والاسلوب . ففي مجموعتهـا « ترف » تعيـد روايـة قصص أسـطورية وفولكلورية شهيرة كقصص سندريلا وهيلينا وحواء ، ولكن بصياغة تستحوذ مباشرة على السمع . ذلك أن أسلوب الشاعرة القائي ، فكأن انسيابه انما خلق للاذن قبل العين ، وللأداء اللفظي المغنّ ، قبل أن يكون للوقوف والتأمل . فلولين على اكثر ما يكون الشاعر تألقا وايحاء عندما تقرأ على الحفل شعرها القصصي ، أو الشعر الـذي جعلته بين الاسطورة المعادة وبين طيوف الرمز الى تجاربهـا الشخصية ونوازعها الذاتية ، في دفق متسلسل يخيل معه للسامعين أنهم امام حديث يلون أو عرض لوقائع تجري تباعا بترابط زمني أقرب ما يكون الى حقيقة ما نشهد ونحس ونألف .

ولا تفتقر مجموعة « ترف » وهي مسوقة في تيارها القصصي ، الى منعطفات من الهمس والايماء الى نوازع جنسية . وقد يرى بعض النقاد في أشعار كتلك التي أستشهدت بها المجلة الدورية الاسترالية لاستعراض كتب الشـعر ، انعطافا مفاجئا فجا ، يعتمد تصويرا وتشبيها لا يرتفع بالواقع العادي الرتيب ، الى مكانة اللفتة الشعرية أو الانصهار العاطفي . في فصلها مثلا عن « خضار مشتركة لا تصلح للالتهام » هـذه الاشعار (نترجمها عن الانكليزية) :

« يتوافد الرجال جماعات أو أزواجا أو على انفراد فحسب ،
كي يحدقـوا

كأنما يحدقون بشيء نادر الوجود
مثل طفيليات الفطر التي لا تنمو
الا في أعماق الغابة
او على هذا اللسان بعينه من الرمل الذي تلفحه الشمس
ولو كانت معهم سلال لربما كانوا يجمعوننا فيها
وينشروننا من بعد على مائدة الطهي .
ومع ذلك اذكر نفسي بأن (من واجبي) الامتنان
فان هذا المحرض الانساني الغريب الاطوار
على التحديق بما هو مجرد شيء مألوف
ليعطينا من ثم نبتة الهليون . »

وقد يشفع للشاعرة أن تكون رؤياها مصطبغة بالشمولية فتنظر الى الحياة ـ جانبها الاسطوري ، واوهامها ، وجانبها الواقعي المحسوس ، وجانبها المحتمل ، ـ وكأنها كل لا تنفصم أجزاؤه . سيندرلا تحدق بقضيب الساحرة الذي سيفتر عن عالم رؤى هي بذاتها أحلام المقهورة ، تتبدى ببرد الواقع الممكن ، وطارق يحدق بمفاتن المتعريات على الشاطيء بين الرمال الدافئة ، ويحسب أنه وحده التائق النهم ، واللواتي يلحظن التحديق ، بالنظر أو بالحدس ، يشعرون بامكان امتداد هيج الاهواء الى حيث ثمرة اللقاء والتواصل .

* * *

٢ ـ والشاعرة الثانية كاثرين غالاغر تطل علينا بمجموعة شعرية جديدة بعنوان « المسافرون الى المدينة » .

Katherine Gallagher - Passengers to the City - Hale & Jremonger 80 P.

فتتنقل بنا في لمحاتها الخاطفة ، المكتنزة مع ذلك بالحركة والاحساس من عواطف الامومة الى براءة الاطفال ، ومن عش الاسرة الى حرارة الاحبة والاصدقاء ، وعوضا عن التجريد الجمالي المألوف عادة في هذه المواضيع ، تبتكر أسلوبا تعبيريا يجتمع فيه بلا عنت ظاهر ، دفء القربى والتراحم ، وتتجلى روح المحبة والايثار الى جانب ما تثيره اهتماماتنا الحياتية من حركة وتفاعل وتناغم .

وكأن غالاغر لم تشأ أن تنتقص من روعة الجانب الآخر من الطبيعة وما تعرض لرؤيتنا ورؤانا من مفاتن ، وما سخرناه من عطائها في اندفاعنا للترشيد والتمدن . ما أبرع الريشة التي تومىء بالاشارة الحاسة عند امتداد سهول القمح في ويميرا ـ من أصقاع فيكتوريا في استراليا ـ ونهرها وبحيرتها وحياة السكون فيها مقرونة بالكد الانساني الذي يمرع أرضها ويرعى سقيها وبعلها :

« تتوق الى قالب
نظرة تتأمل من عل الجفاف ،
(جفاف) الخطوط الافقيــة ،
حيث على العين أن تتعلم كيف تأتلف الحياة
دونما نحت
تقولبه مفاجآت الارض

فتجعل من بعد صومعة الحبوب تستأثر بالبصر

واشارات المرور

تعمل عفويـا

تنصب حارس المدينة الغائب

على خيط سكة القطـار

وقد تفلح هذه الومضات بالتركيز على التباين بين المدينة « المنحوتة » والريف العفوي ، وتجمع الى دفق الحنان الانساني ، دفق نهر « ويميرا » لكن الشاعرة عندما تتصدى بهذا الاسلوب لتصور روعة الكاتدرائيـات الفرنسية واستلهام لوحات رامبراندت ، تعوزها قدرة الملاحظـة التي ما ينبغي هنا أن تتركز على الجزء واللمحة العابرة ، تركزها على النظـرة الثاقبة والانفعال العميق .

ثم تلتفت شاعرتنا الى نفسها وأسرتها والاحداث التي أثرت فيها أو كانت لها مدلولات سياسية واجتماعية قيمة . ويرى الناقد الاسترالي، ستيفن ويليامز ، شاعر ميلبورن ، في هذا الصدد ، أن مقطوعات غالاغر الاربع : « أهلي » و « أداء الدور » و « مرآة في لوحة » و « الشهيد الحي» مقطوعات مؤثرة ، خفيفة الظل ممتزجة بروح النكتة دون تدن الى حـد الاسفاف . والحق أن الشاعرة تبتعد عما يلاحظ في امثال هذه القصائد التي تروي منعطفات الحياة الشخصية من صلف وادعاء ، أو شعور بالظلم مبالغ فيه ، كي يقال ان الشاعر خلقته الآلام وغذته العزلة . ان شعر غالاغر منساب انسياب النهر والسندس في سهول ويميرا .

* * *

٣ ـ نأتي الآن الى الشاعرة الثالثة ، فيكي ريموند،في أول قصائدها ضمنتها في مجموعتها « بنات ايام الاعياد وقصائد اخرى » .

Vicki Raymond-Holiday Girls and Other Poems-Twelvetrees Publishing, 43 P.

جعلت جزءا منها من شعر حر ينبض بالحيوية والتلاحم وجزءا من المنظوم الفذ . وقد تنحو منحى التأديب والتهذيب في امثال مقطوعتيها « لا تتحدث عن اولادك » و « مهن الشعراء » ولكن لا تقع في فخ التحول من الشعر الى الوعظ والارشاد . واخص ما تجود به قريحتها في حس مرهف ونظرة صادقة هذا الجمع بين الصور الاخاذة والتفسير الواعي لما يحيط بنا من سراء وضراء . ففي مقطوعاتها « قصائد نهر فرانكلين » نواة تحمل بين طياتها منحى جديدا ـ أو مستجدا ـ من شعر تصويري ـ اجتماعي ، قد يهتدي الى همس دروس الحياة البليغة المعاني دون انزلاق الى دائرة الامر والنهي ، مع ما تحمله هذه غالبا من جفاف او عقم ، ولا الى الترفع المصطنع ، الذي يتأتى من الدعوى العريضة بالتفرد دون سائر الناس بصواب المعرفة وسداد الرأي .

يصح تبويب شعر ريموند الناشئة في اطار « الشعر والمجتمع » اكثر تبويبه في دائرة « الشعر الرمزي الجديد » . وفيما تزخر قصيدتها الحرة باللمحات الجمالية ، نرى في منظومها المقفى فنا شعريا ناضجا ، كأنــه انعكاس لرؤياها لمجتمع أقرب الى العدل والرصانة وتربية الروح علــى الغيرية والاحسان والبر. لهذا تمتزج في شعرها حراًأمملتزما هذهالنبضات من وحي الجماليات ، وتجارب التعامل الاجتماعي ، مقرونة بتأملات تكاد تكون صوفية النزعة . وهي تعرب عن هذا الارتهاص النفسي في مجموعتها الاولى ولكن اغلب الظن أن مجرد اقدامها على التعبير الشعري سيعزز امكان ترويضها بالفكر الواعي لحساسيتها الرومانسية المتفتحة .

ثانيا ــ رواية جديدة لماريون كامبل

Marion Campbell - Lines Of Flight - Fremantle Arts centre Press - 291 P.

تلكم فتاة استرالية في الخامسة والعشرين من عمرها ، بطلة رواية « خطوط الطيران » لمؤلفتها الكاتبة ماريون كامبيل ، اطلقت عليها اســم « ريتا فنرتي » تقيم في فرنسا وتقضي وقتها في الرسم المائي ، تتناهبها على الدوام نزعتان ، نزعة نحو الاخلاص الكامل لفنها ، مما يقتضي منهــا التفرغ التام وما ينشأ عنه من العزلة التي تجعل الحياة الاجتماعية فراغا موحشا قاسيا ، ونزعة مضادة ، تدفع بها للانغماس في المجتمع مع مايجر ذلك اليه من اختلاط يبدد الوقت ويعصف بالاستقلال ، ويجور على الموهبــة .

على ان ريتا وهي صراعها النفسي ما تفتأ تذكر موت ابيها وهي في عهد الطفولة وكأنها الآن يغالبها هذا التوق للركون الى حصن كحضن الاب دفئا وحدوا وايثارا ، ولكن تساورها الخشية من أن ينقلب ما ستحاط به من الدلال ومظاهر النعمى الفنية في المظهر الفارغة في المخبر الى سلوك يجعلها في مصاف الدمى ، تقنع بترديد ما يقوله الاخرون ، لا بقول ما تحس في الاعماق ، وتعجز عن تربية عناصر الشخصية في ادراك ماض تنهل منه نسغ الوعي الذاتي ، وحاضر تعيشه لا على الهامش ، بل بملء الجوارح ، ومستقبل يبنيه الجهد الفاعل المقرون بالطموح والثقة بالنفس .

لذلك فعندما ترى ريتا نفسها وقد شارفت على الانحدار الى درك انصراف القدرة عن الفعل والابتكار ، الى التوافه من الاهتمامات العارضة، وتسخير الطاقة الفنية لاغرض الاعلان التجاري ، تركب مركب التمــرد نشدانا للانعتاق والحرية الحقيقية فتعود الى استراليا مع الطفل الذي انجبته ، تتحلل من ربقة ما علق بها من عبودية الدمية ، وتحقق بالنضال

المؤمن نجاحا كانت تصبوا اليه ، فيصبح الصوت صوتها هي ، والحكم حكمها والشعور شعورها والريشة اداة لتصوير ما يختلج في صدرها من عاطفــة وانفعــال .

وبالرغم من أن مثل هذا الموضوع في حبكه الدرامي، مألوف ومطروق فان موهبة كامبيل تضفي على سياقه غنى في الصور ، وايماء ثاقبا في الرمز ولغة شعرية كأنها تقدم أحيانا لوحات فنية اخاذة .

كما ان الكاتبة وفقت في احلال النواة الروائية ، وهي بحث ريتــا القلق المستمر عن الاصالة الفنية ، محل المركز الضوئي الذي تنبثق عنه أشعة تضيء مناحث متفرعة ، في تلاقي الهوية الجغرافية الاسترالية مــع الهوية الانسانية الفنية وفي طبيعة الابداع الفني وما يولده من علاقة مع الطبيعة ومع المجتمع الادبي .

ومن ثم فقد يذهب ناقد الى أن « خطوط الطيران » تقف مبعثرة يصعب النظر اليها ككل روائي محكم الاتساق ، مترابط الحبك . والحق أن قيمة الرواية في نهاية المطاف هي في ما ترمز اليه من النضال الذي كتب على الفنان الناشيء على الاخص معاناته ، والصراع النفسي الذي يفرضه عليه المجتمع المعاصر . ان آلام المخاض التي تلف ريتا بزوبعتها ـ مخاض ولادة الطفل الامل ، ومخاض ولادة النتاج الفني الطموح ـ ما هي الا مفتاح يلج به الروائي « موضوعا أعم » وعالما أشمل ، يجدر على الاخص طرقــه في استراليا الناشئة ، ولكنه يعني في الحقيقة ، تطور الحضارة الانسانية برمتهــا .

★ ★ ★

عن مجلة : Australian Book Review

اعــداد عام ١٩٨٦

Acknowldgement

I am grateful to the staff of the Australian Embassy as particularly from 1980 and onwards; without their kind help and counsel it was not possibde for this special issue on Australian Literature to be realised. I mention, in particular, the recent staff, together with ex - ambassador N. Truscot, G. R. Bowker, Michael Smith, Philip Eliason, Paul Robilliard who all became personal friends.

I also wish to thank my friend Anne Fairbairn who spared no effort to have this issue prepared. Thanks also for the Cooperation of the poet Les Murray , who kindy cooperated with me as his translator.

I would also like to thank the Australia Council for encouragement and cooperation.

Hussam al-Khateeb

المحتوى

قصـــة :

مســرح :

المرصــد الادبي :

Fiction

Drama

Panorama

* * *

A Special Issue on Australian Literature

No. 49, Vol. 13, Autumn 1986

Table of Contents

Articles and Studies

Poetry

AL-ADAB AL-AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly)

NO. 49 - Vol. 13 - Autnmn 1986

Arab Writers Union — Damascus, Syria

AL-ADAB AL-AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly)

NO. 49 - Vol. 13 - Autumn 1986

اتحاد الكتاب العرب

العدد القادم :

محور نظري حول المؤتمر

العربي الثاني

للادب المقارن

السعر ١٠ ليرات سورية

وفي البلاد العربية ١٥ ل.س او مايعادلها

مطبعة اتحاد الكتاب العرب